
ـيو ١٩٥٢
٦
يقظة العملاق
أو
رحلة فى آسيا
بقلم
أحمد حسين
المحامى

# يقظة العملاق

أو

## رحلة فى آسيا

تأليف

**احمد حسين**

المحامى

مايو

١٩٥٣

# اليــه

الى قديس مصر الذى لاتزال عظامة ثاوية فى الغربه
الى من يجهله الكثيرون ولكن القلة من المؤمنين تعرفه ،
والملائكه تعرفه والله يعرفه من قبل ومن بعد
الى من بهر كل من اتصـــل به فى الشرق او فى الغرب
واجمعوا على انه لم يكن من طينة البشر
الى الزميل والاخ الذى انقلب بتضحياته وانكار ذاته
واستشـــهاده فى ســـبيل مصر الى اســـتاذ لى ومعلم
وهاد ومرشد
الى روح الدكتور مصطفى الوكيل اهدى هذه السطور

# يقظة العملاق

## تعريف

قال لى مهندس المانى وهو يحادثنى : أنا اريد ان أشتغل فى مصر ، اريد ان اعيش فيها وان اعمل لها فان ذلك يجعل لى رسالة فى الحياة وهدفافهذه بلاد لها مستقبل ، وهى ترنو نحو المجد وستصل اليه فى خطوات حثيثة ، وليس الحال كذلك فى المانيا فنحن بلادقد اصبحت تعيش على ماضيها ، أما مستقبلها فمظلم حالك . لن تجد ألمانيا يستطيع أن يحدثك عما ستكون عليه المانيا بعد عشر سنوات أو عشرين سنة . . . وكل ما يمكن ان يحدثك الالمانى عنه هو عظمة المانيا فى الماضى ، وقدرة ألمانيا الصناعية كما كانت فى الماضى ، وتفوقها العلمى الذى بهرت به الدنيا فى الماضى . . . اما بالنسبة للمستقبل فلاشىء . . ان المستقبل بالنسبة لنا ظلام حالك . . ظلام وشك واوهام .

أما هنا فى مصر ، فكل انسان ينظر الى المستقبل فى تفاؤل ، كل مصرى يقول لك انتظر عشر سنوات فقط لترى مصر أمة عظيمة مجيدة، وتلك حقيقة لاشك فيها فقد وضعتم أقدامكم على أول درجات السلم ولن تلبثوا ان تتجهوا نحو قمته ، أما نحن فنهبط درجات السلم .

هذا هو ما قاله لى مهندس المانى ذات مساء فى حجرة مكتبى بعد عودتى من رحلتى عبر آسيا فوقفت مشدوها ، أمام هذه العبارات ، فكأن الرجل كان يملى على المحور الذى يدور عليه موضوع كتابى هذا والكتاب الذى يليه ، كأن الرجل يلخص لى الرسالة التى ما فتئت أجاهد لاثباتها ، والتى عدت من آسيا وقد أصبحت فى نظرى حقيقة مقررة لاتحتاج الى اثبات وانما هى مسألة بضع سنوات أخرى لكى يحس بها كل انسان فى العالمين

ان هذا الذى يقوله الالمانى عن المقارنة بين المانيا ومصر صحيح فى كل حرف من حروفه وهو آية على انقلاب الزمن ، وانتقال الكرة من طرف الى طرف . . فهذا الالمانى قد بدأ يشكو الداء العضال الذى نكبنا به نحن الشرقيين من قبل الا وهو العيش على الماضى وأمجاد الماضى وفقدان الثقة فى المستقبل .

هذا الذى يقوله الالمانى هو خير مقدمة استهل بها هذا الكتاب لأعرفه الى قرائه مع تعديل بسيط . فبدلا من كلمة المانيا سأضع كلمة اوربا ، وبدلا من كلمة مصر سأضع كلمة الشرق ثم أمضى فى تصديق أقوال الالمانى فى كل حرف من حروفها .

لقد كان بودى لو أسمى هذا الكتاب « نهاية اوربا » مع انه حديث عن الشرق ولاعجب فى ذلك فقد عاشت اوربا على غفلة الشرق ، فاذا استيقظ الشرق كما هو حادث وكما سأعرض لك فى هذا الكتاب فهى نهاية اوربا لا محالة .

ولقد فكرت فى تسميته « الصراع بين الشرق والغرب » فقد كان ثمة صراع بين الشرق والغرب مذ عرف الانسان نفسه ولقد كانت الغلبة والتفوق للشرق فى بادىء الامر ، حيث أشرقت الحضارات كلها ، ثم انتقلت الحضارة من الشرق الى الغرب ، وهى الآن تعود من جديد لتشرق مرة اخرى حيث اشرقت من قبل ، لتتم دورتها الفلكية كما تفعل الشمس فى كل يوم مرة . . .

وأخيرا استقر رايى على تسميته « يقظة العملاق » ، فليست آسيا سوى مارد كبير وعملاق ، ولقد اصابت هذا المارد سنة من النوم فاستبد به اقزام جاءوه من أقصى الارض ، واستطاعوا ان يستغلوا فرصة غفوته فقيدوه الى الى الارض وربطوه ، وراحوا بعد ذلك يعيثون فى ملكه فسادا وينهبوه ويسلبوه ويحرقوه . وقد غرتهم غفوة المارد فحسبوه قد مات وانتهت أيامه فراحوا يلعبون فوق جثمانه ويتسابقون بل ويتقنزحون . . وفجأة استيقظ المارد الجبار وتحرك حركة بسيطة فاذا به يحطم القيود والاغلال التى كبلها به الاقزام ، وعندما فتح المارد عينيه وراح يفرك فيهما استعدادا لليقظة الكاملة ، فر الاقزام كالجرذان خائفين مذعورين من يقظة الجبار والاسد والذى لن يلبث ان يناقشهم الحساب عما فعلوه أثناء غفوته .

هكذا انسحب الانجليز من الهند وبورما والهولنديون من اندونيسيا والامريكان من الصين .

وهذا هو حقيقة مايجرى الآن فى آسيا وما رأيته بعينى راسى ، ولمسته بيدى بعد أن كنت قد أحسسته بشعورى منذ عشرين سنة ، وتواترت عنه الاخبار منذ خمس سنوات ، فسافرت الى هناك لاستيقن من صحة الخبر وأشهد بنفسى حركة البعث والنشور ويقظة المارد الجبار .

وكم يحزننى ان يجهل مواطنى هذه الحقيقة ، وكم يؤلمنى ان ارى سياستنا واقتصادياتنا ونشاطنا ودعاياتنا كلها تتجه صوب اوربا والغرب ، غير مدركين أن أوربا تموت ، وان الحياة والنشاط والاقتصاد والفنى والثروة والقوة كل ذلك قد أصبح الآن فى الشرق وان مجد مصر وعظمتها وسبيلها للتحرر واداء رسالتها فى العالم هى فى الاتجاه صوب هذا الشرق الذى كانت دائما ابدا راسه المفكر وقلبه الخفاق .

كم يحزنني أن لاتستطيع لغة الارقام على نصاعتها أن تثبت هذه الحقيقة للمصريين فيرسموا خططهم على اساسها .

**تجارة القطن :**

ان امامي الان مقدار المصدر من القطن في الاسبوع الخامس من شهر مارس اي الذى ينتهى فى ٢ ابريل وتبين منه أن جملة ما صدر للهند فى هذا الاسبوع هو خمسون الف قنطار بينما لم تشتر انجلترا سوى الف وثمانمائة قنطار بل لم تشتر فرنسا اكبر عميل لنا فى القطن اكثر من ١٤٠٠٠ قنطار

فالهند وحدها قد استوردت من مصر فى اسبوع واحد خمسين ألف قنطار من القطن ومع ذلك فان المصريين لم يدركوا معنى هذه الحقيقة ( ١ )

اننا نتحدث عن مقاطعة انجلترا للقطن المصرى ولاجدال أن انجلترا تحاول ان تضغط على مصر اقتصاديا ولكن ليس الى الحد الذى تقضى فيه على صناعتها القطنية التى قامت على غزل القطن المصرى . ولكن الحقيقة أن مصانع لانكشير فى طريقها الى الافلاس .

لقد ازدهرت صناعة النسيج فى انجلترا لان الهند ذات الربعمائة مليون من البشر كانت سوقا من اسواقها، واليوم أصبحت هذه الهند تنسج لنفسها فلمن تبيع لانكشير منتجاتها الوفيرة التى اعتادت أن تنتجها بالامس .

ان الهند نفسها وهى اول دولة لانتاج القطن بعد الولايات المتحدة ، تستورد القطن المصرى لتنسج هذه الاقمشة الفاخرة التى اعتادت لانكشير ان تصدرها للهند والتى لا تصنع الا من القطن المصرى . وهكذا انقلب الميزان فبعد ان كانت انجلترا هى عميلتنا الاولى فى القطن اصبحت الهند هى العميلة الاولى او هى فى الطريق الى هذه المكانة، أفلا ينبغى ذلك أن يدل رجال السياسة والاقتصاد عندنا على تغير اتجاه الريح ، وأن مصر يجب أن تتجه صوب الشرق وأن تدير ظهرها لاوربا ؟ ! ( ١ )

**السياحة :**

اننا مازلنا نتحدث عن الدعاية لمصر وسط الامريكان، وفى دول اوربا لتشجيع السياحة لمصر ناسين أن أوربا مشغولة الآن بلقمة العيش وترميم هذا الذى

---

( ١ ) ان بلغ مجموع المصدر من القطن المصرى الى الهند من اول الموسم حتى ٩ ابريل ٤٩٣٠٠٠ قنطار بينما لم يزد ماصدر لبريطانيا على ١٥٨٠٠٠ قنطار وبذلك قفزت الهند لاحتلال المرتبة الثانية فى عملائنا وهبطت انجلترا الى المرتبة السابعة

هدمته الحرب ، ومحاولة الابقاء على كيانها ، وناسين ان الامريكان قوم مغرقون فى المادية لايعنيهم التاريخ ولاتبهجهم الآثار وانما السائحون منهم قوم يجرون خلف اللذات وليست مصر حقلا لهم فى هذا الميدان . ولو اتجهنا صوب الشرق صوب البلاد العربية، والاسلامية، صوب الهند والباكستان واندونيسيا وبورما اذن لوجدنا مئات الالوف الذين يتوقون لزيارة مصر لالف سبب وسبب، والذين تمثل مصر لبعضهم ما كانت تمثله باريس لاوربا فى القرن التاسع عشر . وقد لايعرف رجال المال والاقتصاد ان الدولار الامريكى يجرى فى هذا الشرق جريان الماء وان هؤلاء الوافدين الى مصر من الشرق سيجلبون لها ملايين الدولارات وما يسمونه العملات الصعبة كلها .

اننا مازلنا فى مصر نجهل هذه الحقائق كلها .. مازلنا نتحدث عن بلجيكا وعن هولندا ... بل وقد نتحدث عن دوقية اللوكسمبورج ونقوم ونقعد لما يكتب عنا فى جريدة سويسرية لايطبع منها سوى بضع عشرات من الآلاف مسقطين من حسابنا صحفا تصدر فى الهند وتوزع الملايين .. بل مسقطين من حسابنا امة كأمة الصين تتألف من خمسمائة مليون نسمة أى ربع سكان العالم بأكمله ...

ان مصر الشعبية والحكومية لا تعرف شيئا عن الصين الجديدة الا انها شيوعية ، وكيف نعرف عن الصين شيئا ونحن مازلنا نصر على عدم الاعتراف بها، وليس لنا فيها ممثلون سياسيون يمدون حكومتنا بحقيقة مايجرى داخل هذه البلاد العظيمة . ويا له من تقصير لا اقول معيب ... بل خطير بالغ حد الخطورة فكيف نستطيع ان نبنى مستقبلنا السياسى متجاهلين هذه القوى الضخمة التى تتجمع هنا وهناك والتى تكيف مصائر الامم والشعوب .

أيا كان الوصف الذى نريد ان نصف به الصين فان ذلك لا يبرر بحال ان نتجاهل هذه الحقيقة التاريخية التى تجرى هذه الايام الا وهى أن خمسمائة مليون من البشر عاشوا حتى الآن متقاطعين متنابذين ، عاشوا حتى الآن فريسة للقحط وفيضان الانهار والجوع والمرض والاستعمار والافيون ..

هؤلاء الخمسمائة مليون من البشر هبوا امن رقادهم ، ولاول مرة فى التاريخ ألفوا من انفسهم وحدة واحدة تحكمها حكومة واحدة ، وراحوا يعملون بالليل والنهار لتصنيع بلادهم ومضاعفة ثروتها ، وقد استطاعوا أن يحطموا كبرياء أمريكا فى كوريا والتى تقف منذ عامين كاملين امام متطوعيهم . فاذا كنا نريد التجارة فلن نستطيع أن نتجاهل خمسمائة مليون من البشر،واذا اردنا العون والمدد من شعوب العالم ، فليس باستطاعتنا تجاهل خمسمائة مليون واذاكانت

الشيوعية تفزعنا فليس باستطاعتنا أن نتجاهل اعتناق خمسمائة مليون من البشر للشيوعية ...

ايا كان الوضع ، وأيا كانت الزاوية التى نريد على اساسها أن نعيش فى هذا العالم وان نبنى مكاننا الجديد تحت الشمس فمن الحمق تجاهل خمسمائة مليون من البشر واسقاطهم من حسابنا فى السياسة وفى الاقتصاد وفى الاجتماع

لسد هذه الثغرة أقدم هذا الكتاب الذى هو القسم الاول من رحلتى فى آسيا والذي أرجو ان أتمكن من اتمام قسمه الثانى عن الهند والباكستان فى القريب العاجل ..

فليكن هذا الكتاب على صغره بمثابة ناقوس يدق لينبه الغافلين عن الشرق ويقظته ، ونهضته وقوته الزاحفة .

ليكن هذا الكتاب صيحة تدوى فى آذان رجال السياسة ، والاقتصاد والاجتماع والادب ان يتجهوا من جديد صوب الشرق وكنوز الشرق وذخائر الشرق فيتعاملوا مع الشرق ويكتبوا عن الشرق ، ويتحالفوا مع الشرق .

ولست اقول ذلك تعصبا ، أو كفرانا منى بوحدة الانسانية فأنا رجل يؤمن بالاخوة البشرية لا فرق بين شرقى وغربى ، أو بين أبيض وأسود أو بين مسلم ومسيحى وبوذى . ولكن هذا الايمان فى حد ذاته هو خصيصة من خصائص الشرق ولاسبيل لكى يعم العالمين الا بانتصار الشرق وهزيمة الغرب المتغطرس وتصفية مستعمراته وأملاكه التى يجب أن تتحرر

وفى العالم المتحرر من الرق والعبودية والاستعمار واستغلال الانسان لاخيه الانسان ستنتصر مبادىء الشرق التى دعا اليها منذ القدم من خلال حكمته وفلسفته وأديانه التى تنادى بالاخوة بين بنى الانسان قاطبة والتى تتمثل أعظم ماتتمثل فى دعوة القرآن الكريم :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

**القاهرة فى ١٩٥٣/٤/١٠**

**أحمد حسين**
**المحامى**

# الفصل الأول
# نحو المؤتمر

## - ١ -

## دعوة :

طالعت ذات صباح فى صحيفة الاهرام وبعض جرائد اخرى أن المؤتمر الاشتراكى الاسيوى قد دعا الحزب الاشتراكى المصرى ( سابقا ) للاشتراك فى هذا المؤتمر الذى سيعقد فى رانجون عاصمة بورما فى ٦ يناير

فلم اهتم بهذا الخبر اكثر من اهتمامى باى خبر عادى فى الصحف بالرغم من انها تخص الحزب الاشتراكى ، فقد كنت فى هذه الفترة ملازما بيتى معتكفا عن مزاولة أى نشاط سياسى بعد هذه المحنة الكبرى التى اجتزتها ابان حبسى الطويل بتهمة التحريض على حرق مدينة القاهرة والذى كان مقدرا لى فيه أن اعدم لحساب الملك السابق لو لم يتداركنى الله القوى القدير وتقع ثورة الجيش ويحدث هذا الانقلاب العظيم الذى أنقذ مصر من هاوية سحيقة كانت قد تردت فيها .

كان هذا هو السر فى عدم اهتمامى بهذا الخبر الذى طالعته فى الصحف عن دعوة الحزب الاشتراكى الى رانجون فقدكان أبعد مايكون عن عقلى واستعدادى ولم يدر فى خلدى أن ذلك لن يلبث أن يكون حقيقة واقعة وانه لا يمضى سوى عشرة ايام بعد مطالعة هذا الخبر حتى أكون فى رانجون بالفعل جالسا فى فندق ( استراند ) اعظم فنادقها باعتبارى ضيفا على حكومة بورما التى وجهت الدعوة الى عقد المؤتمر . ولكنها الاقدار التى تكيف حياتنا وتوجه نشاطنا وتحكمنا بتصرفاتها لحكمة خفيت علينا حتى الان وأغلب الظن انها ستظل خافية على الانسان لبضعة الوف أخرى من السنين والاعوام .

لقد اسرعت شركات الطيران العالمية واحدة بعد اخرى تتصل بى بعد مطالعتها الخبر وتدعونى للسفر على طائراتها فاعتذرت لها جميعا وذكرت اننى لن اسافر

ولقد تحريت عقب هذا الاهتمام امر هذه الدعوة التى طالعتها فى الصحف فعلمت أن دعوة مكتوبة قد تلقاها الحزب قبل ذلك بشهر وأن برقية قد ارسلت بنفس المعنى منذ اسبوع سابق على نشر هذا الخبر . واذن فالامر جد ونحن

ازاء دعوة يجب الرد عليها ولم يكن هناك سوى سبيل واحد للرد وذلك هو الاعتذار عن تلبية الدعوة لظروفنا الخاصة ولقصر المدة اللازمة للاستعداد للسفر لهذا المؤتمر وكتبنا بيانا بذلك المعنى وارسلناه الى الصحف واذا بالصحف كلها لاتنشر هذا الاعتذار . وكانت هذه اول تحركات القدر فى سبيل أن يبلغ الكتاب أجله .

كانت الايام تقترب من الموعد المحدد لانعقاد المؤتمر بسرعة وبدا اشخاص يتصلون بى يستفسرون عن موعد سفرى للمؤتمر ، ويحدثونى عن اهمية هذا المؤتمر وحادثنى احد المعارف فذكر لى ان المستر اتلى رئيس حزب العمال ورئيس حكومة انجلترا السابق سيحضر هذا المؤتمر ، وكان ذلك اول ما اشعرنى بخطورة المؤتمر الذى يحضره مستر اتلى فقد كان ظنى ان المؤتمر يتألف من أحزاب اشتراكية صغيرة لاقيمة لها ولا خطر .

وبدات افكر فى فائدة الذهاب الى هذا المؤتمر ، لاتحدى هذا الرجل الانجليزى الذى حارب مصر فى اواخر عام ١٩٥١ ومستهل عام ١٩٥٢ فدمر بعض قرانا وقتل شهداءنا واسر جنودنا وعساكرنا ... ما أروع أن تتاح لى الفرصة لكى اتحداه ولكى اندد به وبحكومته ... وبدأت فكرة حضور المؤتمر تغمر نفسى ، ولكن كان دون ذلك خرط القتاد . فليس معى جواز سفر فقد صودر جوازا سفرى أيام الملك الراحل ومنذ ذلك التاريخ وهو فى حوزة وزارة الداخلية وكان ثقيلا على نفسى ان أطلب جواز السفر خوفا من ان يرفض الطلب لاى سبب من الاسباب وقد يتعلل بعض الموظفين باننى لاازال متهما فى القضية وان السفر الى الخارج قد يكون سبيلى الى الهرب ، وأنفت من التعرض لمثل هذا الموقف وعلى ذلك فقد أستقر عزمى على طرح هذه الفكرة نهائيا وأعددنا برقية لنرسلها للمؤتمر نعتذر عن عدم امكان تلبية الدعوة مكتفين بتحية المؤتمر والمجتمعين فيه

**سفر خاطف**

ولكن القدر كان قد اعتزم شيئا فى مكنون علمه فاذا بى اجتمع وابراهيم شكرى فى اوائل يناير مع بعض اخواننا ممن بيدهم السلطة وزمام الامور فى هذه الايام ... وتكلمنا فى كل شىء وعرضنا لشئون مصر واركان نهضتنا وطال الاجتماع وطال حتى اذا اوشك على الانفضاض اذا بى اقول للزملاء لقد تلقيت دعوة لحضور مؤتمر اشتراكى فى رانجون فهل تظنون أن هناك ما يمنع من تلبية هذه الدعوه فاذا بالجواب يرد على الفور انه لا مانع على الاطلاق ... وكانت هذه هى خطوة القدر الثانية

واعطيت الاوامر اللازمة بتسهيل موضوع سفرى وفى يوم السبت ٣ يناير الساعة الثانية عشر ظهرا اعطيت جواز السفر

وكان على ان أسافر فى نفس اليوم اذا اردت اللحاق بالمؤتمر وكان ذلك يبدو مستحيلا من رابع المستحيلات : فلم يكن معى نقود وكان ذلك هو اقل العناصر أهمية مع ذلك ، فلابد للسفر من الحصول على تأشيرات على جواز السفر من البلاد التى سيسافر اليها الانسان واعنى بها بورما وذلك يقتضيني الذهاب الى القنصلية الانجليزية للحصول على هذه التأشيرة. وتجرعت الغصة وذهبت الى القنصلية الانجليزية ، وكاد الانجليز هناك أن يصعقوا وهم يرون امامهم أحمد حسين يطلب منهم تأشيرة للذهاب الى بورما .. وسألنى الموظف المختص هل انت احمد حسين .... ؟! قلت نعم أنا هو بلحمه وشحمه وذهل الرجل مرة أخرى ... هل انت المتهم .. ؟! نعم انا .. انا المتهم بحرق القاهرة ... وغمغم الرجل « أوه » وازدرد لعابه .

وكان طبيعيا أن لا أجاب الى طلبى فاعتذروا فى أدب بعد مفاوضات طويلة ومباحثات قائلين انه لابد قبل التصريح لى ان يستأذنوا رانجون وهذا يستغرق من طريق التلغراف خمسة ايام على الاقل فقلت لهم ولكنى يجب أن أسافر اليوم بعد بضع ساعات فاعتذروا عن امكان عمل شىء .

وبدأت أتصور أنه من العبث محاولة السفر بعد فوات الوقت ... ومع ذلك فقد مضيت فى طريقى الى القنصلية الهندية لعلها تعطينى تصريحا بالدخول الى الهند وهناك احاول الحصول على تأشيرة الدخول الى بورما . ووصلت الى القنصلية الهندية بعد الواحدة بقليل أى انها كانت تغلق ابوابها وتقدمت اطلب التأشيرة المطلوبة فأخبرونى انه لايمكن الحصول عليها قبل يوم الاثنين فقد انصرف الموظفون فقلت لهم يجب أن أحصل عليها فورا لانى سأسافر الليلة ونظروا الى فيما يشبه الاشفاق لان الاجراءات هى الاجراءات ...

وتدخل القدر مرة ثالثة فاذا بأحد اصدقائى الهنود وهو الاستاذ الفاروقى يدخل القنصلية زائرا ولايكاد يعلم بموضوعى حتى يستعمل نفوذه لاعطائى التأشيرة المطلوبة وان هى الا ساعة من الزمان حتى كان معى جواز سفر يسمح لى بمغادرة مصر ودخول الهند .

وكانت الساعة الآن هى الثالثة بعد الظهر . وبدانا نفكر فى موضوع النقود اللازمة والطائرات المسافرة . وسرعان ما قدم لنا القدر طائرة تقوم فى الساعة العاشرة مساء من مطار القاهرة الدولى وكان بها محل خال واسرع ابراهيم شكرى واسماعيل عامر يمدانى بالمال اللازم لشراء تذكرة السفر الى رانجون وهو حوالى المائتين وخمسين جنيها ذهابا وايابا . وفى الساعة السادسة مساء كان معى تذكرة السفر

وبقيت النقود التى آخذها معى وهنا تقول التعليمات انه لايسمح للمسافر

ان يأخذ معه اكثر من عشرين جنيها انجليزيا .. ونصحني البعض أن أخفي بعض النقود فلن يفتشني أحد ولكني اجبت أن هذا وحده كفيل بأن يجعلني أمينـــا في تصرفاتي مادمت محل الثقة والاحـــترام ولذلك فلن آخـــذ معي غير العشرين جنيها .

فسألوني وكيف تسافر الى أبعد نقطة في جنوب اسيا وليس في جيبك سوى عشرين جنيها فقلت لهم « وعلى الله قصد السبيل »

ولم تعلم زوجتي انني سأسافر في ذات الليلة الا عندما خاطبتها في التليفون وكانت خارج المنزل ، لادعوها لتساعدني في اعداد حقيبتي ولكي تتاح لي فرصة وداعها ... وكان طبيعيـــا أن تحتج زوجتي ولـــكنها كانت على علم بالظروف السابقة وتطور الامور في سرعة لم أستطع معها ان أتصل بها لاخبرها عما كان يتم من لحظة لاخرى . واخذت معي حقيبة واحدة كما لو كنت مسافرا الى حلوان او مصر الجديدة لانه كان من المستحيل عمل غير ذلك

وكان على أن أمر على دار الحزب الاشـــتراكي ( ســـابقا ) لازورها لاول مرة منذ خرجت من الاعتقال وكان هـــذا الموعد محددا من قبل وكانه كان قد أعد ليـــكون بمثابة توديع لي قبل ســـفري . وتحدثت الى المجتمعين ولم اشر الى موضوع سفري فقد كان حتى هـــذه اللحظة مشروعا قد يتحقق أو لا يتحقق وانا من المؤمنين بقول الرسول « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان »

وعند الساعة الحادية عشر مساء كانت طائرة ( اير انديا ) تحلق فوق سماء القاهرة في طريقها نحو بومباي بالهند .

وبعد ان فرغت من صلاة العشاء وانا جالس على مقعدي في الطائرة رحت أفكر في هذا الذي مر بي والذي مازال ينتظرني

وكان لســـاني وقلبي وروحي تلهج كلها بالشـــكر لله الذي تجلت مشـــيئته وقدرته على ايفادي في هذه الرحلة التي كنت أتصورها مستحيلة منذ ايام ثلاثة والتي كانت بالنسبة لي حلما من الاحلام يداعب خواطري ونفسي ولكنها كالاحلام ليست شيئا قابلا للتحقيق .

## هذا الشرق

منذ أمد بعيد وانا أحب السفر والتجوال حتى لكأن شعاري « ســـافر ففي الاسفار سبع فوائد » ولقد بدأت حبي للسفر منذ وقت مبكر في طفولتي وكان لكل رحلة من الرحلات اثر عميق في قلبي ... فبدأت حياتي الروحيـــة في الجهاد من أجل مصر ومجـــدها عقب رحلة في صعيد مصر زرنا فيهـــا الاقصر واسوان وكوم امبو . وطمحت منذ وقت مبكر لزيارة باريس فزرتها وأنا بعد

لا أزال طالبا فى السنة الاولى فى الجامعة وكان لزيارتى هذه أثر كبير فى حياتى فقد كانت هى التى الهمتنى فكرة مشروع القرش الذى تمخض عن انشاء مصنع الطرابيش وقد اعتبر ذلك العمل فى حينه عملا وطنيا فذا. وزيارة الشام وجبل لبنان جعلتنى أكون فكرتى عن وحدة البلاد العربية . وعندما بدأت كفاحى السياسى فى مصر الفتاة بدأت الرحلات الى خارج القطر للدعاية للقضية المصرية تؤلف جزء لايتجزأ من كفاحى فكانت رحلات الى انجلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا وسويسرا واخيرا الى امريكا . وقبل ذلك كله وبعد ذلك كانت رحلاتى الى الاراضى المقدسة معينا لاينضب يمدنى بالغذاء الروحى وبعلم وثقافة لا غنى للمجاهد عنهما حول الاسلام وتعاليم الاسلام وفقه الاسلام وحقيقته وجوهره فضلا عن سيرة الرسول الكريم .

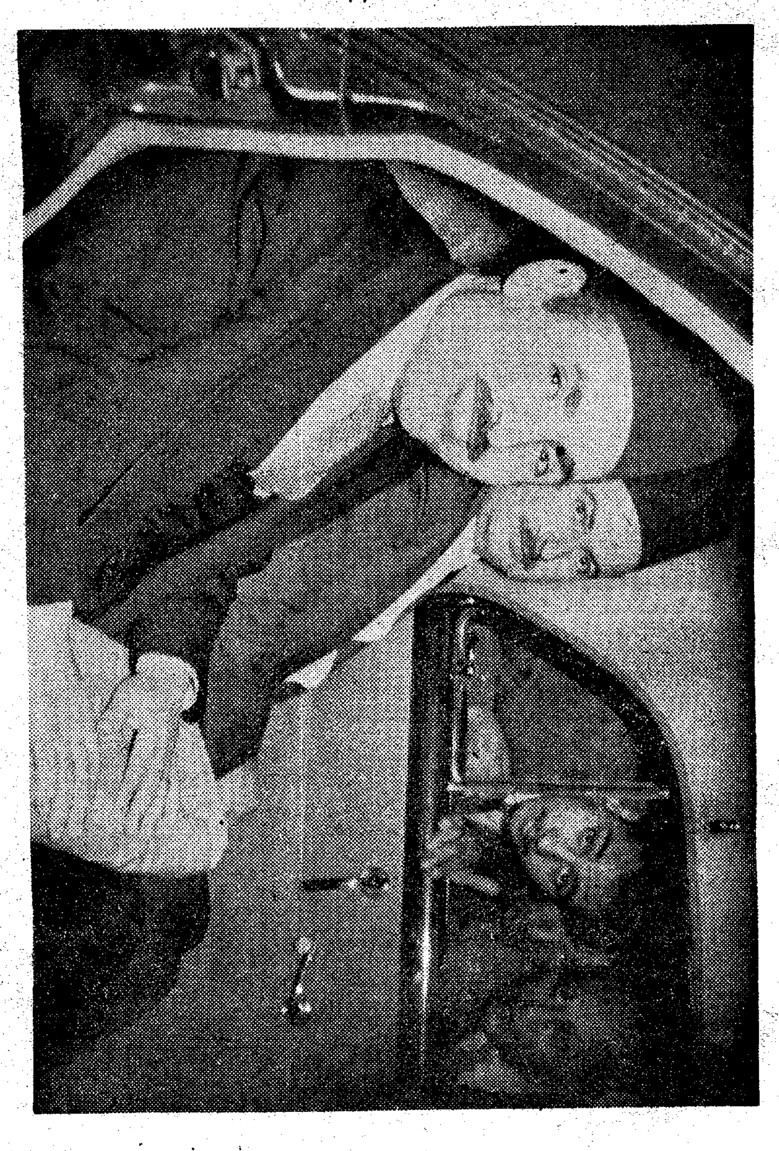
وبدأت ازهد فى اوربا وامريكا والرحلة اليها فقد رأيت ما فيها ويئست من امكان الانتفاع بتأييدها لقضية حريتنا . ان عداء القوم لنهضة مصر والبلاد العربية حقيقة مقررة لم تعد تحتمل شكا ولا جدلا ... والمتطلع صوب أمريكا أو أوربا لنجدة مصر والعرب فى كفاحهم من اجل الحرية ليس الا كناطح صخرة .

وفى السنوات الاخيرة بدأ الشرق يطالعنا من حين لآخر بأنباء جسام ... بدأت آسيا تتمطى وتتثاءب وتحتل أنباؤها مكان الطليعة بين الانباء .

لقد ظن فى وقت من الاوقات عند نهاية الحرب وهزيمة اليابان أن آسيا ستعود كما كانت الى سيرتها الاولى مستعمرة لدول الغرب ابتداء من امريكا وانجلترا وانتهاء بفرنسا وهولندا ولكن حركات التحرير انبثقت واحدة تلو اخرى من كل ركن من اركان آسيا .وكانت بورما فى طليعة الدول التى استقلت ثم اعقبها استقلال الهند وميلاد الباكستان وفجاة وجد العالم نفسه ازاء دولة يبلغ سكانها ثلثمائة وخمسين مليونا وهى جمهورية الهند التى نهضت جبارة فى الارض تدعو للحياد بين الكتلتين متزعمة كتلة ثالثة قلبها النابض دلهى الجديدة والى جوارها دولة الباكستان الاسلامية والتى تضم أكبر نفر من المسلمين فى مكان واحد على ظهر الارض وهم ثمانون مليونا اتخذوا عاصمة لهم مدينة كراتشى .

وجاء دور اندونيسيا واحرزت بدورها الاستقلال وقفز على مقعد الدول المستقلة دولة اسلامية كبرى تتألف من سبعين مليونا من البشر هى دولة اندونيسيا وعاصمتها جاكرتا .

ثم جاءت الصين وما ادراك ما الصين انها خمسمائة مليون من البشر ولاتزال قصة الصين مجهولة فى مصر كل الجهل وكل الذى يعرف عنها انها الصين



احمد حسين والى جواره زميله ابراهيم شكرى فى طريقهما الى القطار

الشيوعية ولذلك فان مصر لاتعترف بها ولا تزال تعترف ببقايا الصين الوطنية وصاحبها كاى شيك ذلك الرجل العجوز الذى يمثل عهدا انقضت أيامه .

## حرب كوريا

ثم كانت الحرب الكورية والتى فوجىء العالم بهـا ذات صباح والتى كان مقدرا لها ان تقلب نظريات العالم كله رأسا على عقب . بدأت الحرب باكتساح جيوش شمال كوريا لجيوش الجنوب ولقد خفت امريكا لنجدة الجنوب وجرت فى أعقابها الامم المتحدة كلها ولكن جيوش الشمال ظلت تواصل الزحف وتدحر الامريكيين وكان ذلك عجبا من أعجب العجب ، وكاد الشماليون يطهرون ارض كوريا من الامريكان لولا ان امريكا حشدت كل اساطيلها فى البحر والهواء وماكان لجيوش كوريا الصغيرة ان تقاوم هذا الطوفان من الحديد والنار وتوقف الزحف الشمالى وعاود الامريكان الهجـوم وضغطوا على الشمـاليين حتى وصلوا الى حدود الصين واذا بالعالم يفاجأ ذات صباح بدخول المتطوعين من الصينيـين وكأنهم الجراد المنتشر ومرة أخرى تكتسح الجيوش الامريكيـة اكتساحا حتى توشك كوريا ان تتحرر منهم لولا أنهم مرة أخرى ينزلون بكل ثقلهم فى الميدان بألوف وعشرات الالوف من الطائرات ومئات من السـفن الحربيـة فتنحسر الموجة الصينية ويعود الامريكان لاحتلال كوريا الجنوبية ويرون ان من الخير ان يطلبوا الهدنة وان يقفوا على خط عرض ٣٨ وحول هذا الخط يقف الامريكان وحلفاؤهم من الانجليز والاتراك وكل شعوب الارض يقفون وجها لوجه فى مقابلة مليون جندى صينى وكورى منذ عامين كاملين .

وشعر كل امريكى ان هـذه الحرب تستنفد موارده . . . وتستلب من كل عائلة امريكيـة جنـدى مابين مجند او جريح او إسـير او قتيل . . وصرخ الشعب الامريكى لماذا تهدر دماؤنا فى آسيا ولماذا تحارب فى كوريا ؟

وهكذا لم تعد آسيا هذا المكان الذى يتنزه فيه الاوربيون أو الامريكيون . . لم تعد هذا المال السائب ولا هذه القطعان من الشعوب ولا هذه البقرة الحلوب . . ان آسيا اليوم تحارب . . . تحارب عن كل شبر من أراضيهـا كل من يحاول ان يعتـدى عليها وتكبد أعظم الـدول أفدح الاثمان كلمـا فكرت ان تتوغل فى بلادها أو ان تسلبها حريتها .

وتقف آسيا كلهـا حرة مستقلة وليس للاستعمار فيهـا ظل الا فى نقطتين فقط من هذه القارة التى تعدل نصف الارض . . . ليس للاستعمار فيهـا من ظل الا فى الهند الصينية وفى الملايو وفى كلتا المنطقتين تدور رحى حرب طاحنة بين الفرنسيين وسكان البلاد فى الهند الصينية وبين الانجليز وسكان البلاد فى

الملايو ... وتئن فرنسا وتتوجع من الحمل الذى اصبحت تنوء به وهو حمل هذه الحرب ولولا امريكا ودولارات امريكاومساعداتها لتوقفت فرنسا عن هذه الحرب الشعواء بل انها كلما ارادت فى هذه الايام ان تضغط على امريكا هددتها بالتوقف عن الحرب الصينية التى تكبدها عشرات الالوف من ابنائها فى كل عام ما بين جريح وقتيل فضلا عما تستنزفه من موارد الميزانيـة التى توشك ان تنضب .

وتئن انجلترا بدورها تحت وطأة كفاح الشعب فى الملايو ولولا ان الملايو تمد انجلترا بنصف ثروتها الخـارجية من الدولارات تقريبـا بسبب احتوائها على ثمانين فى المائة من مطاط العالم الذى تحتاجه امريكا لمـا احتملت هـذه المشاق والنفقات الباهظة التى تنفقها للاحتفاظ بمركزها فى الملايو .

فآسيا كلهـا قد عادت من جـديد لتقف على قدميهـا ويا لدولها من دول ويا لشعوبها من شعوب . انهـا شعوب لا تعـد ولا تحصى بالالوف أو بالملايين بل بعشرات الملايين ولذلك فان لديهم اصطلاحا خاصا يطلق على العشرة ملايين وهو « الكرور » وذلك لان عشرة ملايين من البشر هى وحدة القياس فى آسيا واكثر وحدات القياس استعمالا عندهم ما يسمى (لاك) أى مائة الف .

انها أم العماليق ... انها المـارد أم المردة والجبـابرة ... آسيا أم الصين ذات الخمسمائة مليـون والهنـد ذات الثلثمائة مليـون واليـابان والباكستان واندونيسيا هؤلاء المردة الصغار والذين لايتجاوز سكان الواحدةمنها الا ثمانين أو سبعين مليونا فقط .

هذه آسيا التى بدأت منذ بضع سنوات أتجه نحـوها بكل عواطفى أريد ان اراها ، ان ازورها ، ان اقف على نهضتها وان انشق عبيرها ... عبير الهند والباكستان واندونيسيا وان اقترب من الملايو والهنـد الصينية وسنغافوره وهونج كونج وهذه الاسماء التى دوت فى خلال الحرب العالمية الثانية وما تزال تدوى حتى الان ودويها يقوى ويشتد يوما بعـد يوم وساعة بعد اخرى حتى ليوشك ان يحجب هذه الاصوات القديمة ... أصوات باريس وروما ولندن وبرلين .

## نحو رانجون

### — ٢ —

جلست فى الطائرة أستعيد كل هذه الخـواطر متصـورا ان ذلـك كله لم يعد حلما بل هو شىء فى طريق التحقيق واننى الان فى طريقى الى رانجون ،

ومرة اخرى ما ادراك مارانجون ، انها عاصمة بورما ، بورما التى عندما وقعت فى يد اليابانيين فى خلال الحرب تصور كل انسان فى العالم ان ناقوس انجلترا قد دق وانه لم يبق سوى مسمار او مسمارين فى نعشها لتشيع الى رمسها الاخير فبورما هى مفتاح الهند ، ووقفت انجلترا ترتجف وجيوش الهند الحرة التى تألفت بمساعدة اليابان تقرع ابواب الهند وكان ذلك هو الفصل الاخير فى تحرير الهند

وما زلت اذكر هول المعركة التى دارت حول رانجون قبل ان تسقط فى يد اليابانيين وعندما سقطت احدثت من الدوى مثلما احدث سقوط سنغافوره من قبل . وحسبك ان تعلم ان بورما كانت تقدم النصف من تجارة العالم فى الارز وقد اطلق عليها هى ومملكة سيام والهند الصينيه اللتان تجاورانها انها ( سلة خبز ) آسيا كلها . وحدث عن بترول بورما الذى تملكه شركة بورما شل . كل ذلك سمعناه وطالعناه ولمسناه فى خلال الحرب حتى اصبح اسم رانجون منقوشا على صفحات قلوبنا وعقولنا ولم يدر بخلدى فى يوم من الايام وانا اطالع هذه الانباء فى عام ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ وانا رهن الاعتقال بامر الانجليز . . لم يدر بخلدى ان الساعة ستجيء حيث ارى نفسى فى مدينة رانجون على بعد سبعة آلاف ميل او يزيد من القاهرة . ومع ذلك فقد كنت الان فى طريقى الى رانجون وهذه الطائرة التى استقلها انما تقطع بى المرحلة الاولى نحو رانجون وكانت هذه المرحلة تنتهى عند بومباى حيث أصلها عند ظهر الاحد ٤ يناير .
أما الرحلة الثانية فمن بومباى الى كلكتا التى اصلها فى يوم ٥ يناير . والرحلة الاخيرة من كلكتا الى رانجون فى يوم ٦ يناير وهو يوم افتتاح المؤتمر بالذات .
ولكن هل أصل الى رانجون بالفعل ؟ ؟ وهل اصل فى هذا الوقت المناسب . لقد بدأت المخاوف تنتابنى أن لاتتحقق هذه الامنية فلا يزال بينى وبين رانجون عقبات وعقبات واولها

**مخاطر الطائرة :**

ان الخط بين الحياة والموت خط دقيق جدا فى كل لحظة وآن وبينما نرى امامنا الحياة المتدفقة العارمة ، نراها فى أقل من ومض الخاطر وعلى غير انتظار او توقع ينبثق منها الموت . رجال اصحاء ونساء يفيضون بالحياة والقوة والهشاشة والبشاشة واذا بك تسمع نبأهم فى يوم من الايام وانهم قد فارقوا الحياة وقد يكونوا معك بالامس وقد يكونوا معك منذ لحظات ولكن حادثا فى الطريق دهمهم ، او مجرد موت الفجاءة

ومع ذلك فكراهية الانسان فى الموت وتعلقه بالحياة تجعله ينسى هذه الحقيقة

ولا يتصور الا انه حى دائما وان سنة الحياة قد تخطئه فيكون الخلود المادى من حظه .

ولكننى عشت طول عمرى بريئا من هذه الغفلة فانا رجل يتذكر المـوت فى كل لحظة بل يعيش مع الموت ومارقدت فى فراشى ليلة الا وتخيلت اننى قـد لا استقبل الصباح . ويخف هذا الشعور فى نفسى احيانا تحت ضغط الحوادث وقد يقوى ويشتد ولكنه لاينقطع ابدا .. وكثيرا ما استيقظت من نومى فزعا تحت تأثير الشعور بأنها النهاية . بل وسط أشد اللحظات بهجـة وسرورا ، كثيرا ما تقفز فكرة الموت الى نفسى ، فاذا بى اتوقف فجأة عن كل مايحيط بى واسرح فى هذه اللانهائية .. مع هذا السر الذى ينطوى عليه هذا الكون والذى يقف الانسان ازاءه حائرا مغلوبا على امره ، واعنى به سر الموت .. واذا كـان هذا شأنى فى الظروف العادية فلعلك تستطيع ان تتصور مقدار ضغط هـذه الفكرة على وانا راكب على متن طائرة وانا رجل حاد الخيال قـوى الشـعور والاحساس استحضر دائما فى نفسى فى كل موقف من المـواقف كل مايتصـل بهذا الموقف من حوادث سابقة . ومارکبت الطائرة الا وتمثلت لى كل هـذه الكوارث التى سمعت عنها وطالعت تفاصيلها عن احتـراق الطـائرات وفنـاء كل من كان راكبا بها ومانزال نسمع فى كل يوم . وعبثا يحاول الانسـان ان يخدع نفسه ان الطيران قد تقدم وان حوادثه قلت عن ذى قبل فمازالت حوادثه بنفس الغموض الذى كانت عليه حوادثه منذ القديم .. ولا زالت الطـائرة من اضخم الانواع واحدثها تغادر المطار وهى على مايرام ثم لايلبث ان يقع حادث مفاجىء فاذا بها تصبح أثرا بعد عين ومن المحـزن ان احـدا لايبـقى ليحدثنا عن هذا الحادث المفاجىء حتى يمكن تلافيه فى المستقبل ولذلك تبقى هذه الكوارث سرا مغلقا يتخبط الخبراء فى تعليلها ثم لايلبثوا ان ينسوها وتمضى الطائرات فى طريقها تنقل مئات الالوف بل مئات الملايين من البشر حتى يقـع حادث جديد ومرة اخرى يتساءل الخبـراء ، ثم يسـدل سـتـار النسيـان من جديد ..

على انه لم يعد لهذه الحوادث اى تأثير على الناس من حيث صدها عن ركوب الطائرات فالناس كلها تقبل على ركوب الطائرات هـذه الايام مسلحة بهـذا الشعور الذى هو نعمة الهية من غير شك وهو استبعاد فـكرة المـوت عـن الشخص صاحب الشأن انما الموت للاخرين وحوادث الطيران للاخرين وليست له ولذلك نرى الناس فى الطائرة وهم فى هدوء عجيب ( او على الاقـل هـكذا يبدون لى ) وليس فيهم من يفكر لحظـة ان هنـاك أى ذرة مـن الخطـر على سلامتهم .

اما انا فبالرغم من ركوبى الطائرات اكثر من مره وقطعى بها عشرات الالوف من الاميال .. بالرغم من انها كانت وسيلتى للسفر الى امريكا والى اوروبا والى آسيا فلطالما آليت على نفسى بعد كل مره غادرت فيها الطائرة ان لا أعود لركوبها ابدا لكثره ماينتابنى من الفزع والقلق طوال مرحلتى بهـا .. ولكنى كنت اعود دائما بارغم من هذا الشعور فاركب الطائره وأعود لتجرع هذا الفزع والقلق واعود للعهد من جديد ان لا اعودلركوب الطائرة ابدا وهكذا دواليك ما من مرة نزلت من الطائرة ولمست اقدامى الارض ثانية الا وشعرت كأننى قد ولدت من جديد ونجوت من خطر محقق . وطالما وجـدتنى اترنم بهذا البيت الشعرى القديم الـذى حفظنـاه فى طفولتنـا ، حيث خـاطب الشاعر فرسه

« انل قـدمى ظهـر الارض انى رايت الارض اثبت منـك ظهرا »

فزع .

ولامر ما كانت مخاوف هذه المرة وانا فى الطائرة الى رانجـون من اشـد ما جابهنى فى يوم من الايام .. ترىاكان مرجع ذلك الى حالتى العصبية التى كانت فى حالة اهتياج شديد لفكرة اننى مرة اخرى حر طليق ليس فقـط من السجن والقضايا والمتاعب التى عانيتها فى العامين الماضـين ولكن لاننى اخرج خارج القطر محلقا فى السماء ..

اكانت هذه الفكره التى تغمرنى بالفرح الشديد هى سبب اهتيـاج اعصابى مما جعلها ضعيفة مرهفة تخاف الى هذا الحـد ؛ ام كان المجهـود العصـبى المرهق الذى بذلته فى ذلك اليوم ام كانت الساعة المتأخره من الليل التى بدأنا فيها رحلتنا قبيل منتصف الليل ، وظلام الليل بطبيعتـه يبعث الى النفـس الخوف والقلق فضلا عن ان الجسد المتعب المنهك يكون اكثر عرضـة لهـذه المشاعر . ام كان ذلك تأثير هذه الكلمة العابرة التى قالها لى موظف شركـة الطيران فى ( ايرانديا ) فخورا معتزا ، فاذا به من حيث لايدرى يفقدنى الثقة ويمـلأ نفسى بالمخاوف .. قال هذا الرجل الطيب فخورا : الحمد لله ان كل طائراتنا لايقودها الا هنود وكل موظفى الحركة عندنا من الهنود سوف تركب فى طائرة هندية مائة فى المائة

وانا اعلم ان شركة (ايرانديا ) تسير على خطوطها اعظم طائرات ( الكوستليشن) واحدثها ، منافسة بذلك اعظم شركات الطيران العالمية ، ولكن يجب ان اعترف اننى لم ابتهج كثير بقوله ان قواد الطائره من الهنود فـلا نزال تحت تأثـير الظروف والزمن نطمئن اكثر واكثر لو قيل لنا ان قائد الطائره من الانجليـز

او الامريكان باكثر من اطمئناننا للهنود .. ايكون عدم ثقتي بالطيار الهندي هي التي ملأتني بهذا الخوف الشديد.؟ ! كيفما كان الامر وايا كان السبب، وقد تكون هذه الاسباب مجمعة هي التي جعلتني اعاني هذه الحالة الشديدة من التوتر الذي كنت عليه . والذي كان يصور لي في كل لحظة ان الطائرة قد تحترق في هذه اللحظة بالذات . وعليك ان تتصور كم عدد الدقائق في كل ساعة وكم عدد الثواني في كل دقيقة ومقدار ألم انسان يتوقع كارثة طوال هذه الثواني والدقائق والساعات الطويلة التي استغرقتها الرحلة من القاهرة الى بومباي ومقدارها اثنى عشرة ساعة .

## مخاوف اخرى

ذكرت فيما سبق انني لم اكن احمل مالا سوى عشرين جنيها وكان ذلك يبعث القلق الحقي في نفسي وان كنت شديد الثقة ان هذه اهون العقبات .. وكان ماشغلني بالاكثر هو انه لاتوجد معي تأشيرة لدخول بورما وقد لا استطيع الحصول على هذه التأشيرة لاى سبب من الاسباب او احصل عليها ولكن بعد انتهاء المؤتمر فلا اجد مايحفزني للذهاب وكنت اعزي نفسي فيما لو حدث ذلك ، فأنني سأكون في الهند وحسبي زيارة الهند هدفا في حد ذاته .

وكان هناك اخير هذا الذي قاله لي موظفو شركة الطيران في آخر دقيقة وهو انني يجب ان احمل شهادة طبية دولية تثبت انني قد حصنت ضد الجدري والكوليرا والحمى الصفراء وانه بدون هذه الشهادة فقد ترفض البلاد التي اقصدها ادخالي ، ولم يكن باستطاعتي اعداد هذه الشهادة ولذلك فقد سافرت على عهدتي ومسئوليتي ولولا ان شركة ( ايرانديا ) كانت حريصة على تسهيل مأموريتي رفضت اركابي الطائرة بدون هذه الشهادة

كان ذلك كله يختلط في نفسي مع مخاوفي الرئيسية الخاصة بما قد يصيب الطائرة فيجعلني في حالة اقرب ماتكون الى مرض النفس ولذلك فقد رحت ابتهل الى الله ان يهدىء نفسي ويذهب عني مخاوفي وان ينزل على امنة نعاسا يخفف عني هذه الالام

ولقد حل بي النعاس من غير شك وان كنت لم اشعر في اي لحظة انني نائم ولكن الوقت قد انقضى بالفعل بأيسر مما كنت أتصور وعندما طلع النهار وبدأ غيري من الركاب يستيقظون ويتحركون وجدتني شديد الرغبة في ان اتابع النوم .

وعندما جاءت اللحظه التي درجت فيها الطائره على ارض مطار بومباي

بعد ١٢ ساعة من الطيران المتواصل تذكرت ان هذه احسن رحلة قطعتها بالطائرة في أى مرة من المرات . وقدرت انه يحق للهند ان تفخر بطائراتها وطياريها وانناً منذ اليوم كشرقيين يجب ان نشعر بالاطمئنان والثقة ونحن نركب طائرة هنديه يقودها هندى باكثر من طائره انجليزية يقودها انجليزى . حقا ان هذه الطائرة الجبارة الرائعة لاتزال من صنع امريكا او انجلترا وهذه الانظمة التى تطبق فى داخل الطائرة هى صورة طبق الاصل من الانظمة المطبقة فى الطائرات الامريكية او الانجليزية ولكن الهند التى استطاعت بعد عامين فقط من نيل استقلالها ان تقف على قدم المساواة مع اكبر شركات الملاحة الجوية العالمية ، فلن تلبث بعد سنوات ان تنافس مصانع الطائرات نفسها وان هو الا جيل او جيلان حتى يبدأ الابتكار الهندى وقوة الابداع الهندية تساهم من جديد فى رفع البشرية والحضارة الانسانية . ولقد اتيح لى بالفعل ان ارى الخطوة الاولى فى هذا الاتجاه . طائرات من صنع الهند تسير يوم الاستقلال فخورة معتزة الى جوار الطائرات من صنع انجلترا وامريكا .

## - ٣ -

## فى بومباى

واخيرا هاأنذا فى بومباى ، هاأنذا على ارض الهند ها هو الحلم يتحقق .. لا محل الان لمخاوف الطائرة فأنا على الارض سليما معافى ، لا محل لتوتر الاعصاب لشدة الشوق الى هذا المجهول فهذا المجهول قد أصبح معلوما وما على الا أن أسمع وانظر وأراقب لكى أغوص الى اعماق هذا البحر المحيط .. بحر الهند ومحيطها ... بحر ومحيط لا من الماء الملح أو العذب ولكنه بحر ومحيط من الآدميين .. من بنى الانسان من العادات والتقاليد والاديان من اللغات واللهجات من الآمال والآلام من الاحزان والمسرات من الغموض والاشراق ، من الضعف والقوة ، من الحكمة والفلسفة والجهل والإمية ... انها الهند اخيرا وما ادراك ما الهند انها المهاتما غاندى فى الحديث وبوذا فى القديم . هند المسلمين والمغول هند الكنج والسند ... انها الهند الذين تعلمنا منذ الصغر ان نقول عنها « الهند والسند وبلاد تركب الافيال » كل ذلك لم يعد بالنسبة لى خريطة جغرافية ولا صفحات تطالع فى كتاب أو برقيات على راس صحيفة ... انها حقيقة واقعة وما على الا ان أفتح أذنى وعينى وأعمل فكرى لكى أحيط بهذا المحيط البشرى وأغوص الى أعماقه واسبح على أمواجه .

ولقد فتحت عيني وأرهفت اذني وشحذت ذهني وبدأت أطالع كل ما حولي.

لم اكد اجلس في السيارة التي ستنقلني الى الفندق الذي سأبيت فيه ليلتي ريثما أستقل الطائرة غدا الى كلكتا حتى اقبل على صحفيان وقد لفت نظرهما طربوشي ولما كانا قد اطلعا على قائمة ركاب الطائرة فقد تصورا انني لابد أن أكون هذا المصري المسمى أحمد حسين . وقد دلني ذلك على يقظة مندوبي الصحف وانهم يستقبلون كل القادمين ليتلقفوا منهم اخبارا أو تعليقات على المسائل المختلفة . ولقد انهالوا على بالاسئلة الدقيقة في كل ما يتصل بمصر وثورة الجيش وعهد النهضة وكانت الاسئلة تدل على ادراك عميق لادق تفاصيل الثورة المصرية . وتدل في الوقت ذاته على السمعة الحسنة التي اصبحت مصر تتمتع بها . ولقد أجبت على كل أسئلتهم . فبادروا بنشرها في صحفهم في اليوم التالي

تحركت السيارة أخيرا نحو المدينة فبدأت ارى عجبا فمدينة بومباى تقع في منطقة جبلية وليست في منبسط من الارض ولذلك فسرعان ما رأيت المناظر المألوفة التي نراها في كثير من مدن اوربا عند ما نقدم عليها ، هذه المرتفعات المكسوة بالخضرة والبيوت التي تنبثق من خلالها بأسطحها الحمراء

وبدأت تطالعني شبكة ضخمة من الاعمدة والاسلاك الكهربائية مما ذكرني بمثيلاتها في امريكا وكلما مضت السيارة في طريقها واقتربنا أكثر وأكثر من المدينة كلما ازددت احساسا أنني اقترب من مدينة عصرية ضخمة ولعل القطارات الكهربائية التي كانت تروح وتجيء هي التي ادخلت على نفسي هذا الشعور .

وأخيرا بدأنا ندخل في نطاق المدينة وبدأت الصورة الخاطئة في رأسي عن الهند تتزلزل وتتداعى في قوة وعنف تحت ضغط الحقيقة الماثلة امامي ، حقيقة العاصمة الضخمة التي ترفع رأسها الى جوار اى عاصمة من عواصم العالم الكبرى . ورأيت نفس سيارات الاتوبيس التي لا نراها الا في لندن وفي أمريكا وهي السيارات الحمراء ذات الطابقين ورأيت الترام ذا الطابقين الذي يوجد لدينا منه بضع عربات تسير في خط الرمل بالاسكندرية . ولكنها هنا بالمئات . ووجدت الشوارع المنسقة الفسيحة والميادين الشاسعة وهي كلها تغص بالحركة والحياة التي ترى في المدن الكبرى

وكان ذلك مفاجأة لي فقد قدمت الى الهند وانا اتصور انني لا أكاد اضع قدمي على ارضها حتى يصافحني الخمول والفقر والمناظر المؤذية ... وكنت قد وطدت نفسي على أن أحتمل جوا خانقا كريها يثقله الذباب والناموس وشتى صنوف الحشرات وعلى رأسها اناس قد صيرهم الفقر والجهل والمرض احط من الحشرات فهكذا طالعت في بعض الكتب الانجليزية

تصويرا للهند ... فاذا بى ارى شيئا جعلنى ادرك على الفور لماذا انسحب الانجليز من الهند فى سلام فقد وجدتنى اقول لنفسى بصوت مرتفع ما كان بقــدرة الانجليز ان يبقوا فى بلاد هذا مــدى ما وصــلت اليه من التطــور والضخامة والحركة

على ان الذى لا جدال فيه بعد ان طوفت فى بعض بلاد الهند ان مدينة بومباى بالذات هى ارقى مدن الهند على الاطلاق وان كلكتا نفسها التى كانت الى عهد قريب هى عاصمة الهند لا ترقى الى مستوى بومباى وان كانت تزيد عنها فى عدد السكان الذين يناهزون الان ستة ملايين

وعند ما دخلت بنا السيارة الى قلب المدينة تجلت الابنيــة الشاهقــة ابنية البوستة العمومية ودار القضاء والمجلس البلدى وبنوك المــال وهى كلها ابنية ضخمة بنيت على طراز فيه مسحة من روح الهند ولكن اساسه الفن القوطى حتى لكان الانسان فى ميونيخ او براج او بعض بلدان اسكتلندا

وخرجنا من قلب المدينة الى كورنيش على البحــر كأنه توام كورنيش الاسكندرية الا ان يكون أطول منه وأضخم ووصلنا فى النهاية الى الفنــدق الذى نقصده والذى أطلقوا عليه اسم (التاج محل) وهو اعظم فنادق بومباى ويملكه ذات الرجل الذى يملك شركة الطيران الهندية وهو « تاتا » وسرعان ما ارتسم فى ذهنى صورة هؤلاء الجبابرة من رجال المال فى امريكا فهــذا هو واحدمنهم هنا فى الهند يملك اسطولا من الطائرات تجوب العالم ويبلغ ثمن الواحدة منها مليون من الدولارات او مايقرب من ذلك .. وهو يملك الفندق العظمى وذلك كله بخلاف المصانع الكبيرة التى تنتج الصناعات الثقيلة .. لقد سبق لى أن طالعت عن هذا الرجل ولكن شتان بين أن تطالع وبين ان تلمس بيدك عمق الحقيقة

وفندق التــاج محل الذى نزلت فيه او بالاحرى انزلتنى فيه شركة الطيران على حسابها ريثما تنقلنى فى اليوم التالى الى كلكتا، هذا الفندق كسائر الفنادق الكبرى فى العالم صورة طبق الاصل من بعضها. وقد اعطيت لى حجرة ضخمة ذات حمام ولاول مرة رايت مراوح الهند الكهربائية المعلقة فى السقف التى يراها الانسان فى كل مكان والتى كانت مستعملة فى بلادنا ولكنها فى طريقها للانقراض لامر ما فبعض كبرائنا اصبحوا لا يطيقون حر مصر فهجروها الى اوربا او على الاقل الى شواطىء البحار فلم تعد بهم حاجة الى استعمال المراوح. والسينمات الصيفية قدحلت محل السينمات الشــتوية فلم يعد هناك مايدعو لاستعمال المراوح والمحــلات التجارية وبعض السينمات بدأت تدخل نظام تكييف الهواء وبالجملة فقد بدأت هذه المراوح الكهربائية تختفى من مصر ولكنها فى الهند كما رايت لاول مرة فى المطار وفى هــذا الفنــدق تحتل مكانا رئيســيا بارزا ففى كل مكان يذهب اليه الانسان يرى هذه المراوح معلقة فى السقف وقد كان منها فى حجرتى ثلاث مراوح

وفى قاعة الطعام كان يوجد مايزيد على الخمسين من هذه المراوح وفى الصالات والابهاء وفى كل مكان مراوح ... وقد قيل لى أنه فى زمن الصيف اذا توقفت هـذه المراوح عن الدوران فقـد يختنق بعض الاوربيين من شدة الرطوبة والحرارة معا .

وكان على بعد ان تناولت طعام الغداء واستقر بى المقام فى الفنـدق ان انزل لاقف على معالم المدينة ولكى احجز مكانى فى الطائرة المسافرة فى اليوم التـالى الى كلكتا ولكى احاول ان عالج مشكلتى الكبرى مشكلة الحصول على بعض المال وكان الامل فى حل هذه المشكلة بل مجرد التفكير فى حلها هو ضرب من العبث او قل الهوس ومع ذلك فقد كان لامناص لى اذا اردت ان اشعر بشىء من الثقة وان اطرد الهواجس عن نفسى وخاطرى أن أحل هذه المشكلة وان احصل على نقود عن طريق هذا الخيط الذى امسك بطرفه وطرفه الثانى فى الهواء ... فى المجهول ...

## البحث عن ابرة فى جوف المحيط

ذكرت سابقا اننى عندما ذهبت الى القنصلية الهندية لاحصل على تأشـيرة الدخول الى الهند اعتذروا فى بادىء الامر ثم دخل على صديق هندى فتوسط لى للحصول على التأشيرة وليست هذه هى كل القصة أوبالاحرى اروع ما فى القصة .

فان صديقا هنديا آخر طالما اشعرنى بعطفه وصداقته ، وكان يضايقنى أن اسافر الى الهند دون أن أراه فاذا بى لاأكاد اهم بركوب الطائرة يؤرقنى موضوع النقـود حتى ظهـر فى آخـر دقيقـة قائلا لى ان لـه اخـا فى الهـد جـاء الى مصر من قبل وقد زارنى فى البيت الاخضر فاذا احتجت لاى مبلغ من المال فى الهند فباستطاعتى ان احصل عليه منه. واعطانى اسم ذلك الصديق وعنوان مكتبه ورقم تليفونه ولكنه اخبرنى انه لايحضر الى مكتبه يوم الاحد وانه يجب على ان انتـظر حتى يوم الاثنين لاتمـكن من الاتصـال به . وزودنى بخطـاب توصية للرجل .

ووصلت بومباى يوم الاحد واسرعت بالاتصـال تليفونيا بالرجل وكما قيل لى من قبل لم يكن هناك احد فى المكتب وبالتالى ظل التليفون يدق دون مجيب وكانت الطائرة تغادر بومباى الى كلكتـا فى صبـاح الاثنـين المبـكر جـدا اى انه لاتوجد أى فرصة لمقابلة الرجل . ولذلك فقد كان على ان اعثر عليه فى يوم الاحد اذا اردت ان احصل على بعض المال استعين به على رحلتى . وخرجت الى شوارع بومباى ابحث عن رجل وسط هذه الملايين لا اعرف عنه الا اسمه

وهذا الاسم يشبه فى الهندية من حيث الشيوع اسم محمد بين الاسماء الاسلامية ولطالما قابلك فى الطريق ريفى يسالك اذا كنت تعرف « فلانا » فتسخر من هذا القروى الساذج الذى يظن ان القاهرة كقريته يعرف فيها الناس بمجرد ذكر اسمائهم . ولك أن تسخر منى تطبيقا لذلك اضعافا مضاعفة فقد رحت فى بلد اجنبى يزيد سكانه على ثلاثة ملايين ابحث عن رجل لا اعرف سوى اسمه بين هذه الملايين ومع ذلك فقد كنت شديد الثقة اننى ساجده لاننى يجب ان اجده فالمسألة مسألة حياة او موت

بدات ابحث عن عنوان مكتب الرجل فذهبت اليه ولم تكن هذه مهمة سهلة فى حد ذاتها فسائق التاكسى لايعرف الانجليزية والطريق الذى يوجد بهعنوان الرجل طريق غاص بالحركة والبيوت والمكاتب .. ونظام نمر المنازل بدا لى معقدا بحيث احتاج الامر الى مايقرب من الساعة ونحن فى الشارع المقصود لنعثر على مكتب الرجل . ولم يكن هذا المكتب سوى حجرة فى عمارة وكان مغلقا كما هو المتوقع والمنظور ولم يكن هناك من يعرف شيئا عن الرجل وأين يوجد او يسكن . وكانت الصعوبة هى عدم معرفتى لغة القوم ولكن الطربوش الذى كنت أرتديه كان يخف لنجدتى فقد تقدم بعض المارة الذين يعرفون الانجليزية وتوسطوا بينى وبين بواب العمارة . فنقلوا له اننى محتاج لهذا الرجل واريد العثور عليه ( من تحت الارض ) بأى ثمن من الاثمان واننى على استعداد لدفع أى مبلغ من النقود للعثور عليه . وبدأ الرجل يفكر وبعد لأى قال لنا أنه يعرف رجلا قد يستطيع ان يستدل على بيت صاحبنا فطلبنا منه ان يعجل بالعثور على هذا الرجل فاستمهلنا حتى يرتدى ملابسه ثم تركنا للبحث عنه وبعد ساعة قضيتها على احر من الجمر ، عاد يخبرنا انه عثر على الرجل وانه فى الطريق الينا . ثم جاء الرجل وفهمت أنه يعرف الطريق الى منزل صاحبنا فاستبشرت خيرا وركب معنا السيارة وتوجهنا الى حيث يقيم صاحبنا التاجر واذا بمرافقنا يأتى بنا الى ميدان وشارع يغصان بالحركة أشبه بتقاطع شارع فؤاد وعماد الدين وميدان العتبة الخضراء معا ثم يقول لنا « هنا فى هذا المكان يوجد بيت الرجل ولا أعرف عنوانه بالضبط » وغمرنى اليأس فقد بدت المحاولة كأننا نبحث عن ابرة فى قاع المحيط وكانت جموع الناس تروح وتجىء كأنها الطوفان من حولى ومع ذلك فقد كان فى نفسى شعاع من الأمل أننا سنعثر على الرجل فى نهاية الامر ذلك لانه لم يكن هناك مناص من العثور عليه فالمسألة مسألة حياة أو موت والا فكيف اذهب الى رانجون فى اطراف آسيا بغير مال سوى عشرين جنيها انفقت منها اربعا او خمسا وانا فى اول محطة للطريق .

وبدأ الرجل مباحثه بصورة تدعو للرثاء فقد كان يدخل الى العمارات

الشاهقة واحدة بعد أخرى يسأل عما اذا كان صاحبنا التاجر يسكن فيها وكان يلقى نفس الجواب وهو انهم لايعرفون شيئا عن الشخص المسئول عنه

ومضت هذه العملية العقيمةدون جدوى وكان سائق التاكسى بطبيعةالحال شديد السخط على هذا اليوم الاغبر الذى أوقعه فى يد مجنون يبحث عن رجل فى بومباى ذات الثلاثة ملايين وهو لايعرف سوى اسمه .

وانتقلنا من مكاننا هذا لامر لا اعرفه الى مكان آخر خلف هذا الميدان المزدحم وراح صاحبنا ( الذى لا يكل ) يدخل البيوت ويطرقها بيتا بعد بيت وشقة بعد اخرى فتركته يمضى فى هذه العملية السخيفة ووقفت فى هـذه الحارة المظلمة حائرا يائسا وكان هناك حانوت مفتوح يبيع انواع البقالة فاقتربت منه ووقفت اتحدث مع الرجل عما نحن فيـه من أشكال . وسأل الرجل سـائق التاكسى الاسئلة المعروفة ما هو العنوان بالضبط الذى قيل لكم ان الرجل موجود فيه فجاءه الرد ان ليس لدينا عنوان ... وتواضع الرجل فسأل اذن ما هو اسم الشارع فقال له ولا نعرف الشارع لانعرف سوى اسمه ... وابتسم الرجل فى أدب وحياء ولم يقل شيئا ولكنى كنت اعلم ماذا يدور فى خلده ... وبدأ يتجمع حولنا بعض عابرى السبيل وكأن منظرنا قد استلفت النظر

ولم أكن اعرف مايدور حولى فقد كان التخاطب بغير الانجليزية وانما باللغة الهندوستانية وفجأة وجدت شخصا من بين المتجمعين حولنا . يطيل النظر الى ولقد رحت أسائل نفسى عما اذا كان هذا الذى يحدق الى هكـذا رجـلا او امرأة فقد كان مرسل الشعر وتبدو قسمـات وجهه كأنه أنثى .. ثم قيل لى أن هذا الشخص ( وقد اتضح انه رجل ) يقول انه يعرف صاحبنا التاجر وانه على استعداد ان يقودنا اليه . ولم يطف فى ذهنى أن ذلك شىء جـدى ومع ذلك فقد ابديت استعدادى ان نتبعه حيث يقودنا ولسان حالى يقـول « أنا الغريق فما خوفى من البلل » لقد كنت قد يئست من العثور على الرجل وسط هذا البحر ومع ذلك فانهذا الامل الخفى اننى سأعثر عليه فى النهاية ، هو الذى جعلنى استسلم للمقادير فاتبع الرجل حيث يقودنا . وبدأ يقودنى وسائق التاكسى فى شوارع وازقة مظلمـة أعادت الى ذهنى كـل الـروايات البوليسية التى شاهدتها طوال حياتى فى السينما وامتلأت شعورا بالرهبـة والخوف وبدأت الهواجس تنتابنى والرجل يسير بنا فى شوارع مظلمة ما هو الضمان ان ذلك الرجل ليس سارقا او قاتلا وقد وجد اننى غريب مجهـول واننى لابد احمل مبلغا من المال فراح يستدرجنا الى حيث نقتـل وتسـلب أموالنا او على الاقل تسلب هذه الاموال . وامتلأت نفسى بهذه الفكرة ومـع ذلك فلم يكن هناك سبيل للتراجع وكان لابد من السير فى الطريق حتى النهاية اذا اردنا الوصول الى الرجل

وبدا الرجل يصعد بنا فى عمارة مظلمة واشتد بى القلق ومع ذلك فلم يكن هناك مناص من الصعود والمضى فى الطريق حتى النهاية . وكان هذا الرجل الذى يقودنا صامتا لايتكلم وكان هذا مما يزيد فى القشعريرة التى احس بها .

واخيرا وقف بنا امام باب احدى الشقق وقال هذا هو مكان صاحبكم . وكان على الباب رقعة نحاسيه عليها اسم اقرب مايكون الى اسم التاجر الذى احمله ولكنه لم يكن هناك ولم يكن هناك احد فى الشقة سوى صبى لم اعرف اذا كان ابنه او خادمه ولذلك فلم استطع ان اتحقق اذا كان هذا هو بيت الرجل المقصود ام لا وعلى كل حال فقد كانت هذه فرصتى الوحيدة فكتبت للرجل رسالة بالانجليزية أعلمه فيها بحضورى واننى ساعود اليه فى ساعة متأخرة من الليل الا اذا جاء قبل ذلك فيتصل بى فى الفندق . ثم انصرفت تاركا الامر لله بعد ان تصورت أننى أديت واجبى فى البحث عن الرجل على الوجه الاكمل .

وبينما كنت جالسا اتناول العشاء وقد نسيت كل شىء عن موضوع الرجل فقد كان اليأس قد استولى على نهائيا .. واذا باشخاص يسألون عنى .. واذا بصاحبنا التاجر واحد ممن يسألون واذا به هو المقصود بالفعل واذا به يخبرنى انه يعرفنى وانه زارنى فى مصر بالذات وهو يضع خدماته تحت تصرفى ولا اظنك ايها القارىء فى حاجة الى أن احدثك عن مدى فرحى وسعادتى بهذا الانتصار العجيب وهو العثور على رجل من بين الملايين وقلت له اننى فى حاجة الى بعض المال مما يساوى مائة جنيه مصرى من الروبيات الهندية فرد على أنه سيجهز لى المبلغ غدا بمجرد ان يفتح البنك بابه . فضحكت وقلت له اننى فى حاجة الى هذا المبلغ حالا لانى سأسافر فى الفجر

وصعق الرجل وصرخ قائلا « حالا » ومن اين آتيك بالمبلغ والساعة الان الحادية عشرة مساء ولا يوجد انسان اعرفه يمكننى ان اطرق بابه الآن لأجد لديه هذا المبلغ قلت له هذا هو السبيل الوحيد لخدمتى وهذا خطاب صاحبك . وأطرق الرجل براسه لايعرف ماذا يفعل .. وفيم هو كذلك اذا برجل هندى يقترب منا ويسلم على صاحبى فى اشتياق لعدم رؤيته له منذ عامين مضتا ويجلس معنا فيقص عليه صاحبنا قصتى وحاجتى الى الف وثلثمائة روبية فى الحال وهو لايعرف كيف يدبرها لى فاذا به يقول لنا على الفور أطمئن فان عندى هذا المبلغ وسأحضره لك ثم يغيب لحظات ليعود حاملا المبلغ فيسلمه لى .

## ماهو تفسير ذلك ؟ ؟

والآن ماهو تفسير ذلك ؟ . ماهو تعليل هذه الظاهرة العجيبة ؟ ! ان الكثيرين تمر بهم امثال هذه الحوادث فلا يقفون امامها فضلا عن ان يعنوا بتسجيلها ومحاولة استكناه سرها وكثيرون من يقولون انها مصادفه سعيدة ويرون أن كلمة المصادفة هذه كافية لتفسير الموقف . اما الناس الطيبون المؤمنون فيقولون ان هذا توفيق من الله وان الله أراد ان يساعدني على تمام رحلتي فيسر لي هذه الاسباب ، وانا رجل مؤمن أشد الايمان بالله ابتهل اليه في كل خطوة من خطواتي وفي كل صباح وامسية ومع ذلك فانني أتصور ان استجابة الدعاء لاتتم الا وفق سنن وقوانين بثها الخالق في هذا الكون . وماالايمان في استجابة الله للدعاء الا شحنة روحيه تملأ النفس او قل شحنة كهربائيه او تصورها طاقة من نوع ما . هذه الطاقة تفعل فعلها في الخارج فتحضر لك الغائب أوتعثر على الضائع او تحقق المطلوب من أى نوع كان . بفضل هذه الطاقة المنبعثة من الايمان بالله وانه لابد سيجيب المضطر اذا دعاه عند بعض الناس ، ومايوصف بأنه الارادة القوية عند البعض الاخر ، او الثقة بالنفس عند البعض الثالث كل هذه المسميات « الايمان ، الارادة ، الثقة » أتصور انها تخلق في النفس طاقة معينة هي التي تحدث في الخارج الاثر المطلوب ثم تحدث الاسباب والعلل مسبباتها ومعلولاتها . وعندي أن العلم لابد سيكتشف في يوم من الايام حدود هذه الطاقة وسيوجد لها مادة القياس التي يقيسها بها كما نقيس الآن قوة الكهرباء او قوة الصوت او قوة الضوء والحرارة .

لاشك عندي ان ارادتي الشديدة في ان اقابل صديقي الهندي في مصر قبل سفري الى الهند هي التي جاءت به الي القنصلية في ذات الدقيقة التي وصلت اليها فيها . ولاشك عندي أن ارادتي في العثور على هذا التاجر في مدينة بومباي هي التي اوجدته من خلال هذه الملايين الثلاثة الذين يؤلفون سكان البلدة وان ارادتي القوية في أن احصل منه على المال هي التي ساقت اليه صاحبه الذي زوده بالمال .. لا أستطيع بحال من الاحوال ان اسمي ذلك مصادفات فانها سلسلة متصلة الحلقات تتجه كلها نحو غاية واحدة وهي تمكيني من السفر والرحلة وهو ما اتجهت اليه ارادتي بكل عزم وقوة .

ولاشك عندي اننا عند ما نؤمن بالله وانه سيجيب دعاءنا فان ذلك يزيد في قوة ارادتنا وفي ثقتنا فتتضاعف هذه الطاقة التي تتم بها الامور ..ولست اريد ان اسهب طويلا في هذا البحث الذي يشغلني طويلا لئلا نخرج عن موضوع رحلتنا وحسبي الآن هذه الاشارة ريثما اتفرغ للموضوع في بحث مستفيض

# - ٤ -
# فى كلكتا

وجاءت الساعة التى وجدتنى فى الطائرة من جديد صوب كلكتا وشتان بين شعورى فى هذا القسم من الرحلة وشعورى الذى وصفته من قبل . فأنا الان اطير فى النهار لا فى الليل ولذلك فان مخاوف الليل وهواجسه لا محل لها والرحلة بين بومباى وكلكتا لاتتجاوز اربع ساعات فهى لاتكاد تذكر بالنسبة لرحلة تطول ١٢ ساعة بالطائرة . وانا الان اكثر شعورا بالثقة ففى جيبى الف وثلثمائة روبية واهم من ذلك شعورى بالتوفيق الذى صاحبنى على خير وجه وساكون اليوم فى كلكتا اى الخامس من يناير وغدا تقوم الطائرة الى رانجون اى اننى ساصل اليها فى الموعد المقرر لافتتاح المؤتمر ولن تفوتنى الا حفلة الافتتاح فى الصباح . ولم يكن ينقصنى الا ان احصل على تأشيرة الدخول من قنصلية بورما فى كلكتا وهذه قد ابرقت اليها من بومباى اخبرها اننى فى الطريق اليها للحصول على هذه التأشيرة وارجو منها عمل التسهيلات اللازمة لذلك . كما ابرقت لرانجون لسكرتير المؤتمر اطلب منه القنصلية فى كلكتا لاعطائى التأشيرة .

وهكذا اقبلت على كلكتا رضى النفس مطمئن الضمير الى ان كل شيء سيسير على ما يرام . وبالرغم من صغر حجم الطائرة فقد كانت من طراز داكوتا ذات المحركين فقد كانت الرحلة مريحة جدا وبدات انظر الى المناظر التى نمر فوقها وقد كانت كلها مروجا خضراء لا أثر فيها للمرتفعات والمنخفضات ومن حين لاخر كانت تتجلى مجارى الانهار كانها صفحة فضية ينعكس عليها نور الشمس او مراة وكانت تبهرنى هذه المساحات اللانهائية من المروج الخضراء وهى كلها بطبيعة الحال مزارع يعيش عليها الفلاح الهندى . وبدات عقارب الساعة تدل على اننا قاب قوسين أو ادنى من كلكتا وبالتالى بدأ هذا المنظر الغريب الذى تراه فى الخريطة ، يتجلى على الطبيعة حيث تؤلف دلتا نهر الكنج . ماشبه ان يكون مجموعة ضخمة من البحيرات المستطيلة وادركت على الفور لماذا كانت هذه المنطقة من الهند مكتظة بالسكان الى ابعد صورة يتمثلها العقل فحيث يوجد الماء العذب وجدت الحياة دائما وفى دلتا الكنج تجمع عشرات الملايين من البشر وتكاثروا حتى لكأنهم اصبحوا غير قابلين للعدد وحسبك ان تتصور ان الباكستان الشرقية ليست سوى جزء صغير من هذه المنطقة ومع ذلك فانه يعيش فيها اربعون مليون مسلم

وهبطت الطائرة الى مطار كلكتا وبينما كنت اهم بمغادرة القطار واذا بى

القاجا بمصرى يعانقنى ويهتف بى اهلا وسهلاوقد كانتمفاجاة سارةوسعيدة وزاد سرورى بها عندما علمت ان صاحبى هو قنصل مصر الجديد فى كلكتا والذى وصل اليها منذ تسعة اشهر فقط لافتتاح القنصلية الجديدة وهو الاستاذ مختار زكى وقد سبق لى ان قابلته فى انجلترا . وقد انسانى هذا المواطن الكريم فى لحظة اننى فى بلد غريب فقد تولى عنى كل شىء ولم يدع لى الا شيئا واحدا وهو ان انعم بضيافته وكرم اخلاقه ووطنيته العالية الدقيقة وسرعان ما علمت انه يفعل مثل ذلك لاى مصرى يفد الى هذا الجزء من العالم ويعتبر نفسه فى الدرجة الاولى فى خدمة اى مواطن مصرى يفد الى كلكتا وقد كان هذا لونا جديدا من شبابنا الجديد اقابله لاول مرةبعد العهد الجديد وقد بدأ يحس بواجبات العهد الجديد وان مصر كلها اصبحت اسرة واحدة يخدم اعلاها ادناها ويسهر كبيرها على صغيرها ويساعد مقيمها مسافرها

وعندما ركبت معه سيارته لتدرج بنا لاول مرة على ارض كلكتا فى الطريق الى الفندق الذى انزلتنى به شركة الطيران ، وهو اكبر فنادق المدينة Great Eastern Hotel بدا يفسر لى كيف عرف بموعد وصولى الذى لم أعلم به أحد فقد اتصل به قنصل بورما عندما استلم برقيتى يسأله عما اذا كان يعرفنى فكان هذا السؤال مفاجأة للاستاذ مختار وسأله متى أصل فأجابه اننى قادم عند الظهر فأسرع للمطار لاستقبالى على الفور

وعندما بدأ يحدثنى عن مخاوفه من ان لا يلحق بى فى الوقت المناسب كان يضع امام ناظرى مشكلتين من مشاكل الهند

## البقر ... البقر :

فأما خوفه الاول فمن اعتراض البقر لسير السيارة ويكفى ان تكون هناك بقرة تتوسط الطريق سائرة او نائمة لكى تعطل حركة المرور الى ان يتم تحريكها فى لطف وهدوء عن طريق السيارة وكان يصور لى مدى سوء البخت الذى قد يحدث فى بعض الاحيان فلا يقابل فى طريقه الى المطار بقرة واحدة بل عدة بقرات فى اماكن متفرقة وان هذا قد يستغرق ما لا يقل عن ساعة ولكنه كان حسن الحظ فلم تعترض سير سيارته هذه المرة اى بقرة وهو حادث نادر .

- اما مخاوفه الاخرى فقد كانت تدور حول العلم المصرى المرفوع على مقدمة السيارة فعلم مصر يشبه علم الباكستان بما يوشك ان يكون تطابق الا بالنسبة للرجل الخبير ورجال البوليس فى كلكتا يمقتون كل المقت علم الباكستان ولا يتورعون عن استخدام اى وسيلة قانونية ليزعجوا بها رجال السلك السياسى

الباكستاني . وكان هذا اول ما اسمعه عن مدى هذا التوتر الشديد بين الهند والباكستان والروح العدائية التي تضمرها الهند للباكستان . واذا كانت بومباى قد اشعرتني منذ الوهلة الاولى انها مدينة ضخمة جميلة فان كلكتا قد اشعرتني على الفور بانها مدينة هندية صميمة لا تبعد كثيرا عن هذا المستوى الذى نتصوره عن مدن الهند . . لقد بدا هذا لبفر الذي حدثتني عنه قنصلنا في كلكتا ، بعترض طريق سير السيارة في حمول وكسل ولم نكن هناك من حولنا هذه المرتفعات والتلال المكسوة بالخضرة كما هو الشأن في بومباى فالارض هنا مسطحة وهو ما يقلل دائما من جمال المنظر العام . وكان الجو حارا غير بارد ولاول مرة رايت ( الركشا ) وهي العربة التي يركبها الناس ويجرها انسان كأنه حيوان وهو من يطلقون عليه كلمة ( الكولى ) وقد سبق ان رأيت هذا المنظر في السينما فاشمأزت نفسي لهذا الهوان وها أنذا اصبحت اراه وجها لوجه لا في الخيال ولكن في الحقيقة وقد كانت الحقيقة اكثر مرارة من الخيال . فان يجر انسان انسانا آخر ويعدو به اميالا واميالا في بعض الاحيان كان هذا فوق احتمال اعصابي لولا انني كنت موطدا نفسي من قبل على هذه الصور وما هو اسوأ منها . ولقد كان مظهر التطور الجديد في آسيا كما رايت فيما بعد في رانجون وفي بقية مدن الهند الاخرى ان هذه العربة قد ركب عليها دراجة واصبح الكولى يسوق الدراجة . سارت السيارة وهي تدخل في حدود المدينة وسط احياء غاصة بالحركة ولكنها منخفضة المستوى ثم وصلنا الى قلب المدينة وكان كل شيء يؤكد لي ان كلكتا دون بومباى بمراحل وان هذه المدينة الاسيوية الكبرى ذات الستة ملايين من السكان والتي كانت عاصمة الهند الى وقت قريب هي عاصمة شعب زراعي بكل ما كان في الشعوب الزراعية من تخلف حتى الآن . وسوف اعود التحدث عن كلكتا بالتفصيل فيما بعد حيث سامكث بها بضعة ايام ، أزور فيها متاحفها ومصانعها واتلمس طابع ضعف الهند القديمة وقوة الهند الجديدة الزاحفة ، اما الآن فقد كانت كل افكاري وحواسي متجهة صوب رانجون التي يجب ان اصل اليها غدا ولذلك فلم نكد نصل الى الفندق الكبير واضع امتعتي به واعرف حجرتي حتى اسرعنا الى القنصلية البرمانية وبعد صعوبات كثيرة ذللناها في الساعة الثامنة مساء ، وقد ظلت القنصلية مفتوحة حتى هذه الساعة المتاخرة من الليل خصيصا لتسليمي جواز السفر ) كانت معي الاوراق اللازمة لدخول بورما اخيرا .

***

**اتلى وانا في الطائرة**

وفي يوم الثلاثاء ٦ يناير قبل الظهر كنت من جديد على ظهر احدى الطائرات

الكبرى للشركة الجوية البريطانية لما وراء البحار B.O.A.C وقد شعرت على الفور بالمستوى الرفيع للخدمة بصفة عامة ونظافة الطائرة واناقتها من الداخل
والمسافة بين كلكتا ورانجون لاتزيد عن ثلاث ساعات تطيرها الطائرة فوق الماء عابرة خليج البنغال .
وكان من المصادفات القوية ان المستر اتلى زعيم حزب العمال ورئيس وزراء انجلترا السابق كان يركب نفس الطائرة وكان قادما عليها من نيودلهى وكنت اعرف سلفا من مطالعتى للصحف ان المستر اتلى سيكون على هذه الطائرة ولقد دار فى خلدى ان استغل هذه الساعات الثلاث فى الحديث معه عن مصر وعن المؤتمر الذى سنشترك فيه سويا وان اناقشه فى بعض اخطائه تجاه مصر وحربه برجال بوليسنا وشبابنا هذه الحرب الوحشية على ضفاف القنال بدلا من ان يجلو عن مصر ... ولكنى لم استقر على راى فيما نكون عليه تصرفى عند ركوب الطائرة وقررت ان ادع الامر للظروف .
فلما ركبت الطائرة وهى فى العادة تنقسم الى قسمين قسم فى المؤخرة وآخر فى المقدمة وجاء مقعدى فى مقدم الطائرة بينما كان المستر اتلى فى مؤخرتها وجدت نفسى قليلة الرغبة فى ان انتقل اليه واتحدث معه .. وقد رحت أعنف نفسى على هذا الشعور وتصورت اننى أضيع فرصة على قضية بلادى فهذا رجل كان الى وقت قريب هو رئيس حكومة انجلترا وهو زعيم حزب المعارضة فى الوقت الحاضر والمعارضة فى انجلترا تشترك دائما فى تسيير دفة سياسة انجلترا الخارجية . ولقد سافرت الى انجلترا ثلاث مرات فى عام ١٩٣٥ و١٩٣٨ وفى سنة ١٩٤٩ وكان أقصى ما اتصوره من نجاح فى هذه الرحلات الثلاث هو ان احظى بمقابلة اتلى لبضع دقائق احدثه فيها عن ضرورة الجلاء عن مصر وقد اتيحت لى هذه الفرصة مرة واحدة فى سنة ١٩٣٥ ولذلك فقد كانت انجح رحلاتى أما بعد ذلك فلم اتمكن من مقابلة اتلى بل لم اقابل سوى نائب او نائبين جرت لى معهما احاديث عابرة ... وها هى الفرصة قد اتيحت لى لاتحدث مع اتلى ثلاث ساعات كاملة فما على الا ان أذهب للجلوس الى جواره ويكفى ان يعلم اننى مندوب مصر فى المؤتمر الذى بقصده لكى يبتهج بالتحدث معى على الاقل لمحاوله اقناعى بوجهة نظره التى جاء يدافع عنها فى المؤتمر الا وهو ضمه الى المؤتمر الاشتراكى الاوربى.... ومصر هذه الايام تشغل بال انجلترا فى الدرجة الاولى ولابد انه يتوق لسماع وجهة نظرى عما هو حادث فى مصر .
كل العناصر كانت تؤكد ان حديثى معه على ظهر هذه الطائرة سيكون ذا قيمة كبرى وذا خطر ومع ذلك فكلما استعرضت هذه العناصر كلما وجدتنى اكثر زهدا فى محادثته ، وجدتنى اقول " من هو اتلى وماذا يستطيع ان يفعل لمصر هذه الايام ... سوف يقول لى اذا حادثنى بضع عبارات لطيفة وان انجلترا

كانت على استعداد دائما ان تجلو عن مصر وكل ما تريده هو اتفاقية مع مصر لتؤمن مركزها العسكرى فى حالة قيام حرب وسيحاول ان يحدثنى عن الخطر الشيوعى وان مصر لن تستطيع ان تدفع عن نفسها خطر روسيا وان انجلترا نفسها هذه الايام توجد بها عساكر امريكية . هذه هى الحجج التى سوف اسمعها منه كما نسمعها من كل انجليزى ، وكما هى مكتوبة ومنشورة على صفحات جرائدهم كلما جاء ذكر مصر ورغبتها فى الجلاء واذن فلن يكون للحديث اى جدوى . ولم أجد فى نفسى أى شعور بالغبطة لمجرد اننى سأتحادث مع رئيس وزراء انجلترا السابق ولم أشعر ان ذلك يزيدنى فى عينى نفسى قدرا أو احتراما . ولقد جئت لهذا المؤتمر لاتصارع معه ولاحبط مساعيه وقد يجعلنى التحدث معه فى هذه المناسبة اكثر رغبة فى مجاملته وقد يورطنى بصورة من الصور واذن فمن الخير لى أن أظل بعيدا عنه . وهكذا ظللت رابضا فى مكانى طوال الساعات الثلاث التى استغرقتها الرحلة حتى لايقع نظره على نظرى مما قد يؤدى الى تحادثنا .

وكان هذا من حيث لا أشعر أول مظهر من مظاهر تدهور الانجليز وفقداننا كل ثقة ليس فقط فى نواياهم وخططهم بالنسبة لمصر ، ويأسنا من امكان تحقيق أى قدر من التفاهم عن طريق الاقناع والحجة وعدالة مطالبنا ، بل فقداننا الثقة فوق ذلك من انهم لايزالون اصحاب حول وطول وانهم أصحاب الكلمة الاخيرة فيما يتصل بمصر . ان انجلترا اليوم تسير فى ركاب امريكا الا فى بعض المسائل التى يشعر فيها الانجليز ان امريكا على استعداد ان تضحى بالجزر البريطانية نفسها فى سبيل اشعال نيران حرب لن تكتوى منها امريكا كما تكتوى انجلترا هنا وهنا فقط يختلف الانجليز مع الامريكان أما فيما عدا ذلك من المسائل فانجلترا رهن باشارة الولايات المتحدة ولو طلبت منها الجلاء عن مصر لفعلت على الفور ولو طلبت منها البقاء فى مصر لما استطاعت انجلترا الانسحاب وكل ماتطلبه فى هذه الحالة هو ان يساهم الامريكان فى نفقات الجيوش البريطانية .. فأمريكا اذن وليست انجلترا هى صاحبة الكلمة الاخيرة فى كل ما يتصل بالشرق الاوسط وبمصر بصفة خاصة على الاقل فى الوقت الحاضر ولذلك فحتى لو كان اتلى رئيسا للوزارة الانجليزية لما استطاع ان يقول كلمة حاسمة بشأن مصر . فما جدوى التحدث معه اذن ! ؟ .. مسكين اتلى ! ! مسكينة انجلترا . ! !

لقد كانت هذه أول مرة يطالعنى فيها هذا الشعور بالنسبة للمستر اتلى وبالنسبة لانجلترا وسوف يعاودنى هذا الشعور بعد ذلك مرات ومرات كما سيرد فى ثنايا هذا الحديث . وبدلا من التحدث مع اتلى رحت أتحدث مع هذا الزميل الكريم الذى ساقه القدر الى وهو الاستاذ نسيم مجدلانى

مندوب لبنان الاشتراكي في المؤتمر والذي استقل الطائرة مثلي من كلكتا وبدات الطائرة تقترب من رانجون وكما هو الشأن في دلتا الكنج وهي تتصل بخليج البنغال كان الشأن هنا كذلك فوق رانجون حيث توجد دلتا نهر الايراوادي العظيم حيث تمخر فيها اكبر البواخر من عابرات المحيط

- ٥ -

## في عاصمة بورما :

هبطت الطائرة اخيرا في رانجون وكان في المطار استقبال حاشد للمستر اتلي حيث كان في انتظاره رئيس الوزراء ورئيس الحزب الاشتراكي وثلة من الحرس . وقد أنزل المستر اتلي قبلنا بقليل ثم نزلنا على أثاره أنا ورفيقي الاستاذ نسيم مجدلاني . وقد كان الطربوش بالنسبة لي في هذه الرحلة بمثابة جواز مرور ولذلك فلم اكد أهبط على سلالم الطائرة حتى التف حولنا نفر من الصحفيين والمستقبلين وسئلت عما اذا كنت أنا احمد حسين فأجبت بالايجاب وعلمت أن برقياتي التي أرسلتها طوال الطريق قد وصلتهم اليوم فقط وأن لجنة الاستقبال قد جاءت لاستقبالي أنا وزميلي الاستاذ مجدلاني . وكانت هذه مفاجأة لطيفة لنا وكان من بين لجنة الاستقبال بعض الوزراء الاشتراكيين وقد اختلط على أمر هؤلاء الوزراء ومن هم دون الوزراء فالجميع يرتدون ملابس واحدة عبارة عن قميص ابيض لتغطية النصف الاعلى من الجسم وفوقه صديري من الصوف يلبس في الشتاء وينزع في الصيف . ومانسميه في لغتنا العامية ( الفوطة ) والتي نستعملها عندما نخرج من الحمام مصنوعة من قماش أقرب ما يكون الى الوان ونماذج الاقمشة المحلاوي وذلك لستر القسم الاسفل من الجسد ويسمونها بلغتهم ( لونجي ) ثم ( طاقية ) على الرأس لها طرف جانبي من نفس القماش كأنها جناح صغير وفي القدمين نعل بسيط من الجلد

هذه هي ملابس القوم لافرق فيهم بين سكان المدن وسكان الريف ، بين علية القوم واصاغرهم ، بين رئيس الوزارة وخادم الوزارة .. بين الطبيب والمهندس وبائع الحلوى والشربات

ولقد فوجئت بهذا الوضع على غير انتظار في المطار فقد أحاط بي عدة اشخاص سمر الوجوه قصار الطول ونحيفي الاجسام وهم بهذه الملابس الصغيرة وراحوا يقدمونهم لي بالاسماء التي لم أفهم منها شيئا فقد كانت كلها غريبة على وعلى أذني وكان هذا الصغير النحيف هو وزير الزراعة وذاك الاصغر وزير المعارف وهذا مدير الحربية مع انني لو تركت وشأني لما

تصورت اى واحد من هؤلاء الا خادما أو فراشا ولذلك فقد رأيت من الاحوط ان اخاطب كل انسان بالتكريم والتفخيم خوفا من ان يكون رئيس الوزارة أو رئيس الجمهورية .

وقدمت لنا المرطبات فى المطار وأخذ منى جواز السفر وطلب منى ان لا أشغل بالى بشىء بعد ذلك . وبعد نصف ساعة قضيناها فى تبادل الحديث وخاصة مع زميلى نسيم مجدلانى فقد كان ثلاثة من الحزب الاشتراكى البرمانى فى رحلة الى اوربا فأجتازوا لبنان فى أثناء عودتهم وعرفوا كمال جنبلاط ونسيم مجدلانى فى هذه الرحلة ولذلك فقد كان صاحبى يمتاز عنى انه يعرف مقدما الكثير عن هذا البلد بل وله من بين وزرائه اصدقاء سابقون

ودعينا بعد ذلك لركوب السيارة التى أعدت خصيصا لنا لتقلنا الى الفندق الذى خصص لنزولنا . وعند ما كانت السيارة تغادر المطار فى طريقها الى قلب مدينة رانجون تصورت أنه لا يوجد فى الدنيا كلها من هو أسعد منى. فمنذ ستة أشهر فقط سابقة على هذه اللحظة كنت فى غياهب السجن وكان الملك السابق قد استقر عزمه على أن يغتالنى قضائيا عن طريق محكمته العسكرية وكان كل من فى مصر قد يئس من حياتى فضلا عن حريتى وها انذا أرى نفسى ليس فقط حرا طليقا منتصرا فى معركة الحق والحرية ... بل ها انذا على بعد سبعة آلاف ميل من مصر فى أحشاء آسيا امتطى سيارة كضيف كريم يحيط به وزراء بورما وهو يسير على أرض مدينة رانجون أحلم هذا أم حقيقة ؟ ! هل كان يمكن أن يتصور خيالى أو تذهب احلامى الى هذا الحد ...

رانجون ؟! أى والله رانجون عاصمة بورما ... ورحت اتلفت حولى وأنشق عبير الحياة بكل رئتى وبودى لو طويت هذا العالم الذى يحيط بى وأودعته حنايا قلبى ... ما أبدع المنظر وما أروعه لقد كان كل شىء من حولى جميل وفاتن حتى لكأننى أسير فى سويسرا أو فى ريف انجلترا واسكتلندا . الله أكبر أهذه البلاد بكل هذا الجمال . ولماذا لا تكون جميلة ونحن الان فى المنطقة الحارة قريبين من خط الاستواء حيث الطبيعة فى اخضرار دائم وفى ازدهار مستمر فما بالك عند ما تمتد يد الانسان الى الطبيعة بالتهذيب والتجميل والتنظيم وهو ما كان يبدو بوضوح ونحن نسير فى الطريق الريفى من المطار حتى المدينة . لقد قيل لى فيما بعد أن رانجون كانت تعتبر دائما انظف مدينة فى آسيا كلها وقد عدت عليها عوادى الحرب ونال من نظافتها جماهير اللاجئين من ويلات الحرب الاهلية المستعرة الان فى بورما ولكن الذى لا شك فيه انها تركت فى نفسى أجمل الاثر وانا أقترب منها لاول وهلة حيث كانت بعض بيوتاتها الخشبية الجميلة ذات الاسطح المنحدرة تنبثق من خلال

الاشجار والحدائق ... وبعض البحيرات ذات الماء الصافى والاشجار المزهرة تحيط بشواطئها أكثر ما تكون شبها بابتسامة عذراء فى طهارتها وفتنتها

وأسرعت فأبديت اعجابى لمن يحيطون بى بجمال ضواحى المدينة وكأنهم ظنوا اننى أخفى فى نفسى بعض التهكم فقالوا لى هذه هى مدينتنا الصغيرة لقد قاست من الحرب أهوالا وقد مزقتها الطائرات ومع ذلك فنحن فخورون بها بالرغم من تواضعها وصغرها فقلت لهم ان هذا الجمال الطبعى جدير بأن يكون آية فخار أى شعب من الشعوب مهما عظم امره

وبدأنا ندخل شوارع رانجون الكبرى فاذا هى منسقة فسيحة لا حد لاتساعها او لطولها ومررنا بمكان انعقاد المؤتمر فاذا به فى دار البلدية فى افخم مبانى العاصمة وكان مزينا بالاعلام ومن بينها العلم المصرى الذى صنعوه خصيصا لهذا الغرض لاول مرة فى تاريخ بورما من غير شك . ووقع نظرى لاول مرة على المنظر الذى اشعرنى اننى فى احشاء اسيا الا وهو منظر ( الباجودا ) او معبد بوذا حيث ترتفع قبته الذهبية شامخة فى السماء كأروع ماتقع عليه العين من مناظر فى الدنيا كلها

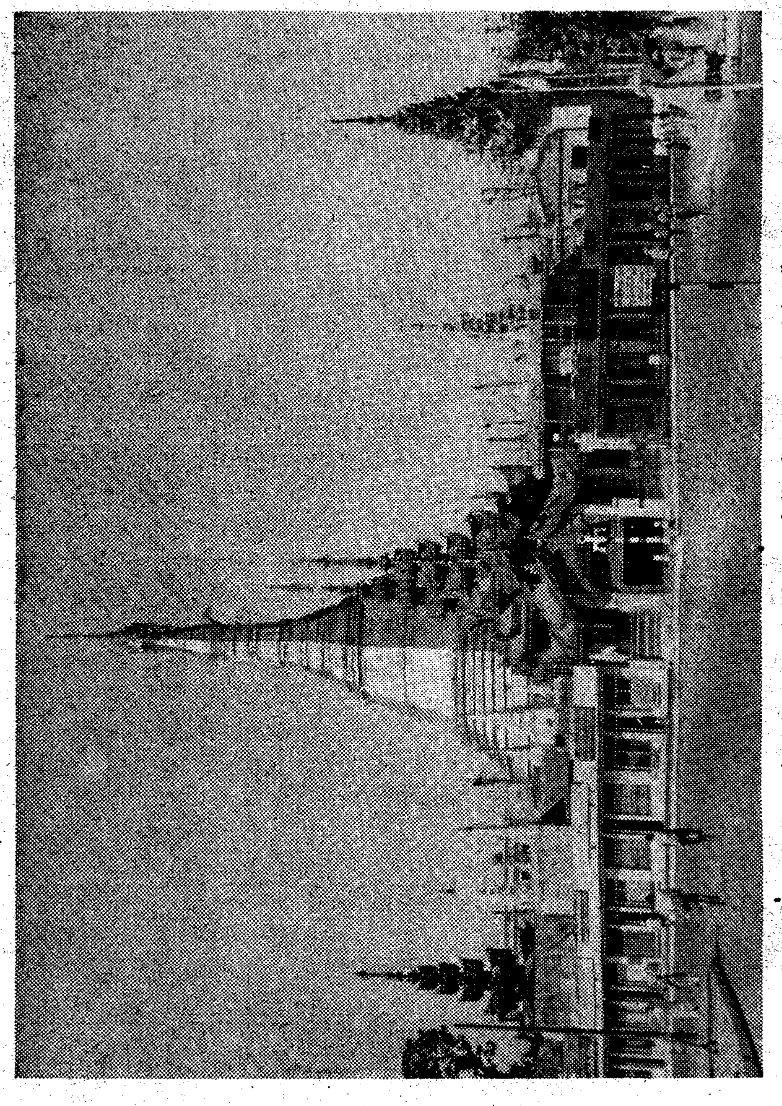
ثم وصلت بنا السيارة الى اعظم فنادق المدينة المسمى ( ستراند ) وقيل لنا اننا ننزل فى هذا الفندق ضيوفا على الحزب الاشتراكى البرمانى وقد كانت هذه الاخبار بالنسبة لى هى أسعد المفاجآت طرا فقد كان ذلك يعنى ، ان لا احمل هم النفقات طوال المدة التى سنقضيها فى بورما وباستطاعتى الانتفاع بالمال القليل الذى معى فى اغراض اخرى

وقد جعلنى ذلك ادرك لاول مرة اهمية هذا المؤتمر وخطورته التى لم اكن اتصور شيئا منها منذ ايام قليلة قبل ان ابدأ رحلتى . لقد كنت اتصور كما ذكرت ان بعض الاحزاب الاشتراكية الضعيفة هى التى تجتمع فى هذا المؤتمر وان الحزب الاشتراكى الهندى هو اكبرها خطرا فاذا به مؤتمر شبه رسمى تتزعمه حكومة بورما الاشتراكية وفيه كثير من زعماء العالم الاشتراكيين وبعض رجالات من ابطال التحرير فى آسيا كسوتان شهرير رئيس وزراء اندونيسيا السابق . وقد كان ذلك كله الان وقد عرفته محل سرورى وابتهاجى

## اسرائيل والقلق الخفى

على ان هذا السرور الشديد كان يشوبه قلق لا يقل عنه شدة ... قلق يملأ العقل الباطن ويسكن فى اغوار النفس وذلك لوجود اسرائيل فى ذلك المؤتمر . ان الدعوة التى نشرت عن المؤتمر فى مصر لم تتضمن اسم اسرائيل ولم اعرف بوجود اسرائيل فى المؤتمر الا فى آخر وقت وانا استعد للسفر

بعد ساعات . ولما كان كل تفكيري هو ان احصل على جواز سفري وان اخرج من مصر باى ثمن من الاثمان فلم افكر الا فى ذلك ... اما وقد غادرت مصر بالفعل واجتزت كل الصعوبات والعقبات التى كانت تحول دون وصولى الى الغاية وهى رانجون ... الان وقد اصبحت فى رانجون فقد راحت السكرة وجاءت الفكرة كما يقولون ، وبدأ موضوع اسرائيل واشتراكها فى المؤتمر يسبب لى مشكلة نفسية . ولقد تصورت فى بادىء الامر او بالاحرى عللت نفسى ان يكون الحزب الاشتراكى فى اسرائيل حزبا صغيرا غير رسمى يمكن ان لا يأبه الانسان به ولكنى فوجئت بمجرد وصولى الى رانجون بان الحكومة الاسرائيلية بحولها وطولها تدعى انها حكومة اشتراكية وان ممثليها فى المؤتمر هم من رجالها الرسميين وعلى راسهم موسى شيرتوك نفسه اى وزير خارجية اسرائيل واحد الرجال الثلاثة المسئولين على راس المسئولين عن كل جرائم اسرائيل واعنى بهؤلاء الثلاثة ويزمان وبن جريون وموسى شيرتوك . وهكذا تعقدت المشكلة وبدات السحب تتلبد فى سماء تفكيرى وفى اعماق نفسى . لقد رفضت مصر دائما ان تعترف بقيام اسرائيل ... ومصر تعتبر نفسها فى حالة حرب مع اسرائيل وقد حاولت مصر الرسمية دائما ان تقاطع المجامع التى توجد فيها اسرائيل واذا كانت هذه القاعدة قد اعتورها بعض الوهن فى المدة الاخيرة نظرا لوجود اسرائيل عضوا فى هيئة الامم ووجود مصر بها فى ذات الوقت ، ومع ذلك فلست احب انا الذى اشتركت فى حرب فلسطين ، انا الذى احسس بوضوح مقدار الظلم الذى حاق بشعب فلسطين لست استطيع ولست اريد ان اكون من الذين يقبلون التعاون مع اسرائيل والذين يجلسون معها على مائدة واحدة وجها لوجه . كان هذا الخاطر يؤرقنى ويزعجنى ويدعونى الى مقاطعة المؤتمر ولكنى كنت اعود فاسائل نفسى ما هى الجدوى من المقاطعة فى هذه المرحلة ومن الذى سيحس بها او يشعر بمجرد وجودى ... اليس من الافضل ان اشترك فى المؤتمر فاندد باسرائيل واشهر بها واستخدم هذا المنبر العالى لاطلاع العالم على جرائمها ... وكيف اضيع فرصة مجابهة اتلى وانجلترا على رؤوس الاشهاد ... اليس من الخير ان استخدم هذا الاجتماع لمصلحة مصر والعرب ... كانت هذه الفكرة تسيطر على فتحاول ان تسكت فى نفسى الصوت الاخر الذى يدعونى لمقاطعة مؤتمر تشترك فيه اسرائيل ... وظلت هذه الحرب تعمل فى نفسى عقب استقرارى فى الفندق فرايت ان لا احسم المسالة فى هذا اليوم وان ادع الحوادث تختار لى الطريق الذى اسلكه



ووقع نظرى على منظر الباجودا او معبد بوذا لاول مرة

# الفصل الثانى

# فى المؤتمر

## - ١ -

### حفلة فى قصر رئيس الجمهورية

كانت حفلة افتتاح المؤتمر قد فاتتنا لانها تمت فى الصباح حيث القى مندوب كل دولة خطابا يعبر فيه عن الخطوط الرئيسية لما يرجوه من المؤتمر . وكانت النقطة الثانية فى برنامج اليوم الاول من ايام المؤتمر وهو ٦ يناير هو شهود الحفلة الكبرى التى يقيمها رئيس الجمهورية فى قصره احتفالا بعيد الاستقلال وفى الوقت المحدد دعانا مرافقنا المخصص لنا انا وزميلى نسيم مجدلانى لكى نأخذ طريقنا الى القصر الجمهورى . وقد استغرق وصولنا الى حديقة القصر اكثر من ساعتين رغم ان المسافة قد لاتزيد على بضع كيلو مترات وليس ذلك الا لكثرة السيارات التى كانت تتقدمنا والتى جعلتنا نزحف زحفا أسرع منه زحف السلحفاة فقد كنا نقف عشر دقائق او يزيد لكى نتحرك مترا واحدا نحو الأمام أو مترين حتى لقد اقترحت فى النهاية ان نبارح السيارة وان نسير على اقدامنا ولكن مرافقينا أبوا هذا الاقتراح فظللنا فى هذا الخضم حتى كادت تزهق انفاسنا لولا اننى كنت فى حالة تجعل كل شىء جديدا بالنسبة الى وهو داخل دائما فى برنامج التعرف على بورما

واخيرا وصلنا الى القصر أو بالاحرى الى حديقة القصر وسرعان ما ارتسمت فى مخيلتى صور ألف ليلة وليلة . كانت حديقة القصر كلها مضاءة بالمصابيح الكهربائية وليس فى ذلك مايدعو الى العجب .. ولكن مصدر العجب أن الحديقة كان لا أول لها ولا آخر .. لو قلت أنها مائة فدان لما عدوت الصواب ولو قلت انهما خمسمائة أو انها الف فدان لما أستطاع أحد ان يكذبك الامن يعرف الرقم الرسمى .. لقد كانت شيئا لايحده الطرف ثم هى فى النهاية تتصل بالمروج الخضراء التى تتألف منها الطبيعة كلها .. وفى حدود هذه اللانهائية تنتشر المصابيح الكهربائية الملونة وكان هذا هو مايبعث الذهول .. أهى مئات الالوف من المصابيح أم ملايين المصابيح أم الوف الملايين .. لايستطيع الانسان مرة اخرى ان يرد على هذا السؤال الا ان تكون هى الشركة التى قامت بهذه التركيبات .. لقد كان بحرا وطوفانا من المصابيح الكهربائية الحمراء والخضراء والبيضاء .. والصفراء

مئات من الاشجار الضخمة كانت مزدهرة بهذه المصابيح والاضواء وعقود المصابيح اللؤلؤية تمتد بين الاشجار وعلى المماشي والطرقات الى مالانهاية

وكان قصر الجمهورية والذى كان حتى الامس القريب هو قصر الحاكم الانجليزى يرتفع كالطود الشامخ فى كبد هذه الحديقة المزدهرة بالانوار والمصابيح وكان بدوره كأنه شعلة من نار فعقود الكهرباء كانت تتدلى من قمته حتى أساسه فتزيد فى منظره رهبة وجبروتا . وكان المدعوون بدورهم شىء آخر يجل عن الحصر من حيث الكم والكيف . وكان يذهلنى ان هؤلاء جميعا مدعوون لتناول العشاء ولم أكن اعرف كيف يمكن ان تحل مشكلة اطعام عشرات الالوف من المدعوين فى صعيد واحد . وكنت ترى الانجليز سيدات ورجال مدنيين وعسكريين فى ملابس السهرة بالوانها الزاهية واشكالها الرائعة .. وترى بحارة الاسطول الامريكانى وضباطه الرابضين فى ميناء رانجون وترى الصين واليابان والهند ويوجوسلافيا والباكستان والارجنتيين والفرنسيين كل أمم الارض بدون استثناء كان هناك ممثلوهم فى هذا الحشد العجيب يحيط بهم اضعاف اضعاف عددهم من سكان رانجون انفسهم . وكما قدمت كان ابناء بورما رجالا ونساء يرتدون جميعا زيا واحدا وهو هذا الزى البسيط مع اختلاف فى الالوان لا أكثر ولا أقل ومع رقة فى ملابس النساء عنها فى ملابس الرجال ولكن القاعدة واحدة فى ملابس كلا الجنسين وهى القميص للرجل يقابلها ( البلوزه ) للسيدة ( والجونللا ) للرجال والنساء معا . والنعل للصنفين كذلك . ومع ذلك فان هؤلاء الذين يرتدون هذه الملابس يتمتعون الان باستقلالهم ... وها هى الدبلوماسية العالمية كلها ممثلة فى مفوضياتها وسفاراتها وبعثاتها العسكرية والتجارية ... ها هى آسيا وامريكا واوربا تحترم هؤلاء الذين يلبسون النعال ولا تكاد تفرق فيهم بين الوزير والاجير . ها هم يتنافسون للاقتراب من رئيس الجمهورية ومصافحته ... ها هم بالرغم من قاماتهم الطويلة وبشرتهم البيضاء وشعورهم الصفراء لايستطيعون الاستهانة بهؤلاء الاقزام السمر الوجوه والمنحرفوا الاعين ... لقد حاربوا اليابانيين دفاعا عن استقلالهم ثم حاربوا الانجليز من بعدهم فحصلوا على استقلالهم بدمائهم وما هذا الاحتفال الذى نشهده الا الذكرى الثالثة أو الرابعة على هذا الاستقلال الذى حصلوا عليه بالدم

وما هذا القصر الذى لاحد لضخامته وهذه الحديقة اللانهائية الا من صنع الانجليز الذين حكموا البلاد مائة عام أو يزيد وها هم يرون بأعين رؤوسهم كيف ان ماشيدوه ليكون آية مجدهم قد أصبح رمزا لدولتهم الدائلة ... هذه الابهاء المصنوعة على طراز قصر بكنجهام وبقية قصور ملوك انجلترا العظام ... هذه القصور التى طالما خطرت فيها اللوردات والدوقات

والبرنسات الذين جاءوا لتمضية بضع أيام لدى ابن العم العزيز حاكم بورما، قد أصبحت الان مسكونة برئيس جمهورية بورما ذلك الرجل الاسمر القصير ذو الاعين الضيقة المنحرفة والذى يرتدى نعلا فى قدميه وطاقية على رأسه وقميصا وازارا على جسده . وعلى اللوردات اليوم اذا جاءوا ، على الدوقات والبرنسات اذا ما جاءوا الى هذه البلاد ان يقدموا احتراماتهم لهذا الشعب القصير الاسمر فى شخص رئيس جمهوريته

وكان هذا الاحتفال الذى نحن بصدده يؤكد ذلك فقد جلسنا فى جزء الحديقة المتاخم للقصر نشهد استعراضا لرقصات بورما الشعبية على مسرح صغير اقيم لهذا الغرض .

كان المسرح صغيرا جدا كما قدمت وهو يعتبر ساذجا بالنسبة لمسرح يقام فى قرية مصرية ولا أقول أوربية أو أمريكية فضلا عن مسرح يقام فى مدينة :

وكان ما يعرض على هذا المسرح هو بضع أغانى ورقصات يقدمها أفراد من مختلف ولايات بورما واذا كان الرقص كما هى العادة دائما فيه شىء من الطلاوة فان الغناء بلغة أجنبية لا يفهم منه الانسان شيئا ونغماته نغمات ساذجة بدائية لا طلاوة فيها ولا رخامة . وكانت المغنية التى تغنى أو المغنى قد يستغرق نصف ساعة فى القاء أغنية تصاحبه ادوات موسيقية بدائية تعتمد على الطبلة وعلى قرع الاخشاب بعضها ببعض وطرق بعض الاسطوانات النحاسية وقد يشوق الانسان المنظر لبضع دقائق وثوانى اما ان يستمر نصف ساعة فان ذلك شىء لا يحتمل ومع ذلك فقد احتملته هذه الآلهة البيضاء من ممثلى امريكا وانجلترا وفرنسا والسويد والنرويج ... الخ احتملته ساعات وساعات لم ينصرف أحد أو يفكر فى الانصراف ... بل لقد كان كل منهم يحاول ان يجهد نفسه ليستمتع بهذا الذى يرى ويحاول ان يخرج منه نغمة او حركة يرى فيها الاساس الذى قامت عليه الموسيقى أو الرقص الاوربى

أما أنا فقد كنت مبهورا بكل هذا وكان الخاطر الذى يغمرنى ويجعلنى أشبه ما اكون بالحالم هو اننى فى آسيا ... فى اطراف آسيا فى مدينة رانجون حيث يبدأ طريق بورما الشهير الذى طالما وضعت حوله روايات السينما وحدثتنا عنه البرقيات فى مستهل الحرب بين امريكا واليابان باعتباره شريان الحياة لمد الصين بالاسلحة والذخائر لتمضى فى مقاومتها لليابان الى ان سقطت بورما وطريقها فى يد اليابان جملة .

كنت مستمتعا الى أبعد حد بهذه الرقصات التى تجرى أمامى فلأول مرة

احس هذا الذى طالما طالعت عنه وهو ان الرقص فى آسيا شىء مقدس يتصل بالدين وقد نشأ وترعرع فى الهياكل ...

فهـذه الراقصة التى ترقص لا تحاول ان تثير فى النفس غرائز جنسية كما هو الشأن فى رقصاتنا البذيئة .. او كمـا هو الشـأن فى انواع الرقص الغربى الذى ذهب لا اقول الى حد اثارة الغريزة بل الى حد اشباع هذه الغريزة ... ولكن هـذا الرقص شىء آخـر اسمى من ذلك انه موسيقى الروح والجسـد فالراقصـة تحاول ان تجعـل من تحركاتها شيئا متسقا كاتسـاق الموسيقى أو كاتساق الالوان وبذلك فسرعان ماتشعر امام رقصها بهذا الاحساس الذى يغمرنا أزاء الفنون الرفيعةوهو السمو والارتقاءولقد أتيح لى ان أشهد الرقص البرمانى اكثر من مـرة فى مختلف المناسبات طوال اقامتى فى بورما حيث كان يقدم أمامنا دائما ولقد خرجت بالاقتناع بعد رؤيتى له ولمثيله فى الهند ان هذا هو الاساس الذى تطور منه الرقص الاوربى الشهير المسمى ( برقص الباليه ) حيث يقوم التعبير بالحركات محل التعبير بالاصوات وتمثل روايات كاملة يتتبعها الانسان فى شغف وفى شوق دون ان تلفظ فيها كلمة واحدة .

وتوقف البرنامج لتتاح لنا الفرصة لتناول العشاء وسرعان مارأيت حل هذه المشكلة العويصة التى لم أكن أعرف كيف ستحل وهى مسألة اطعام هذه الالوف فقد كان العشـاء يتألف من صنف واحـد من الطعام وصنف آخر من الحلوى وفنجان من القهوة وكان على الانسان ان يذهب الى احد هذه البوفيهات الممتدة على مسافة مائتين او ثلثمائة متر فيعطى طبق الصنف الاول فيأكله واقفـا او جالسا على احـد الكراسى أو على الارض حيث يشاء ثم يأخـذ الصنف الثانى صنف الحلوى ثم يأخذ فنجان القهوة بنفس الطريقة .

ولقـد كان هذا العشـاء البسيط مفاجأة لى وقد تصورت هـذه الليلة ان بساطته ترجع الى الالوف التى كان مقررا أن تأكل وكان من المستحيل اطعامها على نطاق واسع ، ولكن ايامى فى بورما سرعان ماجعلتنى اكتشف ان ذلك هو النظام المتبع فـلا يمكن لاى مأدبة ان تزيد عن صنف واحـد من الطعام لحمـا وخضارا مجتمعين وآخر من الحلوى .

ولقد رأيت الانجليز والامريكان والفرنسيين والروسيين مدنيين وعسكريين ودبلوماسيين نساءهم ورجالهم يتزاحمون بالمناكب على هذه البوفيهات ليظفروا بطبق من الطعام يتألف من مزيج عجيب من المكرونة والمرق المحتوى على بصل ولحم ونوع من الخبز . ولقد أقبلت على هذا الطعام التهمه على خلاف عادتى التى تأنف من تناول أى طعام لم اعتده من قبل ولكنى خالفت هذه القـاعدة لشدة ما كنت أشعر به من الجوع .. ولقد كان الطعـام حريفا ساخنا وكان

هذا يكفينى لكى التهمه ... وقد استطعت بعد محاولات ان أحصل على طبق آخر فقد كانت الكمية فى الطبق الواحد من الضآلة بحيث لاتسد غائلة الجوع.

وقبيل منتصف الليل انتهت الحفلة وعزفت الموسيقى البرمانية السلام الوطنى فوقفت هذه الالوف فى احترام وخشوع وكنت أستمتع برؤية الاوربيين والامريكيين وهم يقفون مشدودى القوام تحية للسلام الوطنى لدولة بورما المستقلة التى كانت حتى الامس القريب نهبا للمستعمرين الانجليز

وعندما اويت الى فراشى هذه الليلة فى احدى حجرات فندق استراند لاول مرة تحت سماء بورما لم يسعنى الا ان اطيل السجود الى الله العلى القدير الذى جاء بى الى هذا العالم الجديد طالبا منه ان يوفقنى فى اتمام رسالتى فى هذا المؤتمر الذى كانت تتجلى خطورته لى ساعة بعد ساعة ودقيقة بعد اخرى

## — ٢ —

### مع اتلى وشرتوك وجها لوجه

وجاء اليوم التالى يوم ٧ يناير ثانى أيام المؤتمر وكان مقررا لعقد لجان المؤتمر الثلاث : لجنة أ ولجنة ب ولجنة ج . وكانت لجنة أ على ما فهمنا هى اهم اللجان الثلاث ولذلك فان رؤوس الوفود يجلسون فيها كما يجلس فيها اتلى وشرتوك ووزير الدولة اليوجوسلافى وممثل الحزب الاشتراكى الفرنسى مسيو بيديه والحزب الاشتراكى السويدى . وسوتان شهرير رئيس وزراء اندونيسيا السابق ورئيس الوفد الاندونيسى وجابر كاش نارايان رئيس الوفد الهندى ورؤساء وفود حزبى اليابان والملايو ونيبال والباكستان وبورما وقد وضع اسمى واسم زميلى نسيم مجدلانى فى هذه اللجنة . ونحو هذه اللجنة قصدنا فى الصباح المبكر

وكان علينا قبل الاشتراك أن نسجل أسماءنا وعناويننا وأن نحصل على البطاقات الشخصية التى تثبت عضويتنا والشارة التى نعلقها على الصدر . ولقد سبق لى أن زرت هيئة الامم وشهدت اجراءات التسجيل بها وماتقدمه من أوراق وشارات للاشتراك فى شهود جلساتها وقد كان يبهرنى دائما دقة النظام الذى تسير به الامور فى أروقة هيئة الامم وفى كيفية تسيير أعمالها وادارة المناقشات بها ... وكان يبهرنى بالاكثر هذا الجهاز الضخم من السكرتارية التى تقدم كل انواع الخدمات لاعضاء الوفود والصحفيين فى هيئة الامم ولم يطف فى خيالى ولا فى أحلامى فى أى لحظة من اللحظات اننى سأرى فى رانجون صورة مصغرة من مؤتمرات هيئة الامم المتحدة فى مجلس الامن



فهذه الراقصة التى ترقص لا تحاول أن تثير فى النفس غرائز جنسية

وأن هذا المؤتمر الذي اتمتع بعضويته هو حدث كبير فى تاريخ آسيا ينعقد فى جو من الاحتفالات والمراسيم والامكانيات تتناسب مع الاهمية التاريخية المعطاة للمؤتمر

وكانت اللجنة تنعقد فى صالة الاجتماعات الكبرى حيث رفعت أعلام الاحزاب المشتركة فى المؤتمر ومن بينها العلم المصرى

وكان هناك حول المائدة الموضوعة على شكل حرف U مكانا خاصا بمصر وقد كتب عليه اسم مصر بالانجليزية

وفى تمام الساعة العاشرة تكامل اعضاء اللجنة وجرت انتخابات الرياسة فأختير جابر كاش نارايان رئيس الوفد الهندى رئيسا للجنة وتنحى له عن الرياسة ( أو - تشو - نيين ) وزير التجارة والصناعة ورئيس الوفد البرمانى وقد بدت هذه الاجراءات وكان الذى يشغلنى هو شيء واحد وهو ان اسم اسرائيل كان هناك وكان ممثلها موسى شيرتوك يجلس امامى وقد اختير ليكون مقررا لاحد الموضوعات الثلاث التى ستبحثها اللجنة وهو مدى علاقة المؤتمر الاشتراكى الاسيوى بالاشتراكية الدولية

وكنت أريد قبل أن تمضى اللجنة فى أى عمل من الاعمال ان اسجل اعتراضى على وجود اسرائيل وان وجودى فى المؤتمر لايعنى بحال من الاحوال استعدادى للاعتراف بها او باشتراكيتها فضلا عن التعاون معها

وكان الحديث فى المؤتمر باللغة الانجليزية ولم أكن إعددت خطابا لهذا الغرض بل لم يكن فى راسى سوى فكرة الاعتراض على اسرائيل حيث يتوقع القوم منى ان القى خطابا منمقا ..

ولقد بدأت أتهيب الموقف عندما شرع رئيس اللجنة الهندى يلقى خطابه عقب انتخابه ، وعندما وجدته يتكلم الانجليزية بطلاقة ، زدت تهيبا للموقف وكلما تصورت اننى سأتكلم الان امام رئيس وزراء انجلترا السابق المستر اتلى واننى سأتحداه حيث يحيطه الجميع بالتكريم ويعتبرونه صاحب الفضل عليهم ففى عهده تحررت الهند وبورما .. واننى سأتحدى اسرائيل ممثلة فى شخص وزير خارجيتها الذى اعرف قدرته ومع ذلك فقد كان لابد من الكلام ومن تسجيل آرائى وموقفى والا فالمضى فى اعمال المؤتمر بدون هذا التسجيل هو تفريط خطير فى حق قضية مصر وقضية العروبة .. واستخرت الله كما هو شأنى دائما فى هذه المواقف .. وطلبت من الرئيس أن تكون اول كلمة يقولها احد من حقى واعطانى الرئيس الكلمة وبدأت أتحدث فى بطء وفى تثاقل .. وبدأت اشعر بالثقة التى احسها كلما وقفت للخطابة باللغة العربية .. وبدأت الكلمات والمعانى تتدفق على لسانى

وبدا صوتى يرتفع وحرارتى تقوى وتشتد .. وذهل كل من فى القاعة

وبوغتوا بخطابي فقد كان اشبه ببركان يثور فجأة ويقذف بالحمم على مدينة هادئة وادعة .

## موجز الخطاب :

أيها الرفاق :

« اننى أشكر هؤلاء الذين تفضلوا بدعوتى لحضورهذا المؤتمر واشكر حسن وفادة الحزب الاشتراكى البرمانى . ولقد جئت من بلاد بعيدة تبعد سبعة آلاف ميل لأحيى فى الدرجة الاولى شعب بورما واحيى نهضتها ولاشترك بعد ذلك فى مؤتمر اشتراكى والاشتراكية كما نفهمها/وندين بها معناها العدالة فى أسمى صورها واشكالها ، العدالة التى لاتقف عند حد المحاكم بل تتعداها الى العدالة فى الحياة كلها وهى ان لايعدو قوي على ضعيف فيستغل ضعفه ويسلبه ثمرة عمله وجهده .. هذه هى الاشتراكية كما نفهمها وكما ندين بها ولذلك فسوف تسمحون لى أن أسجل اننى صدمت صدمة قوية وانا ارى ممثل اسرائيل يجلس فى هذا المؤتمر باعتباره يمثل دولة اشتراكية . انكم تعلمون ان اسرائيل ليست فى حقيقتها الا دولة ارهابية فاشستية استعمارية قامت على الغصب والعدوان فأخرجت مليونا من السكان الآمنين من بلادهم وديارهم وشردتهم فى الآفاق وهم يعيشون الآن فى الصحراء والعراء ينتظرون الموت البطيء .. فاذا كان هذا هو الاساس الذى قامت عليه اسرائيل فكيف تسمحون لأنفسكم ان تقبلوها بين صفوفكم باعتبارها دولة فضلا عن ان توصف بأنها اشتراكية .

ولذلك فاننى من ناحيتى أسجل ان وجودى فى هذا المؤتمر لايعنى بحال من الاحوال اى اعتراف باسرائيل وهو الامر الذى انكرته وماتزال تنكره بلادى والبلاد العربية كلها ، وليس هناك سبيل للتعاون بيننا واذا كنت سأستمر فى أعمال المؤتمر فليس ذلك الا بفكرة اقناعكم بوجهة نظرى ووجوب اقصاء اسرائيل عن هذا المؤتمر .

انتقل بعد ذلك الى اشخاص آخرين اراهم يجلسون الى جوارنا على نفس هذه المائدة ولست أستطيع ان أمضى فى الاشتراك فى أعمال المؤتمر دون ان اسجل رأيى فى وجودهم معنا . وعلى رأس هؤلاء الاشخاص المحترم مستر اتلى رئيس حزب العمال الانجليزى ورئيس الوزارة الانجليزية السابق . اننى لا أستطيع بصفتى شرقيا حسن الضيافة هو من أخص خصائصنا ، لا استطيع الا ان أحيى الضيف الكبير الذى جاء من بلاد تبعد عنا عشرة آلاف ميل رغم شيخوخته ليشترك فى هذا المؤتمر فلهذا الضيف الشيخ . أقدم احترامى وتحياتى ولكننى

لا افهم بأى حال من الاحوال كيف يمكن ان يكون حضرته اشتراكيا يساهم فى مؤتمر اسيوى اشتراكى . ان الدنيا كلها تعرف ان المستر اتلى قد دعا الى تأميم مصادر الانتاج الكبرى فى بلاده ونفذ ذلك بالفعل فلما عمدت ايران وهى دولة اسيوية شقيقة الى تأميم بترولها واخذه من براثن شركة انجليزية استغلالية قامت حكومة اتلى الاشتراكية وقعدت واوشكت ان تعلن الحرب على ايران ووضعتها تحت الحصار الذى لايزال مستمرا حتى الان .. ولست اعرف كيف يصدر مثل هذا التصرف من حكومة تزعم لنفسها بعد ذلك انها اشتراكية

ويجلس الان امامى مندوب الملايو ذلك القطر الشقيق ويستطيع ان يحدثنا عما يفعله الانجليز فى بلاده وليس ذلك منذ اليوم بل منذ سنوات وسنوات على يد حكومة المستر اتلى .. ان الدماء تراق انهارا على بعد خطوات منا بواسطة جيوش انجلترا فكيف نسمح لمثلها ان يدعى انه يحمل لواء الاشتراكية وانه جاء ليساهم معنا فى تدعيم بناء الاشتراكية العالمية

كل ذلك ولم احاول ان استغل الموقف فأتحدث عن قضية بلادى وكيف ان جنود حكومة المستر اتلى هم الذين ازهقوا ارواح شهدائنا على ضفاف القنال فى العام السابق عندما قمنا نطالب بحقنا فى جلاء الجيوش البريطانية عن بلادنا ..

وهذا الذى يقال عن انجلترا يقال عن فرنسا التى تستعبد شعوبا باكملها فى شمال افريقيا وتهرق الدماء الان فى تونس وفى الهند الصينية .

ايها الزملاء :

اننى اعلم ان وقع كلامى على البعض سيبدو ثقيلا وسيبدو متطرفا ولكننى ماجئت الى هنا كى اكون سياسيا او دبلوماسيا ولكنى جئت باعتبارى احد الافراد الكادحين فى سبيل الحرية والحق وانه لخير لى ان ارى نفسى خارج هذا المؤتمر وانا رافع لواء الحرية فى كل مكان من ان اواصل العمل فيه والاشتراك فى نشاطه على اساس من النفاق والرياء »

وقعت هذه الخطبة موقع الصاعقة من السامعين ... وقد ظهر لى فيما بعد ان الجميع يشاطروننى الراى فى كل كلمة قلتها ولكن الاوضاع السياسية كانت تفرض عليهم موقفا آخر فالمستر اتلى يمثل دولة عظمى الجميع فى حاجة الى معونتها لاتمام مشروعاتهم ... والامريكان يريدون نجاح المؤتمر ليخلقوا منه قوة تقف فى وجه الشيوعية الزاحفة فى آسيا وكل

ذلك يفرض عليهم اوضاعا تختلف كل الاختلاف عن هـذا النهج الواضح المستقيم الذى بسطته فى كلامى ولذلك فلم اكد انتهى حتى كان الوجوم يسود جو المكان . وتكلم الاستاذ نسيم مجدلانى عقب حديثى فاعلن انه يؤيدنى فى كل كلمة قلتها وكان ذلك اول مظهر لوحدة الشعور والاهداف بين مصر ولبنان ممثلا فى شخصينا . وكان طبيعيا ان يتكلم شرتوك ممثل اسرائيـل ليرد على ولكنه كرجل خبيث راى ان يهدىء من حرارة الموقف حتى لا يحدث انفجارا فى هذه الجلسة ولذلك فقد دار حول الموضوع واعلن اسفه ان ممثل مصر بدلا من ان يساهم فى انجاح المؤتمر قد جاء ليقذف احجارا وان ممثل اسرائيل على استعداد ان يرد على كل كلمة قلتها ولكنه يرى ان ذلك خارج عن جدول اعمال المؤتمر ولو شرع المؤتمر يبحث فى المشاكل السياسية الدولية فـانه لن يخرج باى نتيجة ولكنه مع ذلك مستعد ان يرد على اقوالى اذا كان المؤتمر مستعد لبحث هذه المسائل

وقد اسرع رئيس اللجنة ليخفف من حدة الموقف مستغلا هذه المداورة من جانب موسى شرتوك وقال ان المؤتمر لايتعرض لهذه المباحث وان ممثـل مصر قد القى بهذا التصريح الذى كان يمكن ان يقوله بالامس فى حفلة الافتتاح وان المراد بهذا التصريح هو تحديد مركزه من قضية العرب واسرائيل وانه يحسن الوقوف عند هذا الحد والمضى فى اعمال المؤتمر ثم عرج على المستر اتلى واعلن انه لا يشاطر ممثل مصر رايه فى حزب العمال البريطانى او رئيسه المحترم مستر اتلى والذى لولاه لما احرزت الهند وبورما استقلالها

وتكلم المستر اتلى بعد ذلك فتحاشى ان يرد عن قرب او بعد على هجومى وقصر حديثه عن رأيه فى الاشتراكية ... ثم تكلم ممثل الملايو فكان حديثه صدمة لى فقد بدأ يدافع عن وجود الانجليز فى الملايو واننا كاشتراكيين يجب ان نعالج الموضوع بطريقة علمية فلو خرج الانجليز من الملايو فى الوقت الحاضر قبل ان يتهيأ العمال فى الملايو لاستلام أزمة الامور من الانجليز فان الملايو ستقع نهبة فى يد الاقطاعيين والراسماليين . ولذلك فالانجليز يجب ان يبقوا حتى يقوى الحزب الاشتراكى فى الملايو ليتولى هو قيادة البلاد ولقد اسرعت بالرد عليـه متهكما على هـذا النـوع الجديد من الاشتراكية التى تحبذ استمرار الاستعمار الاجنبى لاى سـبب من الاسباب واعلنت اننى كافر بالاشتراكية وبالعلم الاشتراكى اذا كان يؤدى الى هذه النتيجة

وعندما انتهت الجلسة فى الساعة الواحدة كان من الواضح ان الجميع كانوا ينظرون الى كشخص غير مرغوب فيه . ولذلك فقد اسرعت لرئيس اللجنة وحدثته عما احسه من انه لا محل لى فى هذا المؤتمر فـاذا به ينـفى

بشدة وجود اى احساس ضدى وانه يصر على ضرورة استمرارى فى العمل معهم .

وبعد الظهر رايت ان احضر لجنة اخرى وهى لجنة ب والتى خصصت بالنظر فى الاصلاح الزراعى فى اسيا وقد القيت بها خطابا عن الاصلاح الزراعى فى مصر والذى تم على يد الجيش وكيف حددت الملكية بمائتى فدان واننا فى الطريق لخفض هذا الحد ايضا وقد كنت فخورا معتزا بالحديث عن نهضة مصر الجبارة الاخيرة وكان من الواضح ان حديثى ترك اثرا عميقا فى نفوس القوم ودعينا فى المساء الى اجتماعات اخرى واحتفالات وقد كان هذا مظهرا عجيبا من النشاط من ناحية والارهاق من ناحية اخرى

**الامور تتعقد**

بدأت الامور تتعقد منذ اليوم التالى واشعر بتطور الازمة فلم تنشر الصحف شيئا مما دار فى اللجنة وقد علمت ان اجتماعات اللجان لا تنشر فى الصحف فاحدث ذلك لى خيبة امل بل لقد دعيت الى حضور اللجنةالتنفيذية للمؤتمر لبحث خلاف قام حول بعض الاجراءات وقيل فى هذه اللجنة انه يجب على الاعضاء ان لايتصلوا برجال الصحف وان لايذيعوا انباء مايجرى فى اللجان لا نالمتفق عليه ان اجتماعات اللجان سرية . وقد اسرعت فاعلنتعدم موافقتى على هذا الوضع فنحن الاشتراكيين نؤمن بالديمقراطية التى لاتعرف سرية ولا اسرارا ونحن الذين نمثل الجماهير والشعوب يجب ان نطلع شعوبنا على كل شىء واننى من ناحيتى لا استطيع ان اتعهد بعدم الاتصال بالصحف او اخبارها بكل ما اقول واسمع ويجرى فى المؤتمر . ومرة اخرى وجدت الابتسام يشيع على وجوه الحاضرين لهذا التحدى فهم يوافقون فى قلوبهم على وجهة نظرى ولكنهم مرتبطون باوضاع سياسية تجعلهم لايستطيعون جعل الجلسات الخاصة باللجان علنية ... ولذلك فقد اكتفى رئيس اللجنة وهو رئيس المؤتمر العام ( او ــ با ــ سوى ) بأن قال لى ان هذا قرار صدر من قبل ولا يمكن الرجوع فيه وسكت عن قولى اننى لن اتقيد به . ومن الطريف اننى بعد يومين من هذا التاريخ وجدت الصحف البرمانية نفسها ( واهمها يصدر باللغة الانجليزية ) تنعى على المؤتمر الاشتراكى هذه السرية وتطالبه بان يجعل اعماله كلها علنية مرددة نفس الحجج والاراء التى ابديتها فى هذه الجلسة الخاصة فادركت من ذلك ان الخط الواضح المستقيم هو مايعبر عن رأى الجماهير دائما

- ٣ -

## هزيمة اتلى :

عدت الى اللجنة الاولى لتستأنف العمل بها وانا على مضض أتحين الفرصة لاعلان الخلاف وقد تصورت أن الفرصة جد مواتية فى هذا اليوم فقد كان الموضوع المعروض على اللجنة هو الغرض الرئيسى الذى جاء من أجله المستر اتلى وصحبه من ممثلى الاشتراكية الدولية وأعنى بهم الفرنسيين والسويديين واليوجوسلافيين .

لقد جاء هذا الوفد ليحمل المؤتمر الاشتراكى الاسيوى على أن ينضم الى الاشتراكية الاوروبية ويتحول الى فرع منها وكان يؤيد ذلك المطلب ويتحمس له ثلاثة من أعضاء المؤتمر الاسيوى وهم مندوب اسرائيل ومندوب الملايو ومندوب اليابان الجناح الايمن . وهؤلاء الثلاثة قد ظهر منذ الدقيقة الاولى انهم قد جاءوا الى المؤتمر لتنفيذ السياسة الامريكية البحتة . وقد تحدثوا فى اللجنة مقترحين انضمام المؤتمر فى مجموعه الى المؤتمر الاشتراكى الاوربى كعضو على أن يطلب فى ذات الوقت الى كل عضو منا أن يشترك على سبيل الاستقلال كعضو فى المؤتمر الاوربى

ولما كنت قد حذرت فى مصر قبل سفري من أن هذا المؤتمر لن يكون الا العوبة فى يد الخطط الامريكية الانجليزية فقد اتضحت لى هذه الحقيقة من هذه المناورة ورأيت أخيرا أن أخوض المعركة وانسحب على أثارها فطلبت الكلمة والقيت خطابا أشد عنفا من خطبة الافتتاح . وفى هذا الخطاب أشرت الى الفارق بين الاشتراكية الاوربية واشتراكيتنا الشرقية . فأما الاشتراكية الاوربية فهى ليست سوى رد فعل لتطور النظام الراسمالى والذى وصل الى ذروته فتحول الى نظام استعمارى خانق فنشأت الاشتراكية كرد فعل لهذه القوة الاقتصادية الكبرى التى تركزت فى أيدى نفر قليل من الرأسماليين ولذلك فقد سميت هذه الاشتراكية بالاشتراكية العلمية واعتبر كارل ماركس وكتابه راس المال هو الاساس الذى تقوم عليه . أما نحن فى الشرق فان اشتراكيتنا قد جاءت نتيجة تطور كفاحنا فى سبيل الحرية السياسية فقد بدأنا جميعا وطنيين نكافح من أجل تحرير البلاد وقد تطور هذا الكفاح السياسى الى كفاح اجتماعى واقتصادى بعد أن اكتشفنا ان هذا هو السبيل الوحيد لدحر الاستعمار والارتقاء ببلادنا ... ولذلك فقد أصبحت آسيا كلها اشتراكية بالرغم من انها لا تزال زراعية مع أنه قد قيل فى كتاب رأس المال أن الزراعيين والفلاحين لا يمكن أن يكونوا بحال من الاحوال اشتراكيين

وثمة فارق آخر بين اشتراكيتنا واشتراكية القوم ... فأساس اشتراكيتنا منتزع من اديانا وتاريخنا وتقاليدنا ... فالاسلام كالمسيحية كالبوذية الكل يحض على الرحمة والمساواة بين البشر فكل دعوى الى العدالة الاجتماعية والاقتصادية ليست غريبة عنا فى الشرق ولا هى فى حاجة الى لينين أو كارل ماركس

على اننا كنا على استعداد للسير قدما مع الاشتراكيين الاوربيين لو لم تكن اشتراكيتهم بضاعة ليست للتصدير فالاشتراكيون الاوربيون لا يقلون تشبثا بالاستعمار عن غلاة المحافظين . ولقد ولى الاشتراكيون الحكم فى كل بلدان أوربا ومع ذلك فان الاستعمار الاوربى لا يزال على حاله ولا تزال الدنيا كلها تعانى من ويلات هذا الاستعمار فكل حديث عن التعاون بين شعوب آسيا وبين شعوب أوربا تحت أى لواء من الالوية هو خيانة وطنية بل واشتراكية ... انه بمثابة تكريس للاستعمار واسباغ الشرعية عليه

لقد اجتمعنا هنا ليكون اول عمل من أعمالنا هو محاربة الاستعمار فى كل زمان ومكان ولذلك فيجب ان نقول لاوربا بأعلى اصواتنا ان لاتطمع فى ان تجد منا أى لون من ألوان المودة فضلا عن التعاون والتقارب ما لم تغسل أيديها أولا من دماء شهداء الحرية فى أفريقيا وآسيا

ولذلك فأننى لا أعارض فى انضمامنا الى الاشتراكية الاوربية فحسب بل وأطلب من هذا المؤتمر أن يقرر عدم امكان الجمع بين عضوية هذا المؤتمر وعضوية المؤتمر الاوربى فى نفس الوقت لذلك فعلى مقدمى الاقتراح الثلاثة أن يسحبوا اقتراحهم الخاص بالانضمام بل وان ينسحبوا من هذا المؤتمر فاننا لن نسمح لهم باستغلال وجودهم هنا لمصلحة الاشتراكية الاوروبية »

واسرع رئيس اللجنة الهندى كالعادة للتخفيف من وقع خطابى الذى كان يفيض بالتحدى للانجليز والفرنسيين والامريكان . فأعلن انه وان كان لايوافق على فكرة انضمام المؤتمر الاسيوى للاشتراكية الدولية ولكنه مع ذلك لايمكن ان يوافقنى على أى حرف مما قلت وهو مندهش كل الدهشة لتقسيمى الاشتراكية الى قسمين شرقية وغربية فالاشتراكيون لايعرفون سوى اشتراكية واحدة عالمية بطبيعتها .

ولكن الزميل الكريم الاستاذ نسيم مجدلانى أسرع بدوره كما هى العادة يشد ازرى فى هذا الصراع الجديد ضد الاستعمار واسرائيل .. كما أيدنى على طول الخط ممثل الباكستان وكان فصل الخطاب لمندوب بورما راعية المؤتمر عندما أعلن ممثلها ( او — تشو — نيين ) ان وفد بورما لايوافق على الانضمام الى المؤتمر الاوربى على الاقل فى الوقت الحاضر .

وهكذا ادرك الجميع ان فكرة الانضمام الى المؤتمر الاوربى قد طويت صفحتها وان المؤتمر ينفرط عقده على الفور لو هو أصدر قرارا فى هذا الموضوع .

وحاول مندوب الملايو ان يحرض الاعضاء ضدى بقوله انه يلاحظ أن هناك بعض الاعضاء يريدون ان يفرضوا ارادتهم على هـذا المؤتمر وان يوجهـوه وجهة خاصة ، وهو لذلك يحذر وينذر .

ولكنى أسرعت بالرد عليه قائلا انه اذا كان هناك من يريد توجيه المؤتمر وجهة خاصة فهم اولئك الاعضاء الثلاثة فى المؤتمر الاشتراكى الاوربى وهم اسرائيل والملايو واليـابان ( الجنـاح الايمن ) وهـؤلاء هم الذين يريدون ان يسـوقوا الاشتراكيين الاسيويين ليكون اداة فى يد الاستعمار الاوربى . واسـقط فى يد الرجل ولم يحر جوابا .

وتداخل المستر اتلى محاولا انقاذ ما يمكن انقاذه فجعل خطابه أقرب مايكون الى النداء والتوسل وراح يخوف الاعضاء بفرح الرأسماليين بانشقاق الاشتراكيين وكيف ستصدر صحفهم فى اليوم التالى تحمل فى صـدرها بالخط العـريض نبأ هذا الخلاف بين اشتراكيى آسيا واوربا . وندد بالفـكرة التى تقـول بأن هناك اشتراكية خاصة بآسيا ولو صح هذا لما حق لمنـدوب مصر ( التى هى فى افريقيا ) ان يساهم فى هذا المؤتمر وكانت هذه هى ملاحظة اتلى الوحيدة التى رمى بها الى اضعاف مركزى ، ولكن ذلك كله لم يأت بنتيجة فقد كانت الاغلبية الساحقة ضد الانضمام الى المؤتمر الاوربى .

واقترح رئيس اللجنة ان نوافق على الاقتراح الاصلى المقـدم من الـوفود الثلاث لدول اندونيسيا والهند وبورما ومؤدى هذا الاقتراح هو انشاء المؤتمر الاشتراكى الاسيوى لتحقيق المبادىء والاهداف الاشـتراكية التى تقـررها لجنة المبادىء وان يـكون المؤتمر مستقـلا عن سـائر المنظمـات الدوليـة العالمية الاخرى

على ان تؤلف فى المؤتمر لجنة للعلاقات يكون اختصاصها الاتصال بالمنظمات الاخرى .

وقد حاولت أن أعترض حتى على هذا القسم الاخير من الاقتراح وهو تبادل المعلومات مع الاشتراكية الدولية خوفا من أن يساء تفسير ذلك ولكن الرئيس رجانى أن أسحب اعتراضى حتى يسـحب الاخرون اقتراحاتهم . ولمـا كان ما أهدف اليه هو الحيلولة دون ضم المؤتمر الاسيوى الى المؤتمـر الاوربى وارجاع المستر اتلى وبقية من معه بخفى حنين فقد سحبت اعتراضى وهكذا صدر قرار انشاء المؤتمر الاسيوى الاشتراكى مستقـلا عن المؤتمـر الاوربى وبذلك تمت هزيمة العناصر الاستعمارية ... وأقبل على بعض أعضاء الوفود يهنئوننى على هذا الانتصار وكان أشدهم حماسة سفير بورما فى الصين والذى

كان شديد الجزع أن يتغلب المستراتلي بشخصيته ومعاونة العناصر الاسيوية المتآمرة مع الانجلو امريكان على جر المؤتمر الاسيوى الى خططهم ومناوراتهم

**كيف تحقق السلام العالمى :**

وكان المعروض للمناقشة امام اللجنة فى اليوم الثالث هو آسيا والسلام العالمى وقد وجدت أن هذه هى الفرصة الكاملة لكى ابسط كل أرائى واقتراحاتى ضد اسرائيل وضد أوربا الاستعمارية وضد انجلترا وضد المحاولات التى تبذل لاشعال نيران الحروب وكانت قدماى قد رسختا فى المؤتمر وكنت قد اعتزمت نهائيا أن أقف فيه موقفا كريما يتفق مع ميولى ومبادئى وأرائى مهما كلفنى ذلك

وقلت لرئيس اللجنة اننى سألقى خطابا طويلا فاذا كان هناك من يرغب فى التحدث باختصار فليبدأ حديثه واحجم الكل عن الكلام بعد هذا التصريح وأعطيت الكلمة .

## ترجمة الخطاب

حضرة الرئيس أيها الرفاق :

ان موضوع السلام الذى نتعرض له اليوم هو أخطر موضوع يشغل أذهان البشرية كلها فى هذه الايام بلا استثناء ... ان موضوع سلام العالم الان يأتى قبل الاشتراكية ذاتها وقبل الشيوعية وقبل الرأسمالية والديمقراطية ... السلام اليوم هو كلمة الجميع وأنشودة الجميع بلا استثناء بعد أن أجمعت الشعوب على استنكار الحروب واعتبار مشعليها مجرمى حروب . وأحسب اننا اذ نعالج هذا الموضوع يجب أن نوليه كل عنايتنا ، بل يجب أن نبذل فى علاجه كل اخلاصنا وارواحنا بحيث نطلع على الشعوب المتلهفة للسلام بحل عملى لهذه المشكلة التى يجمع الكل على أنها مشكلة غير قابل للحل

واعتقد ان ليس هناك ماهو أيسر من حل هذه المشكلة متى تجردت الدول الكبرى من الانانية وحب الاستعلاء والسيطرة

وقبل أن أمضى فى حديثى لاضع أيديكم على أساس هذه العلة أريد أن أحذركم من أن يكون كل مقصدكم من هذا البحث أن ترصوا عبارات خلابة تشيدون فيها بجمال السلام وتنكرون الحرب فانكم لو فعلتم ذلك كنتم مرتكبين بطريق سلبى جريمة التحريض على اشعال الحروب

ليس هناك فى الدنيا كلها من لا يتحدث عن السلام ويشيد به ...

ليست هناك دولة كبرى أو صغرى لا تزعم أنها تريد السلام

وقد أشعلت نيران الحروب التى أغرقت العالم فى طوفان من الدم باسم السلام ... وتتجهز دول أوربا وأمريكا هذه الايام لاشعال نيران حرب جديدة

وهى تملأ الدنيا صراخا أن استعدادها ذلك هو لحفظ السلام ... بل وتعقد مؤتمرات دولية لتعكس ارادة شعوب العالم فى السلام

ولست أعرف الى أى مدى تفيد هذه المؤتمرات فى تحقيق السلام بالفعل ... فالمسألة اذن ليست مسألة أقوال أو قصائد شعرية نخرج بها من هذا المؤتمر نتغزل فيها بالسلام فان ما يحتاجه البشر فى هذه المرحلة التاريخية من حياة العالم هو أن تقوم جماعة من الناس مجردة من كل الغايات والاهواء الرخيصة تؤمن بالانسانية كلها لا فرق فيها بين أبيض واسود أو أوربى وافريقى ... أو مسيحى ومسلم

وتؤمن أن حق الحياة والحرية والكرامة البشرية هو من حق الناس جميعا أفراد وجماعات شعوب وقبائل على قدم المساواة وان كل انحراف عن هذا المبدأ هو اعتداء على البشرية كلها يجب أن نتصدى لدفعه عنها

هذا هو المبدأ الذى دعت اليه الانسانية فى اديانها منذ أقدم العصور . وهو الذى دعت اليه الفلاسفة والحكماء والقادة وجاهدت من اجله الشعوب . واذا كان أقوام قد شذوا عن هذا المبدأ من حين لآخر ونادوا بحق شعبهم فى السيادة على الآخرين ، أو بقصر حق الحرية على فئة دون فئة وجماعة دون جماعة فقد اثبت هذا الشذوذ عن القاعدة دائما اذ عاد على المنادين به بأوخم العواقب ودفع الشعب المنادى بمثل هذه المبادىء الثمن الفادح . وحسبى أن اذكر الامثلة القريبة .. امثلة المانيا وايطاليا واليابان فقد قامت هذه الشعوب تنادى بحقها فى السيادة وتفوقها على بقية الشعوب والاجناس وارتفعت بالاستعمار والسيادة على الاخرين الى مرتبة الدين والقداسة فماذا كانت النتيجة ... كانت النتيجة هذه الحرب الطاحنة التى اغرقت العالم فى طوفان من الدم لسبع سنوات وهلاك ملايين من البشر وتقهقرت الى الوراء هذه الدول الثلاث المانيا وايطاليا واليابان بحيث يبدو مستقبلها مظلما امام شعوبها .

لم يكن هذا اول درس ويبدو انه لن يكون آخر درس على ما يظهر فلقد تنادت دول العالم بضرورة وضع ميثاق هيئة الامم ليكون عاصما لها فى المستقبل من الوقوع فى جنون الحرب وحاولت ان تستفيد بالتجربة الفاشلة السابقة وهى ميثاق عصبة الامم فجعلت الميثاق الجديد اكثر وضوحا وجلاء فى اثبات حقوق الانسان والدول فى الحرية والكرامة والاستقلال ولو اتبع هذا الميثاق فى اخلاص رغم ما فيه من نقص لامكن تحقيق السلام من غير شك ولكن المصيبة دائما تنبثق من هذا الانحراف تحت ضغط الانانية والشهوات وفهم الحرية والحق والعدل والديمقراطية والاستقلال انها من خصائص الشعب صاحب الشأن دون غيره من الشعوب .

فالديمقراطية والحرية هى للانجليز والبلجيك والفرنسيين وليست لاهل افريقيا أو آسيا .

والديمقراطية الرائعة التى يتمتع بها الامريكي هى من خصائص الرجل الابيض وحده اما الزنجى فحسبه أن يقنع بالصف الثانى خلف الرجل الابيض

والاشتراكية اذا كانت هى النظام المثالى لسكان اوربا فانها لاتصلح للتطبيق فى المستعمرات والمحميات وجميع المغلوبين على امرهم فى آسيا وافريقيا .

هذا التصور هو الذى كان دائما ينبوع البلاء بالامس والذى سيبقى اليوم وغدا هو الينبوع الاثيم الذى تندلع منه نيران الحروب

**قضية مصر**

دعونى أبسط لكم تجربتى الشخصية بالنسبة لقضية مصر . ففى سنة ١٩٤٧ ذهبت الى الولايات المتحدة لاطالب بجلاء الانجليز عن مصر والسودان وكانت مطالب مصر فى ذلك الوقت ذات شقين الاول الجلاء عن مصر والسودان والثانى هو وحدة مصر والسودان. فكان كل سياسى يسمع هذه الدعوة سواء كان امريكيا أو مندوبا لاى دولة اخرى فى هيئة الامم يسرع بالقول ان موضوع الجلاء لايؤلف مشكلة لانه امر محتوم ومتى عرض على هيئة الامم فلا تستطيع الا أن تقرره فورا . ذلك لان احتلال بلد عضو فى هيئة الامم بمعرفة عضو آخر هو من الامور المحرمة بموجب ميثاق هيئة الامم . بل ان هيئة الامم زادت الامر وضوحا وصراحة فاصدرت جمعيتها العمومية قرارات تقضى بوجوب جلاء الجيوش الاجنبية عن اراضي الدول الاعضاء فى هيئة الامم . وان المشكلة الحقيقية هى فى موضوع وحدة مصر والسودان لان السودانيين يجب ان يتمتعوا بحق تقرير المصير طبقا لميثاق هيئة الامم

وعرضت القضية المصرية على هيئة الامم فى عام ١٩٤٧ بواسطة رئيس مجلس الوزراء فاذا بهذا الجلاء الذى زعم الزاعمون أنه امر محتوم يصبح شيئا ابعد من نجوم السماء وهانحن الان فى عام ١٩٥٣ ولايزال الانجليز فى بلادنا يحتلون جزءا عزيزا من اراضينا كاسوا ماكان الاحتلال فى أى يوم من الايام

وعندما اراد تمصر الدولة المستقلة ذات السيادة والعضو فى هيئة الامم بل وفى مجلس الامن ذاته فى احد الدورات ... عندما ارادت مصر ان تبسط سيادتها على اراضيها تصدت لها الجيوش الانجليزية فدكت مدنها الآمنة وقراها بالمدافع وقنابل الطائرات ولم ترتفع صيحة استنكار واحدة من شعوب العالم المتمدين الراغب فى السلام على أساس من الحق والعدل والحرية

وهذا هو مكمن الخطر ايها السادة ... هـذا هو الينبـوع الاثيم الذي ستندلع منه نيران الحروب

فهل هذه المشكلة بين مصر وانجلترا والتى تهدد سـلام العالم مشـكلة مستعصيـة الحل كمـا يقولون . لقد اعتـدى الانجليـز على بلادنا منـذ سبعين سنة ومنذ ذلك التاريخ وهم انفسهم يعلمون انهم معتدون وقد اعلنوا مرارا وتكرارا ان سـاعة الجـلاء قد حـانت حـتى لقد بلغت هذه الوعود والعهود سبعين وعدا كان آخرها فى عام ١٩٤٦ حيث اعلنوا على الدنيا انهم سيجلون عن مصر برا وجوا وبحرا بعد عام واحد من ذلك التاريخ ولقداصبح العام سبعة اعوام والانجليز لايزالون هناك

فمن يريد السلام فى العالم ما عليه الا ان يقول للانجليز اخرجوا من مصر فليس لكم حق فى احتلال جزء من اراضيها وقد حانت الساعة لوضـع حد لهذا العدوان الذى طال واستطال

## عدوان اسرائيل

ولانتقل الان الى قضية اخرى لن يكون هناك سلام فى العالم الا اذا حلت بما يرضى الحق والعدل وميثاق هيئة الامم وتلك هى قضية فلسطين.. لقد كان هناك مليون من سكان فلسطين يعيشون فيها منذ مئـات ومئـات من السنين وكان من بينهم بضع عشرات الالوف من اليهود الذين عاشوا دائمـا مع هذا المليون فى سلام وامن الى ان جاء الانجليز باسم الانتداب على فلسطين فباعوا فلسطين لليهود الذين راحوا يهاجرون الى فلسطين باعداد ضخمة حتى وصل عددهم الى ثلثمائة الف ومن ثم بدأوا ينادوا بان يكونوا هم اصـحاب فلســطين وكان هـذا عجبا من اعجب ما مر بالبشرية من عجب ... وكان طبيعيا ان يهب العرب ليدافعوا عن مسقط رؤوسهم عن ارضهم عن بيوتهم عن لقمة عيشهم . فاذا باليهود يشنون على هؤلاء العرب حربا قذرة ايدهم فيها الانجليز والامريـكان معـا وكانت النتيجـة ان شرد هـذا المليـون من البشر ليموت فى الصحراء والعراء ... لقد سمعنا فى التاريخ دائما عن شعب يحتل ارض شعب آخر عسكريا ولكن الذى لم نسمع عليه ان جماعة معتدية تحاول ان تفنى شعبا باسره كما تفعل الان اسرائيل بالنسبة لسكان فلسطين فهى تستجلب اليهود الان من اوربا ومن كل مكان لتسكنهم فى بيـوت العرب الذين قتلوا وطردوا وشردوا فهم يهيمون الان على وجوههم فى كل مكان

هل تتصورون أيها السادة أن يكون هناك سلام فى هذا القسم من العالم ونحن المصريين والسوريين واللبنانيين نرى هذه الكارثة حلت باخواننا ، بقطعة من فلذات اكبادنا ... ونعلم فوق ذلك ان دورنا سيجىء بعدهم بمجرد أن

تستكمل اسرائيل استعدادها للجولة الثانية ... دعوني أقولها من هنا بأعلى صوتي أنه لن يكون سلام فى العالم ما لم تحل مشكلة فلسطين وفق العدل والحق والحرية ...

وهل صحيح أنها مشكلة لا حل لها ... الجواب على ذلك ان العكس هو الصحيح فليس هناك ما هو ابسط من هذه المشكلة . أن كل ما يطالب به سكان فلسطين وبقية الشعوب العربية الان هو أن تحترم قرارات هيئةالامم ولا زيادة ولكن اسرائيل تضرب عرض الحائط بهذه القرارات .. وهكذا نفس العلة ... نفس الينبوع الذى ينضح بالشر وستندلع منه النيران ، فاسرائيل كانجلترا كبقية الدول الاستعمارية الاخرى على استعداد أن تمكن هيئة الامم وان تتحمس لهيئة الامم ما بقيت تخدم اغراضها أما اذا طالبت هيئة الامم بشيء لا يتفق مع مصالح انجلترا او اسرائيل فهنا وتهمل هيئة الامم ويضرب بقراراتها عرض الحائط بل وتوطأ بالاقدام اذا لزم الامر فكيف يكون هناك سلام عالمى مع ذلك

**والان :**

والان وقد وصلت الى هذا الحد فانى اقترح على هذا المؤتمر أن يفعل ما لم تفعله المنظمات الدولية من قبل وهو أن يضع قواعد عامة لاقرار السلام ثم يطبق هذه القاعدة على كل مشاكل العالم دون استثناء ودون انحراف

فلنصدر قرارا بسقوط الاستعمار واستنكاره وضرورة محاربته

ثم نستعرض خريطة العالم ونشير الى الاستعمار فى أى بلد من البلاد دون استثناء أو تمييز بين استعمار واستعمار ... فلا نقبل الاستعمار الامريكى لانه امريكى ... ولانقبل الاستعمار مستترا ، بأى ثوب من الاثواب الخداعة كالزعم بأنه حرب ضد الشيوعية وحماية للسكان الوادعين الآمنين كما يقال الان عن الملايو والهند الصينية وكينيا ومستعمرات افريقيا . ولنضع قاعدة اخرى وهى ان لايحتل شعب بجنوده ارض شعب آخر ، ومرة اخرى نستعرض خريطة العالم ونطبق هذه القاعدة بلا استثناء ... فاذا وجدنا جيوشا امريكية فى اليابان طالبنا بجلائها فورا واذا وجدنا جيوشا روسية فى المانيا أو النمسا طالبنا بنفس الحرارة بجلائهاواذا وجدنا جيوشا هندية فى ارض دولة اخرى طالبناها بالجلاء كذلك ولا نجاملها لانها دولة شرقية أو دولة صديقة فاننى أخشى ان تكون الهند وقد حققت استقلالها قد تحولت بدورها الى دولة انانية تتبع مصالحها ولا ترعى الحق أو العدل فى معاملتها . ومبدأ ثالث وهو حق كل شعب فى اختيار نظام الحكم الذى يلائمه وحقه فى تقرير مصيره وتطبق هذه القاعدة فى كل مكان . فاذا كان الصينيون قد اختاروا لانفسهم النظام الشيوعى فليس من حق شعب آخر

ان لايعترف باختيارهم وان يبقيهم خارج حظيرة هيئة الامم حتى الآن
ولنضع مبدأ رابعا وهو عدم الالتجاء للحرب لفض المنازعات وان نعلن تكتلنا ضد من يلجأ الى الحرب ثم نطبق هذه القاعدة ككل القواعد السابقة على خريطة العالم بدون استثناء

هذا هو السبيل وهذا هو الطريق لانقاذ سلام العالم وليس فى هذا الذى قلته اختراعا جديدا أو شيئا لم يقل ويتم الاتفاق عليه من قبل ولكن الذى تريده الانسانية الان هو العزم والتصميم على احترام هذه القواعد

ان الدنيا كلها ترتجف هذه الايام من هول الصراع المقبل والذى تستعد له كتلتان من البشر بكل مواد الهلاك والدمار فاذا شئتم معاشر الاشتراكيين ان تكون لكم رسالة فاجعلوا رسالتكم ان لاتميلوا ذات اليمين او ذات اليسار لاتجعلوا من انفسكم أداة فى يد امريكا ضد روسيا أو فى يد روسيا ضد امريكا .. اننى الاحظ فى بعض الاقتراحات المقدمة لنا عن السلام ان فيها طعنا ضد روسيا ونظامها واننى أعلن اننى لا أوافق بأى حال من الاحوال على كلمة واحدة تخرج من هذا المؤتمر ضد روسيا فنحن لم نجتمع هنا لنكون ضد احد او هذا على الاقل ما أتصوره أنا .. فلنخرج على العالم بدعوة مستقيمة صادقة لا لف فيها ولا دوران تعبر عن ارادة الشعوب الواضحة فى رغبتها ان نعيش فى سلام وحرية وتعاون

— ٤ —

**اضطراب :**

استغرق القاء الخطاب أربعين دقيقة كان الجميع ينصتون فى خلالها وكان على رؤوسهم الطير وعندما انتهيت منه ساد السكون بضع لحظات وبدأ يخيم على سماء المكان جو العاصفة فقد كان من الواضح اننى هاجمت اسرائيل وهاجمت الانجليز والامريكان والفرنسيين والهنود انفسهم ونددت بأن يكون المؤتمر عنصر من عناصر الحرب الباردة ضد روسيا وهو الامر المقصود من المؤتمر بالذات كما كان قد بدأ يتضح لى

وكان الرئيس الهندى هو اول من تكلم بطبيعة الحال بصوته الهادىء وقد أشار الى أنه آسف كل الاسف لهذه المواضيع الشائكة التى طرقتها والتى تضطره لان يسمح لاسرائيل بالرد عليها على أن يسمح بعد ذلك للبنان بالكلام. وذكر انه ماكان يجب ان يتعرض المؤتمر لهذه المشاكل والتى تقضى على وحدته فان للهند مشكلة مع الباكستان — ولو فتحت هذه القضية لدب الخلاف بين الوفد الهندى والباكستانى مع ان هذا المؤتمر قد عقد للتقريب لا للخلاف ولذلك فهو يرجو من الاعضاء ان لايفتحوا هذه المواضيع بعد الان واعلن انه

لن يسمح بها . ثم دعا موسى شيرتوك ممثل اسرائيل للرد عليّ . وقد ظهر التردد على الرجل ولكن الرئيس أسرع ليقول ان الساعة قد قاربت الواحدة أى موعد انفضاض الجلسة وانه يريد أن يعطى لاسرائيل فرصة طويلة للرد ولذلك فقد ارجأ موسى شاريت كلمته الى جلسة بعد الظهر فى الساعةالثالثة وكان هذا موقفا عجيبا من رئيس اللجنة ان يشجع شرتوك على الرد وان يستحثه عليه مع انه كان من الواضح ان الرجل يرى انه من الاسلم له ان يلوذ بالصمت ويدع العاصفة تمر ولكنه ازاء هذا الالحاح من جانب الرئيس لم يسعه الا ان يعد بالرد .

**الانسحاب :**

وجاءت جلسة بعد الظهر واعطيت الكلمة لموسى شرتوك فبدأ يتكلم فى اعتداد بالنفس كما اعتاد الانجليز والالمان وممثلوا الدول العظمى ان يتحدثوا فيصطنعوا اللطف والرقة والمنطق ورجاحة العقل بحيث يبدو عدوانهم الاثيم وكأنه عمل آلهى مقدس .. بل كأنه هو الحق الذى يجب أن يعبد ..
فهذا المليون من العرب لم يشرد من بلاده الا نتيجة حرب عدوانية شنت على اسرائيل الآمنة ولو أن العرب لم يشنوا الحرب على اسرائيل ولو أنهم قبلوا التقسيم لما تعرض انسان لهؤلاء العرب ... فالمسئولية اذن هى مسئولية العرب الذين حاولوا الاعتداء على اسرائيل فردت عن نفسها الاعتداء فلا يلوموا الا أنفسهم ... ولقد وعدت اسرائيل العرب أن تدفع لهم تعويضات معقولة عن مساكنهم وحقولهم فاذا كانت لم تفعل ذلك حتى الان فما ذلك الا لان العرب لا يزالون يرفضون الصلح معها ولو أن العرب عادوا الى رشدهم وصوابهم واصغوا الى صوت العقل وأن تحديهم لاسرائيل لن يعود عليهم الا بالوبال ... لو انهم تصالحوا وفتحوا أبوابهم لاسرائيل فانها على استعداد ان تنظر فى موضوع هذه التعويضات ..
وكلما مضى الرجل فى حديثه كنت أشعر بالنار تتأجج فى ضلوعى لهذه القحة والتبجح وقلب الحقائق الى هذا الحد فاسرائيل كانت آمنة مستقرة فى بلادها والعرب هم الذين اعتدوا عليها باعلان حرب غاشمة .. هذا هو الموقف كما يصوره شرتوك ..
وعندما وصل الى اشارته انه لاول مرة وجد عرب عقلاء يجلسون مع اسرائيل على نفس المائدة ويرون بأعين رؤوسهم ان الاسرائيليين ليس لهم قرون وانهم يستطيعون ان يسمعوا بصبر مايقال ضدهم وانه يرجو ان يكون ذلك هو بدأ التفاهم والتقارب بين الجانبين . عند هذا الحد ووجدت نفسى غير قادر على الاستمرار فى الجلوس والا كان ذلك رضاء منى على ماتصوره مبدأ

التعقل والتعاون فكتبت كلمة سريعة لرئيس اللجنة اعلنه بانسحابى من المؤتمر وكان نص الكلمة كما يأتى .

« لقد انتهيت من سماع خطبة من ذات الطراز الذى طالما سمعناه من هتلر وموسولينى وتشرشل وجميع السادة المستعمرين . وانني اقول لك فى صراحة أنكم لاتستطيعون ان تجمعوا فى صعيد واحد المعتدى عليهم والمعتدين انه يجب عليكم ان تختاروا بين العرب واسرائيل »

وقد إسرعت فتركت القاعة بعد ان سلمت الورقة للرئيس ...

وهكذا انفجرت القنبلة اخيرا .

ولم أكد استقر فى الفندق بعد عودتى حتى كان دوى الانفجار قد وصل الى مسامعى فقد اسرع الصحفيون ومندوبو شركات الانباء يحيطون بى ويمطروننى وابلا من الاسئلة والاستفسارات .. ووجدت الفرصة التى كنت أطمع فيها واتوق اليها فرصة عرض مأساة فلسطين على ابناء آسيا الذين كانوا فى شغل شاغل عنها بقضاياهم حتى الان

وارسل الى رئيس اللجنة الهندى ناريان خطابا يرجونى فيه ان اعود الى المؤتمر وان أرد بما اشاء على ممثل اسرائيل وجاءنى على اثر خطابه ومعه وزراء من بورما ومندوبون من اندونيسيا وسائر الوفود وكلهم يلحون فى ضرورة العودة الى المؤتمر الذى ساهمت بالكثير فى انجاحه حتى هذه اللحظة .. ولكننى اصررت على موقفى فقد كنت اعلم انهم لن يخرجوا اسرائيل من المؤتمر وانه لم يكن هناك بعد ذلك فى اعمال المؤتمر مايستحق دفع هذا الثمن الغالى ثمن الجلوس مع اسرائيل جنبا الى جنب . ولم تكن هناك من حجة تقال فى تبرير الرجوع سوى حجة الرد على اسرائيل وهذا الرد اتفقت مع زميلى العزيز نسيم مجدلانى أن يتولاه فى اليوم التالى وقد القاه فى وجه شرتوك كما تلقى القنابل والغازات الخانقة حتى لقد خرج شرتوك عن وقاره وفارقه هدوء اعصابه بعد ان كان قد طالع فى صحف الصباح كلها التنديد باسرائيل على ألسنتنا ولذلك فقد راح يصيح بالاعتراض على نسيم مجدلانى وهو يبسط قضية العرب فاضطر ان يطلب من الرئيس ان يسكته ويمنعه من المقاطعة فأسكته بالفعل .. ولما ان ختم نسيم مجدلانى خطابه الرائع انسحب بدوره من المؤتمر فكان لهذا الانسحاب بعد انسحابى بالامس اثرا عميقا فى صفوف المؤتمرين حيث ظهر بوضوح ان وجود اسرائيل فى المؤتمر سيكون عقبة كأداء ، ضد نجاحه فى الشرق الاوسط بأكمله وانه لاسبيل للمهادنة الا ان تجبر اسرائيل على الانصياع الى قواعد العدل والحق .. وهكذا خاب أمل اسرائيل التى كانت تطمع ان تسيطر على هذا المؤتمر فى غيبة البلاد العربية وتزعم انها الحزب الوحيد الاشتراكى الذى يلى الحكم كبورما

وازددنا اقتناعا بصواب حركتنا وان انسحابنا هو السبيل الوحيد لوضع حد لزحف أسرائيل عندما عاد المؤتمر فألغى قرارات صدرت فى لجنة ( ج ) لصالح اسرائيل وفى غفلة منا حيث لم يكن لنا ممثل فى هذه اللجنة واعتمدنا على وجود الاستاذ الطيب سليم ممثل تونس فى هذه اللجنة والذى ابلى بلاء حسنا بالنسبة لعرضه قضية تونس والدفاع عنها ولكنه لم يستطع أن يعدل قرار اللجنة القاضى بضرورة احترام الحدود بين العرب واسرائيل واعتبارها حدودا نهائية وما يحمله ذلك فى طياته من الاعتراف باسرائيل واقرار الامر الواقع . وكان الغاء هذا القرار صفعة جديدة لاسرائيل ما كنا لنصل اليها لو اننا ظللنا فى المؤتمر .

وهكذا نجحنا بالانسحاب اضعاف اضعاف نجاحنا بالاشتراك . وكان انسحابنا هو ثمرة الاقتناع المجدد ان العرب يخسرون اذا قبلوا الاعتراف أو التفاهم مع اسرائيل

وقد استمر المؤتمر بعد انسحابنا بضعة ايام أخرى عقد فيها عدة جلسات وأراد المستر اتلى ان ينتهز فرصة انسحابى من المؤتمر ليعمل على تغيير قرار المؤتمر القاضى بالاستقلال عن الاشتراكية الدولية فألقى فى مناقشة عامة خطابا مطولا عن الاشتراكية الدولية داعيا للانضمام اليها فتصدى له جمهور الحاضرين وعلى رأسهم أحد الاعضاء الهنود متهمين الانجليز والاوروبيين بأنهم عاشوا مائتى سنة على دماء الشعوب المستعبدة فى افريقيا وآسيا وانه لايوجد اسيوى واحد يضع يده فى يد الانجليز أو الفرنسيين الا بعد ان يغسلوا أيديهم من الاستعمار نهائيا فى آسيا وافريقيا . ولم يكد هذا التصريح يلقى حتى دوت القاعة المكتظة بالمئات من ممثلى شعوب آسيا بالتصفيق فوقع ذلك على المستر اتلى كالصاعقة . . وعندما وقف ليرد على الهجوم الشديد الذى شن عليه لم يصفق له اى انسان فأضطر لان يعلن خيبة امله وراح يكرر كلمة خيبة الامل بضع مرات بصورة لفتت نظر الجميع فقد كان الرجل يتصور انه لايوجد سوى مندوب مصر الذى يهاجمه هذا الهجوم وربما فلسف هذا الهجوم بينه وبين نفسه . . ولكن مندوب مصر لم يكد يخرج من الميدان حتى وجد كل انسان يكرر ما كان يقوله من ان أيدى اوربا ملطخة بدماء الشعوب الاسيوية والافريقية وانه لاسلام ولالقاء بين بين آسيا واوربا الا ان تتحرر كل شعوب العالم الواقعة فى براثن الاستعمار اولا

## المؤتمر فى الميزان

وانتهى المؤتمر مصدرا بعض قرارات افلاطونية لا قيمة لها ولا جدوى من الناحية العملية باستثناء القرار الخاص بانشاء المؤتمر بالفعل .



صورة احمد حسين والاستاذ نسيم مجدلانى عقب الانسحاب من المؤتمر وقد جاء بعض اقطاب المؤتمر لاقناعه بالعدول عن انسـحابه وهم من اليمين الى اليسار جاياركاش نارايان رئيس الوفد الهندى و (او ـ تشو ـ نيين ) وزير الدولة وسكرتير الحزب الاشتراكى البريطانى ـ ثم الاستاذ نسيم مجدلانى ـ ثم سفير اندونيسيا فى بورما ـ احمد حسين ـ سفير بورما فى الصين

فقد ندد بالاستعمــار بصفة عامة واعلن عن وجوب انشاء مكتب لمكافحة الاستعمار فى افريقيا وآسيا . ومكافحة الاستعمــار باصدار القرارات هى صيحــة تتردد الآن حتى ممن يحــاربهم الاشتراكيون فى آسيــا باعتبارهم محافظين أو رأسماليين .

ان المؤتمر الهندى الذى يرأسه نهرو قد اجتمع فى ذات الوقت فى حيــدر آباد فى الهند وكانت قراراته فيما يتعلق بحرب الاستعمار أشــد واقوى من هذا الذى أصدره المؤتمر الاشتراكى وقد حدثنى الطيب سليم مندوب تونس كيف انه خطب فى حيدر آباد وسط ربع مليون من اعضاء المؤتمر خطابا رائعا من تونس وكيف هيأت له حكومة الهند اتخاذ مكتب لتونس فى نيودلهى يكون دوره أشبه ما يكون بدور السفارة ولقد زرت هذا المكتب وهو لايزال تحت التأسيس فى نيودلهى .

فان يصــدر المؤتمر الاشــتراكى بضع عبارات يظهــر فيها سخطه على الاستعمار فى آسيا وافريقيا لايزيد عن انه مجرد كلام يصدر الآن من كثير من الاوربيين المستعمرين أنفسهم .

وحسبك لكى تعلم افلاس هذا المؤتمر من النــاحية الادبية انه لم يتعرض لمشكلة كوريا بقليل أو كثير وهى من أخطر مشــاكل العــالم فى الوقت الحاضر وما كان لمؤتمر اشتراكى اسيوى أن لايبدى رأيه فى هذه الحرب ويعلن رأيه فى وضوح وصراحة داعيــا شعوب آسيا الوقوف الموقف الذى يتفق مع مصلحة شعوب آسيا ذاتها .

ولم يتعرض المؤتمر بقليل أو كثير لهذه الحرب الدائرة فى الهند الصينية بين الاستعمار الفرنسى وسكان البلاد وكذلك لم يطالب بجلاء الانجليز عن الملايو

وليس ذلك كله الا الدليل على أن الفكرة خلف عقد المؤتمر لم تكن فكرة أقوام يؤمنون بمبادىء معينة فيدافعون عنها ويتكتلون فى سبيل الذود عنها . . لقد كان المقصود الاول والاخير هو مجرد هذا التجمع بفكرة محاربة الشــيوعية فى آسيا لا لحساب الاسيويين أنفسهم ولكن لحساب الخطط الامريكية الانجليزية

ولذلك فقد حمدت الله اننى غسلت يدى فى الوقت المناسب من الاشــتراك فى هذا التشكيل لاننى رجل يؤمن فى الدرجة الاولى أنه لا سلام للعالم ولا ارتقاء للبشر ما لم يقض نهائيا على الاستعمار بشتى اساليبه واشكاله . . . والانجليز والبلجيكيون والهولنــديون والايطاليون والاسبانيون والاوروبيون على العموم تدعمهم الان الرأسمالية الامريكية هم الذين يتشبثون بهذا الاستعمار ويدوسون تحت أقدامهم عشرات الملايين من البشر التعســاء فى افريقيــا وأن كل محاولة تبذل الآن لمحاربة الشيوعية قبل القضاء على الاستعمار هى بمثابة طعنة للوطنية التى لايجب أن يكون لها سوى هدف واحد ودين واحد وهو التحرير والاستقلال

بأى ثمن من الاثمان . عندما كان مصير انجلترا فى الميزان أسرع تشرشل زعيم غلاة المحافظين بالارتماء فى أحضان الشيوعية مصرحا تصريحه المشهور من انه على استعداد ان يحالف الشيطان نفسه للقضاء على هتلر وعصابته . فهلا يجب أن يتخذ الشرقيون من ذلك درسا وعبرة وقد كانت اوربا لهم دائما هى الاستاذ وكانت انجلترا هى المرشدة والملهمة أما يجب أن ينخذوا من ذلك درسا وعبرة فلايسمحوا لاى قوة على ظهر الارض ان تصرفهم عن الجهاد فى سبيل الحرية فاذا حصلوا عليها لم يسمحوا لاى قوة أن تعيدهم من جديد الى العبودية

وحقا ان آسيا كلها قد تحررت ولكن اخطبوط الاستعمار وسرطانه لا يزال قائما حيا واذا كان قد انسحب من آسيا فقد آوى الى افريقيا وهو يمتد بأسلوب جديد على أطراف آسيا متخذا صورة الحرب الكورية والحرب فى الهند الصينية وفى الملايو وهو لاينتظر سوى غفلة من هذه الشعوب الوليدة لكى ينشب براثنه من جديد . فعلى أبناء آسيا .. على أبناء الهند والباكستان وبورما واندونيسيا وبقية الشعوب الاسيوية الحرة ان لايلقوا السلاح ضد الاستعمار حتى يجهزوا نهائيا على هذا التنين ولا يبقى له أثر على ظهر الارض وبعد ذلك فليتكلموا ماشاءوا عن الشيوعية وعن خطر الشيوعية وعما اذا كانت تخفى فى طياتها استعمارا من لون جديد أو انها تنطوى على ما يهدد الكيان الروحى للبشر كما يقال .

على ان المؤتمر قد انطوى على حسنة لايمكن اغفالها بحال من الاحوال وهى التقريب بين شعوب آسيا وافريقيا . فلولا هذا المؤتمر لما أتيح لى أنا المصرى وزميلى اللبنانى ان نزور هذه البلاد ونقف على التيارات العالمية فى هذا الجزء من العالم .

كما ان سكان آسيا قد سمعوا لاول مرة مشاكل مصر وفلسطين وشمال افريقيا واوغندا وكينيا وبقية الشعوب الافريقية المكافحة فى سبيل الحرية . وقد هيأوا منبرا عالميا ارتفع منه الصوت ضد الاستعمار .

وهذا التعاون والتقارب هو فى حد ذاته هدفا له قيمته ولذلك فيجب ان يسجل كحسنة من حسنات المؤتمر وان تشكر عليه حكومة بورما التى هيأت لنا هذه الفرصة، أو بالاحرى الحزب الاشتراكى البرمانى، وأخى الدكتور لوهيا عقل الحزب الاشتراكى الهندى وروحه ، وهو الذى أوعز بدعوتى وأصر على هذه الدعوة .

# الفصل الثالث

# بــورمــا :

## ملاحظات

## - ١ -

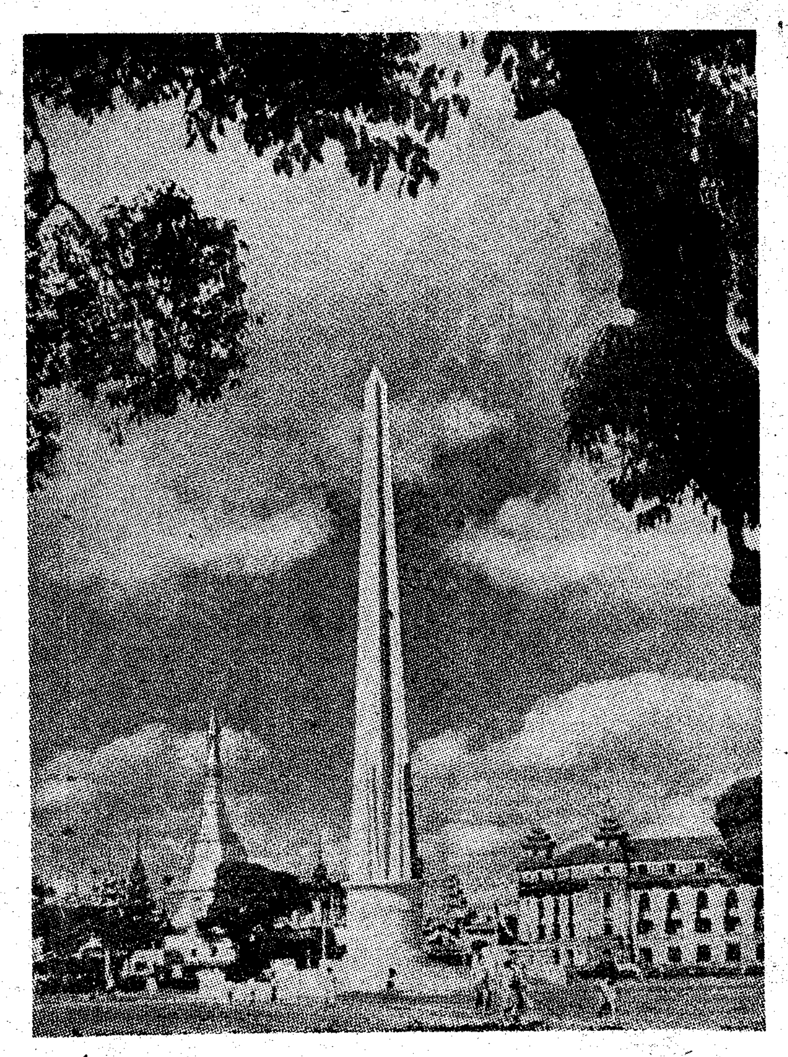
انسحبت من اعمال المؤتمر التي كانت تشغل كل وقتي بالليل والنهار وبدأت اتفرغ لدراسة احوال بورما مبتدئا بما يحيط بي من مدينة رانجون

وكان يستوقف نظرى كلما ذهبت الى المؤتمر أو عدت منه ثلاث مؤسسات أما اولاها فنصب الاستقلال المقام فى أفسح ميادين رانجون المواجهة لدار البلدية حيث يعقد المؤتمر . وكان مايلفت نظرى فى هـذا النصب هـو انه أقيم على شكل المسلة المصرية وهكذا غزت المسـلة المصرية وطريقـة تصميمهـا قلب آسيا بعد ان غزت اوربا وامريكا . فما من عاصمة من عواصم الدنيا الا وهى تزين أعظم ميادينها بالمسلات المصرية القديمة ابتـداء من باريس فى ميـدان الكونكورد وانتهاء بروما ولندن ونيويورك وواشنطون ، فى كل هذه العواصم تقوم المسلات الفرعونية القديمة شاهدة بعظمة مصر واصالة حضارتها ، او تقـوم النصب التذكارية التى بنيت على شكل المسلة مما يشهد للذوق المصرى القديم والهندسة المصرية بالخلود على مر الايام

**دار القضاء :**

اما المبنى الثانى الذى كان يسترعى اهتمامى واعجابى فقد كان دار القضاء العالى . ولقد بادرت بزيارة هذه الدار باعتبارى محاميا من ناحية وكبـاحث من ناحيـة اخرى فالقضاء فى كل امة هو عنوان رقيها وحضارتها . ولم أكد ادخل المبنى الشامخ الذى يسيطر عليـه الهدوء حتى خلت نفسى فى محكمـة انجليزية . . وعندما دخلت الى قاعات الجلسات تأكد هـذا المعنى فى نفسى الا وهو ان هذه محكمة انجليزية بالرغم من ان القضاة الجالسين والمحـامين المترافعين واصحاب القضايا جميعا من البرمانيين . وأدركت من هذه النظرة العابرة كيف حكم الانجليز بورما مائتى عام تقريبا . بل كيف حكمـوا قارة الهند كلها . . فقد حكموها من هذه الدور الشامخة التى أقاموها ، والنظـام المحكم الذى وضعوه لتوزيع العدالة .

لقد انتهز الانجليز فرصة الخلافات التى كانت تمزق هذه البلاد القديمة . .



وهكذا شقت المسألة المصرية طريقها الى احشاء اسيا

انتهزوا فرصة الحروب الدائمة بين هذه الاجناس المتنافسة والاديان والشيع والاحزاب ، واقاموا من انفسهم قضاة عدولا لفض هذه المنازعات فاطمأن الناس الى قضائهم واخلدوا لاستعمارهم الى ان اكتشفوا فى نهاية الامر ان القضاء الانجليزى ليس فى حقيقته الا كقضاء القرد بين القطتين والذى انتهى باكل قطعة الجبن كلها .

ولكن الشعوب الاسيوية احتاجت الى عدة اجيال لاكتشاف هذه الحقيقة . قبل ان يذهب عنها تأثير هذه الاوضاع التى ( هوشها ) بها الانجليز وعلى رأسها كلها وفى مقدمتها « القضاء بالعدل والقسطاس »

ان المحكمة اليوم لم تعد محكمة انجليزية كما قدمت ، ومع ذلك فان الانسان يشعر لها بجلال ووقار عجيبين وليس ذلك كله الا بقية الاثر الذى غرسه الانجليز طوال مائة سنة والذى تلقاه عنهم القضاة الوطنيون .

هذا الذى رأيته فى رانجون هو بذاته الذى رأيته فى كل مدن الهند الكبرى فدار القضاء هى أعلى الدور كلها واروعها والنظام القضائى هو النظام الانجليزى الذى يرتفع بالقضاء الى مرتبة القداسة

ولقد اتيح لى فى رانجون ان اجلس مع المحامين فى حجرتهم بالمحكمة ، التى كانت فى حقيقتها مكتبة ضخمة تحوى بضعة الوف من كتب القانون وقد ادهشهم ان يعلموا ان للمحامين فى مصر نقابة ، وان هذه النقابة توزع معاشات التقاعد على المحامين وتمدهم بالاعانات اذا احتاجوا .. وقد شرحت لهم نظامنا من هذه الناحية فتحمس له المحامون الشبان واعتزموا ان يفكروا فيه .

**آثار الانجليز :**

واذا كانت دور المحاكم هى من ابرز آثار الحكم الانجليزى ، فان ملاعب سباق الخيل لاتقل وضوحا عن دور المحاكم .. ففى كل مدينة ذهبنا اليها رأينا السكان جميعا مشغولين بسباق الخيل فى يوم الاحد بصورة جنونية لاتقل جنونا عما هو حادث من هذا القبيل فى انجلترا واسكتلندا وايرلندا .

ولقد دعينا نحن الضيوف الى شهود حفلة من حفلات سباق الخيل ولما كان لم يتح لى فى حياتى كلها ان احضر حفلة من هذه الحفلات ، فقد انتهزت الفرصة لكى اشهد هذه الحفلة ، لازداد دراسة لشعب بورما واقف على مايجرى فى سباق الخيل بصفة عامة

وكانت الاجراءات التى تمت ، هى صورة طبق الاصل مما يجرى فى بلادنا حسبما اطالع فى الجرائد وكان الجواد الفائز فى اكبر المسابقات : مملوكا لسيدة فأهديت كأسا كبرى وجائزة قدرها الف جنيه . وقد كان المستر اتلى يطمع فى ان يدعى لتقديم هذا الكأس فظل يقوم ويقعد من مكانه حتى اذا اكتشف

بأنه لن يقدم الكأس ، بل لم يدع للجلوس في أحد مقعدى الشرف المحجوزين دائما لرئيس الجمهورية ورئيس الوزارة .. انسحب من المكان فلم نعثر له وقت أهداء الكأس على أثر .

**اللغة الانجليزية :**

على ان الاثر الذى يدهش الانسان السائح فى آسيا اكثر من أى شيء آخر هو هذا السلطان المطلق للغة الانجليزية ويقف الانسان حائرا امام هذا التأثير ولايعرف أيرضى عنه أم يغضب . فاللغة الانجليزية هى السبيل الوحيد للتفاهم مع المثقفين من كل شعوب آسيا . ولقد اجتمعنا فى المؤتمر من الهند والباكستان وبورما واندونيسيا واليابان والملايو ولبنان ومصر وامريكا وانجلترا ولم تكن هناك لغة للتخاطب والتفاهم سوى الانجليزية وكانت كل أعمال المؤتمر تطبع بالانجليزية والصحف الانجليزية تطالعك فى كل هذه البلاد وهى الوسيلة الوحيدة للتخاطب وتبادل الافكار . ولقد وجدت فى الهند صحفا انجليزية واسعة الانتشار هى صورة طبق الاصل من التيمس الانجليزية .

ان الهنود المتعلمين لايتخاطبون فيما بينهم الابالانجليزية .. بل أنهم كمايصفون انفسهم اذا مافكروا فكروا بالانجليزية ، ثم ترجموا أفكارهم الى الهندية . واذا كان الهندى لايكلم أخاه الهندى الا بالانجليزية فيكون بالاحرى الا يستطيع التفاهم مع اليابانى أو الصينى الا بالانجليزية

ولاجدال ان سيادة اللغة الانجليزية كانت قد اوشكت ان تنهار فى آسيا بانهيار انجلترا لولا ان جاءتها امريكا بمدد جديد ، فالانجليزية هى لغة الامريكان كما هى لغة الانجليز ، والامريكان هم من اصحاب الكلمة الان والنفوذ فى آسيا . وهذه الشعوب الجديدة محتاجة للتمسك بالانجليزية للاستفادة بها فى معاملاتها فيما بينها من ناحية وفيما بينها وبين الامريكان من ناحية اخرى .

ولكن هل يظل هذا السلطان طويلا ؟ ! أغلب ظنى ان نهضة هذه الشعوب بعد استقلالها ستحد من انتشار اللغة الانجليزية فالدعوة الان فى كل مكان لاستعمال اللغات القومية فى السياسة والادب والعلم ولست أشك لحظة انه لايمضى جيل او جيلان من الآن الا وتنقرض اللغة الانجليزية الا فى صفوف الصفوة من السياسيين والدبلوماسيين والعلماء

**- ٢ -**

**بوذا وتعاليمه :**

ذكرت فيما سبق ان قدماى و بالاحرى عجلات السيارة التى درجت بنا

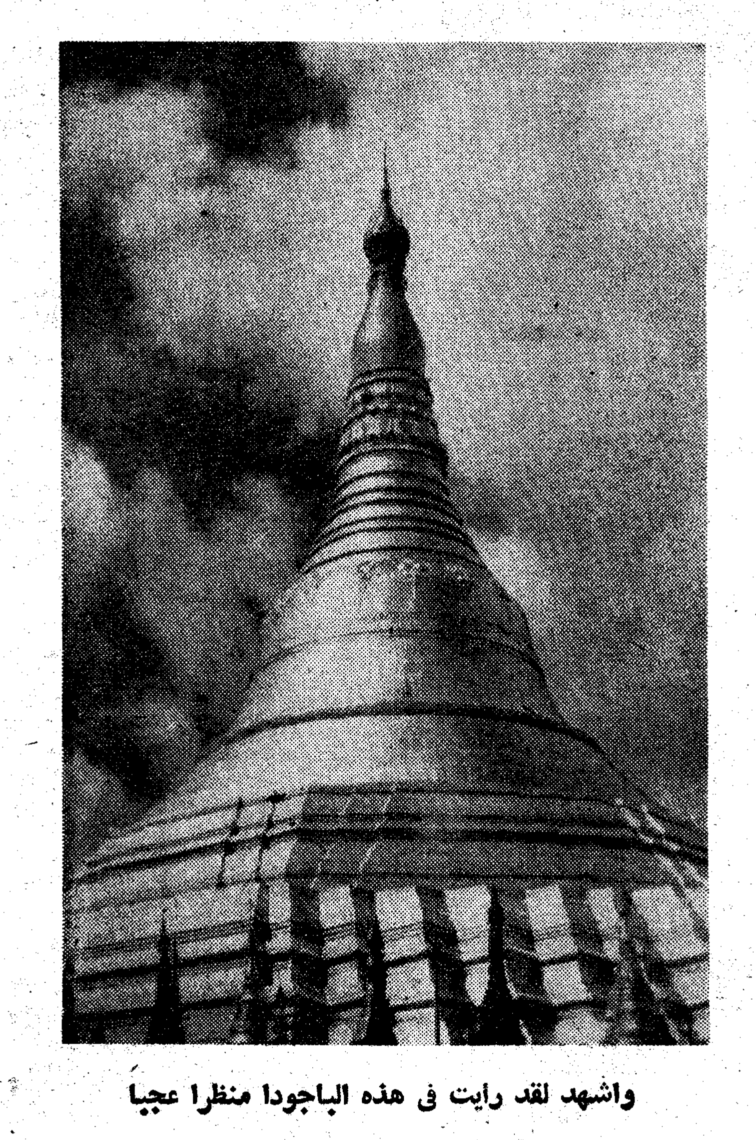
من المطار لم تكد تدخل الى قلب مدينة رانجـون حتى خطف بصرى منظـر ( الباجودا ) او معبد بوذا وكانت هى التى اشعرتنى فى لحظة اننى اصبحت فى أعماق آسيا واننى أعيش الان بين البوذيين . والباجودا تتـألف دائمـا من قبة مخروطية على شكل الناقوس تناطح السحاب وتغطي بالذهب الذى يتألق تحت أشعة الشمس المحرقة بصورة تخطف البصر . وفى الليل تضاء هذه القبة بالكهرباء فيراها الانسـان سواء بالليـل او بالنهـار من مسـيرة عشرات الاميـال لانهـا أعلى الابنيـة طـرا بل ان ماعداها اكواخ واعشاش

ولم أكد افرغ من اعمال المؤتمر حتى سعيت لزيارة (الباجودا) الكبرى التى تقع خارج رانجون والتى لاتقاس بها هذه الباجودا الصغيرة التى تقع فى وسط المدينة. واشهد لقد رأيت فى هذه الباجودا الكبرى منظرا عجبا من هذه المناظر التى تترك طابعهـا فى نفس الانسان حتى آخر لحظة من حياته . وان منظرين اثنين همـا اللذان سيلازمانى ما عشت أولهما منظر هـذه الباجودا الكبرى فى رانجون ، والثانى منظر « التاج محل » وهى المقبرة التى اقامها « شاه جهان » امبراطور الهند المسلم لزوجته وحبيبته « ممتاز محل » ممـا سـأتحدث عنه خلال حديثى عن رحلة الهند والباكستان .

أقيمت البـاجودا على تل مرتفع ورحت أصـعد الى قمتها على مئـات من الدرجات التى ترتقى الى هذه القمة من اكثر من اتجاه وناحيةحتى اذا وصلت الىالقمة وانكشفت امامىهذه القبة المخروطية الضاربة فىكبد السماء والمكسوة بالذهب الابريز ، وقفت مشدوها أمام عظمة الله التى جعلت الانسان فى سبيل الزلفى اليه وعبادته ، قد اقام له فى كل بلد وفى كل مصر ، وفى كل عصر وزمان، الهياكل والمعابد والكنائس فى شتى الصور والاشكال ، وتحت مختلف النعوت والاوصاف ، التى تلتقى كلها عند نقطة واحدة وهى بحث الانسان عن خالقـه ليتقرب اليه ويعبده . ومن خلال هذه المحاولة انبثقت كل الحضارات والمدنيات. وراح الانسان يصعد فى سلم الارتقاء البشرى.

لقد غزا الانجليز بورما ، ولا بد أنهم أحسوا فى انفسهم دائما مقدار التفوق على شعب بورما وانهم من سـلالة الآلهة ، ان لم يـكونوا هم الالهـة نفسها بالنسبة لهؤلاء البرمانيين ، ولـكن لا أشك لحظة أن الانجليز كانوا يقفون دائما حائرين مشدوهين ، وهم يشعرون بالعجز والقصور، أمام هذه الباجودا وهذا الشعب الذى استطاع أن يبنى هـذه القبة بكل هـذا الارتفاع والجمال والفن والبذخ . وما قولك بقبة ضخمة لا حد لضخامتها قد بنيت بلبنات من الذهب الخالص .

قال مرافقى البوذى لقـد بنت الالهة نفسها هـذه القبة ، فليس باستطاعة الانسـان أن يبنيها . ومثل ذلك كان يقوله المصريون عن الأهرام وان بناته كانوا



**واشهد لقد رأيت فى هذه الباجودا منظرا عجباً**

من العفاريت والجن ، وليس ذلك سوى آية على الضعف الذى كنا قد انحدرنا اليه ، بحيث أصبحت اعمال الاجداد اما ان تنسب للالهة عند هؤلاء الذين يتصورون الالهة تعيش بين الناس ، أو ان تنسب الى العفاريت والجن عند الذين ينزهون الله عن النزول الى الارض .. وهكذا نفس الداء وذات الامراض . وعباد بوذا يحملون له دائما الزهور ليضعوها تحت تمثاله ، ولكل اسرة كبيرة او كل غنى او كل ملك تمثاله الذى يقيمه فى الباجودا ، ولسواد الشعب التماثيل الكبرى التى ينشئها لهم الحكام والامراء .

وثمة اسلوب آخر للتقرب لبوذا وهو شراء اوراق الذهب الرقيقة ولصقها على تماثيله او جدران المعبد .

ولقد حاولت ان أفهم من مرافقى عندما جثا للصلاة ماذا قال فى صلاته فلم يستطع ان يقول لى شيئا .. ولم يستطع ان يشرح لى شيئا من البوذية أو رأيه فى بوذا .

ولقد طالعت من قبل كثيرا عن البوذية فيما طالعت عن الاديان المختلفة وعلمت من مطالعاتى ان بورما بالذات أحدى المراكز الحساسة للديانة البوذية . وشعب بورما يعتبر فى طليعة الشعوب التى تدين بالبوذية فى حماسة والتى تعتبر البوذية بالنسبة لها وطنية خاصة . ولذلك فقد حرصت كل الحرص على ان ادرس كل ما يتصل بالبوذية فى مهدها . وما اعظم الفارق دائما بين ما نطالعه عن مبادىء دين من الاديان وفلسفته وبين ما نراه مطبقا بالفعل على أيدى معتنقى هذا الدين . فان تعاليم بوذا تختلف عن تعاليم أى دين من الاديان التى تعرفها البشرية من كونه لايتحدث عن الله أو اليوم الآخر ... ولا يخوض فى مباحث ما وراء الطبعة ولم يزعم انه نبى أو انه تلقى وحيا بل أنه ركز كل همه ودعوته فى تصوير الالام التى تنطوى عليها هذه الحياة والطريق لدفع هذه الآلام وبلوغ المرتبة التى ينتفى عن الانسان فيها كل ألم والتى يسميها « النرفانا »

هذا الرجل الذى قال قولته المشهورة « لا أعرف شيئا عن سر الاله ولكنى أعرف أشياء عن بؤس الانسان » هذا الرجل هو الذى يعبد الآن بواسطة مئات الملايين من البشر على أنه الله ذاته بحيث تلخصت كل ديانته فى ان تقام له المعابد الشامخة التى تشاد فيها تماثيل بوذا بالعشرات والمئات ، ولهذه التماثيل والنصب تقدم القرابين وتؤدى الصلوات .

وهكذا أبى العوام فى كل زمان ومكان الا ان يجعلوا لله صورة حسية مادية ترمز اليه ليستطيعوا ان يتقدموا لها بالقرابين والدعاء .

وكلما راعتهم حياة رسول من الرسل أو عظيم من العظماء جعلوه رمزا على الالوهية ذاتها . فالمسيح عيسى بن مريم أصبح بذاته صورة من صور الاله ..

وبالمثل أصبح بوذا لدى معتنقى ديانتـه وتعاليمه . ولذلك فان كتاب الغـرب وفلاسفته والباحثين فى الاديان يعقدون المقارنة دائما بين بوذا والمسيح . ولاجدال ان حيـاة كلا الرجلين تتشابه الى حـد كبير ، وما اتصف به كلاهما من الدعة والرحمة والدعوة المستمرة للحب والزهد تكاد تصل الى درجة التطابق . .

ولعل الفـارق بين الرسالتين ان المسيح دعا الى الرب والى ملكوت السماء الذى أعد للمتقين وخوف بالنار التى أعدت للخاطئين ، وتحدث كبقية الانبيـاء والرسل عن البعث والنشور والحساب والعقاب .

أما بوذا فقد انفرد كما قدمنا بترك ذلك كله وحصر الدعوة فى آداب السلوك ومنهاج الحياة فى هذه الدنيا باعتبارها الطريق الذى يؤدى بالانسان الى التنوير الـكامل غير مستعين فى دعوته بالترغيب أو الترهيب او مستـخدما أساليب الكهان وخرافاتهم واوهامهم التى يستغل فيها اسم الله اسوأ استغلال .

أما لماذا اختار بوذا هذا الطريق الفذ الذى لم يسبقه اليه هاد من الهـداة والمرشدين فلعل مرجع ذلك هو اغراق البيئة الهندية التى نشأ فيها بوذا، فى الكهنوت والطقوس الدينية والمباحث اللاهوتية والوف الالوف من الآلهـة التى تعبد فى الهند بلا عدد ولا حساب

لقد حاولت ان اعثر على هندى واحد ممن اتصـلوا بى يفهـم شيئـا عن دينه فلم أجد ، ولابد ان يجلس الانسان الى فلاسـفة الهنـد وحكمـائها او كهانهم لكى يعرف شيئا عن هذا الدين . . . وعلى كثرة ما طالعت عن الديانة الهندوكية ونقبت بنفسى فى الهند فلم استطع ان أقف على قواعد ثابتة متفق عليها على أى صورة من صور الاتفاق . الا أن تكون فكرة تناسخ الارواح . فالآلهة لا حد لها ولا حصر والاسماء البارزة فيها تتغير من عهـد الى عهـد ومن بلد الى بلد ومن ولاية الى ولاية . فلكل مدينة الهها أو آلهتها المحببة التى يحتفل بها . . . بل أن لكل هندى الاله المفضل عنده الذى يتقدم اليه بقرابينه وليس يعنى ذلك أن بقية الآلهة ليست آلهة فالكل آلهة وكل اسـم من الاسماء التى تذكر يوصف بأنه كبير الآلهة : فشيفا وفشنو وبرأهمـا كل منهم قد يذكر على أنه كبير الآلهة ثم لا تلبث أن تصـادف أسـماء أخـرى ككريشنا وورودرا وناريانا واندرا وفارونا ومترا . . . حتى غاندى قد أصبح الان باعتباره صورة من صور الرب ، يرسم هـذا الرسـم التقليـدى للاله بعدة اذرع واكثر من رأس . فاذا وجدت نفسـك فى هـذا الخضـم الذى لا أول له ولا آخر استطعت أن تصل الى جوهر الديانة الهندية فهى تؤمن بوحدة الوجود ، وأن الله موجود فى كل شىء ، وانه يتقمص الصور والاشكال المختلفة فلا عجب اذا كانت كل هذه الاسماء التى ذكرتها لك والتى لم اذكرها هى الله . هذا التيه من العبادات التى استغرقت طقوسها حيـاة الشـعب

الهندى ، لعلها هى التى جعلت بوذا يقول هذه الكلمة المشهورة « لست أعرف شيئا عن سر الاله ، ولكنى أعرف أشياء عن بؤس الانسان » لقد ترك بوذا المباحث الميتافيزيكية كلها أى مباحث ما وراء الطبيعة وقصر بحثه على الانسان وكيف يعامل بعضه بعضا ليحصل على الامن والسلام ولعله قدحقق قول الرسول المشهور « الدين المعاملة » الى أبعد الحدود

وأحسب أنه من المفيد فى هذه العجالة أن نذكر شيئا من تاريخ بوذا ذلك الذى قدر له كما قدمنا أن يطبع آسيا كلها بطابعه سواء دانت بدينه أو لم تدن

## حياة بوذا :

لقد حيكت حول شخصية بوذا بين معتنقيه ألوف الحكايات والقصص الخرافية ولكن الباحثين والمدققين قد استطاعوا أن يستخلصوا هذا الجزء من الحقائق المتفق عليها . ولد « سيد هارتا ساكيا مونى جوتاما » وعاش فى القرنين السادس والخامس قبل المسيح لامير هندى كان يحكم قبيلة ( ساكيا ) التى تعيش فى سفح جبال الهملايا

وكانت أمه احدى زوجتى الامير وهى ابنة أحد الملوك المجاورين . وعندما حملت به أمه ارادت ان تنتقل الى بيت أبيها لتضع طفلها حسب عادة ذلك الزمان ولكن المخاض فاجأها فى أثناء الطريق فوضعت ( جوتاما ) فى ظل بعض أشجار الغابات ونشأ الطفل وترعرع وسط مباهج البلاط الذى لم يعرف من الدنيا سواه . ولقد استمتع بحياته كأقصى ما يمكن لشاب ، موفور الصحة غارق فى الجاه والثروة ، أن يستمتع بحيث يمكن القول أنه لم يدع ثمرة من ثمار شجرة الحياة الطيبة الا واقتطفها صاعدا مع الزمن الى الافرع العالية من هذه الشجرة

وفى التاسعة عشرة من عمره تزوج بابنة عمه الجميلة الفاتنة «يازودهارا» ولكن زواجه الجميل لم يلبث ان اصابه الشحوب وغشيته السحب ، فقد كانت زوجته عاقرا . وبدأ الامير الشاب يحس أول لذعات الالم والحرمان ، وبدأ يسائل نفسه عن سر هذه الحياة التى لا يستطيع أقوى الاقوياء فيها أن يحصل على كل ما يريد وأن يحقق رغباته كلها

وخرج فى يوم من الايام يسوق عربته وسط المروج التى تحيط ببلدته مصطحبا معه سائق عربته ( كانا ) فقابل لاول مرة فى حياته رجلا عجوزا قد أثقلت السنون كاهله فانحنى انحناءة قاسية وراح يدب على الارض فى ضعف وألم ووهن . وانزعج جوتاما لهذا المنظر بينما كان سائق عربته(كانا) يهمس له « هذا يامولاى طريق الحياة »

ولم يكد جوتا مايفيق من هذه الصدمة حتى وقع نظره على شحاذ متسول قد شوهه البرص وهده الجوع والفقر والذل ، وهمس كانا مرة أخرى فى أذن سيده « وهذا أيضا طريق الحياة »

وانطلق جوتاما وقد استبد به الذعر فاذا به يرى جثة عارية ملقاة على الطريق وقد جافت ونتنت وهرأتها الشمس . وأسرع كانا يقول لسيده الذى يوشك أن يغمى عليه من هول مارأى «وهذه ياسيدى هى نهايةالحياة»

وعاد جوتاما الى قصره كئيبا حزينا بعد أن اطلع على بؤس الناس وتفاهة الحياة لاول مرة ، وراح بين نفسه يفكر ويفكر وقد اعتزم أن يفعل شيئا لمعالجة هذا البؤس والشقاء

وراح يسأل كل من حوله ... وبصفةخاصة هؤلاء الرهبان ورجال الدين عن سر هذه الحياة وعن كيفية حل مشاكلها ... ولكن أحدا لم يستطع أن يشفى غليله او يدفع غلته ... فقرر ان يهجر قصر أبيه وان يدع هذا النعيم ... بل أن يدع زوجته وينطلق فى الحياة هائما على وجهه باحثا خلف الحقيقة . وبينما كان يتأهب لتنفيذ عزمه ، اذا بزوجته الجميلة تضع له طفلا رائع الجمال ، وضج كل من فى القصر بهذه البشرى السعيدة وأحاطوا بالوالد السعيد وهم يهزجون الاهازيج وينشدون « سعيد هذا الاب الذى رزق بهذا الغلام ، سعيدة هى الام التى رزقت بهذا الامير، سعيد هو الزوج الذى له مثل هذه الزوجة وهذا الولد »

ولكن هذا الحادث الجديد فى حياة جوتاما لم يزده الا اصرارا على عزمه فراح يردد فى نفسه « وهذه رابطة جديدة يجب أن أقطعها »

وفى جنح الليل تسلل الى حجرة زوجته فألفاها نائمة وعلى ذراعها طفله الجميل فنظر اليهما نظرة الوداع عن بعد ولم يشأ أن يقترب منهما لئلا يوقظهما فيحولا بينه وبين انفاذ مشيئته

وانسحب من الحجرة واغلق وراءه الباب ثم اصطحب سائق عربته « كانا » وانطلق يعدو هاربا من هذا النعيم

وراحت الاصوات فى داخل نفسه تصيح به : الى أين تذهب أيها المجنون عد الى ملكك وملك أبيك ، سوف تكون أعظم ملك فى الدنيا ، وسيحوطك دائما الجمال والبهاء وتجاب كل رغباتك . ولكن ذلك كله لم يكن يزد جوتاما الا اندفاعا نحو الامام والهابا لظهور الخيل بالسوط لئلا يكتشف فراره احد أو يعوقه عائق عن المضى فى انفاذ عزمه

وعند الفجر وصل الى شاطىء نهر ، فاستل سيفه وقطع به شعره الطويل وخلع ملابسه من الخز والديباج وحليه من الجواهر والذهب والاحجار الكريمة وأعطى ذلك كله لسائق عربته « كانا » فى مقابل أن يعود ليخبر أباه

وزوجته بما استقر عليه عزمه ونوع الحياة الجديدة التى سيحياها . وتدثر جوتاما بقطعة من القماش الاصفر على ما كان يلبس الفلاحون فى ذلك الزمان وراح يضرب فى الارض باحثا خلف الحكمة وسر الحياة من افواه الكهان والحكماء العائشين فى الكهوف والمغارات وحنايا الغابات

ولكن هؤلاء الكهان والحكماء من رجال الدين القديم لم يستطيعوا ان يطفئوا ظمأه الى المعرفة . لا ، ليس من أجل هذا الطراز من الناس قد هجر جوتاما مملكته وزوجته وابنه واختار لنفسه لباس المتسولين ، ذلك الرداء الاصفر الفاقع اللون . ان هؤلاء الكهان هم أشبه الناس بأمراء الهند ، انهم أسياد الناس وهم يستعبدون الجماهير بأغلال من الاوهام والخرافات والاوكار والاسحار والطقوس والاحتفالات . انهم سلالة الغزاة الفاتحين الذين قسموا الناس الى طبقات تعلوها وتتوجها طبقة البراهمة المتغطرسة ، وفى ادناها طائفة المنبوذين ... لا ... أن هؤلاء البراهمة لا يعرفون الحق . لقد استمع اليهم طوال ست سنوات ملتزما كل ما فرضوه عليه من فروض الطاعات وصنوف الحرمان . لقد قالوا له أن طريق الخلاص فى تعذيب الجسد ، وأن طهارة الروح لا تكون الا من خلال المشاق والمعاناة . فأجاع نفسه الى درجة الموت ، وأخذ نفسه على الوان من الارهاق ينوء تحت كاهلها أى انسان ، مما جعل الناس تبكى من أجله وتلتف حوله ايمانا بقداساته لفرط ما أنزله بنفسه من صنوف العذاب ... ومع ذلك فان ذلك كله لم يدنه من الحق الذى يبحث عنه قيد شعرة

لا ... انه لن يجد السلام فى تعذيب جسده فليأكل وليشرب وليكف عن هذا اللون من الجنون

واقبل جوتاما يأكل كما يأكل الناس ويشرب كما يشربون وسط اتباعه الذين اذهلهم هذا الانقلاب ، وانفضوا من حوله بعد ان لم يعد جوتاما القديس الذى تصوروه . ومرة أخرى وجد جوتاما نفسه وحيدا مهجورا

وفى ذات ليلة بينما كان جوتاما يجلس تحت الشجرة الخالدة يكافح الشك والوحدة اذا بسكينة عظيمة تهبط عليه وتغمر قلبه . وعندما استيقظ فى الفجر لم يكن هو ذات الشخص جوتاما الذى كان بالامس ولكنه أصبح « بوذا » أى المتنور فقد ادرك سر الآلام التى يتكبدها البشر وعرف اسبابها وطريق علاجها

ولقد تردد بوذا فى بادىء الامر ان يطلع الناس على هذا السر الذى انفرد باجتلائه ولكن حماسة الدعوة تملكته فانطلق يبشر بين الناس بما أوتيه من علم . وقد ابتدأ دعوته من مدينة « بنارس » فى منطقة تسمى « سارنات » وقد أتيح لى أن أشهد هذه المنطقة وسوف أتحدث عنها بالتفصيل عند حديثى

عن زيارتي للهند ، فالتف حوله خمس تلاميذ صحبوه طول حيـاته حتى ساعته الاخيرة .

## - ٣ -

وقد عاش بوذا ثمانين سنة يضرب في بيداء الارض ، ويغمر الناس بحبه وحنانه ، ويبهرهم بزهده وتجرده، ويعلمهم ما أوتي من الحكمة وفصل الخطاب

قيل انه في احدى المرات كانت هناك سيدة جميلة شابة فقدت طفلها فكادت تجن من الحزن والاسى وراحت تطرق أبواب الناس تسألهم عن دواء يرد ابنها، الذي كانت تحتضن جثته ، الى الحيـاة . فوصلت في تجوالها الى بيت راهب وسألته عن الدواء الذي يرد ابنها الى الحياة فغمغم الراهب في سره « مسكينة انها لاتعلم » ثم رفع صوته قائلا : انني آسف أيتها المـرأة لأني لا أملك الدواء الذي تطلبينه ، ولكن هناك رجل عنده هذا الدواء فسألته الأم الثكلى في لهفة : من هو ... أين هو ؟ فأجابها : انه بوذا فعليك ان تذهبي اليه .

وبحثت المرأة عن بوذا حتى وجدته وتوسلت اليه ان يدلها على الدواء الذي يرد ابنها الى الحياة فقال لهـا بوذا ما أسهل دوائك أيتهـا المرأة عليك ببذور الخردل فانهـا كفيلة ان ترد ابنك الى الحيـاة . وكادت المرأة تطير من الفرح لسهولة الحصول على الدواء ، ولـكن بوذا اكمل حديثـه قائلا : على شرط ان تحصلي على هذه البذور من بيت لم يمت لاحد فيه أب أو ابن أو أم أو قريب او عبد من العبيد . واسرعت المرأة تدق الابواب بحثا عن بذور الخردل. وكان الجميع يبدون استعدادهم على الفور لمنحها هذه البذور ، ولكنها عندما كانت تسألهم عما اذا كان سكان البيت قد مات لهم أب أو ابن أو أم أو قريب ، كانوا يردون عليها جميعا بالايجاب ، فتنصرف كسيفة البال الى بيت آخر فلا تلقى سوى نفس الجواب : أن الموتى لا حصر لهم أما الاحياء فقليلون .. وأدركت المرأة انها تبحث عن المحال فاستغرقت في تفكير عميق، ثم اتجهت صوب الغابة ودفنت طفلها وعادت صوب بوذا فسألها : هل وجدت بذور الخردل فأجابت المرأة : لا يا سيد ولكني وجدت العلاج ، واني الآن على اسـتعداد ان اتبعك في سلام وسكينة .

وقد حدث أثناء تجوال بوذا بعد ان استطارت دعوته ، ان وجد نفسه تلقاء مسقط راسه وكرسي ملك ابيه وملكه فلم يتردد بوذا في الدخول الى شوارع المدينة ملتمسا الصدقة من الرائحين والغادين في وعاء صدقته. ووصل الخبر الى أبيه وبقية الامراء فأسرعوا لملاقاته وكاد ابوه ان يصعق لمرأى ابنه على هذه الصورة فصرخ في وجهه قائلا : لماذا تجللنا بالخزي والعـار وتمد يدك بالسؤال وانت من أسرة ملكية عاشت طول عمرها تعطي ولا تأخذ .

فنظر له بوذا فى هدوء وقال له : أنا أيضا أعطى أحبائى من الكنز الذى اكتشفته . فدعاه أبوه الى القصر وطلب منه ان يعطيهم من هذا الكنز، فذهب بوذا الى قصر أبيه والتف حوله الامراء فراح بصوته الهادىء يلقى عليهم تعاليمه .

وذهب لملاقاة زوجته فألفاها فى ذات الحجرة التى رآها فيها للمرة الاخيرة عندما ودعها هى وابنه وهى نائمة . ولم تكد زوجته تراه فى منظره الجديد حليق الرأس مرتديا هذا الرداء الاصفر رداء المتسولين يحمل فى يده وعاء الصدقات، وتذكرت ايامهما السعيدة التى عاشاها سويا ، حتى انفجرت بالبكاء والعويل وارتمت على قدمى بوذا وتعلقت بركبتيه وهى تنشج بالبكاء والتأوهات . فلما رآى الملك والد بوذا حزنها قال لابنه : اغفر لها يابنى كما غفرت هى لك من قبل .

ان يازودهارا زوجتك لم ينقطع حبها لك طوال هذه السنوات التى تخليت عنها فيها . . . لقد رفضت ان ترتدى الملابس الرقيقة أو ان تأكل الطعام الشهى فى غيابك . ولم تكن تأكل الا مرة واحدة فى اليوم وقد رفضت ان تنام على فراش عرسها مؤثرة النوم على الارض .

ولم يزد بوذا عند سماعه هذا القول على ان يخفض عينيه فى سكون

وقامت يازودهارا باحثة عن ابنها ( راهولا ) وجاءت به الى بوذا قائلة له : أى بنى هذا أبوك وهو يتحدث عن كنز عثر عليه فعليك ان تطالبه بحقك . قل له أنك ابنه وسوف تكون رئيس العشيرة من بعده فواجبه ان يدلك على طريق هذا الكنز .

وكان بوذا يفكر فى صمت طوال الوقت ، حتى اذا أتم أكل غداءه من الارز الذى قدم له فى ( وعاء صدقته ) بارح القصر الى خارج المدينة فلحقه ابنه وهو يكرر ما قالته له أمه من المطالبة بحقه فى معرفة الطريق الى الكنز . فأجابه بوذا : أجل يابنى انك محق كل الحق فى المطالبة بحقك ، والتفت الى واحد من تلاميذه وقال له : اعط ( راهولا ) وعاء الصدقة ومره ان يتبعنى

وانطلق بوذا مرة اخرى فى الافاق يواصل نشر دعوته التى لخصها فى غرض واحد وهو الحصول على السعادة من خلال السلام ، فعاش حرا من كل القيود والاوهام بسيطا ، امينا ، لطيفا ، لايجلب الاذى لأى كائن من الكائنات لانه كان يشعر أن هناك صلة تربطه ليس فقط بالاحياء من بنى الانسان ، بل بالحياة فى كل صورها وأشكالها . وكما أن النحلة تقف على الزهرة فلا تؤذى لونها أو رائحتها ثم تطير عنها محملة بالرحيق فهكذا ينبغى على الانسان العاقل أن يعيش على الارض

## تعاليم بوذا الاساسية :

ذكرنا فيما سبق ان بوذا لا يخوض فى البحث عن الخالق والرب وصفته ولكنه ينصرف مباشرة الى علاج مشكلة الحياة نفسها . فهو يقرر أن الحياة فى وجـود مستمر وان الارواح بالتالى فى تناسخ مستمر الى مالا نهاية ، ولما كانت الحياة فى حقيقتها ليست سوى ألم فعلى الانسان أن يعمـل جاهدا لوضع حد لهذا الالم بالوصول الى درجة ( النرفانا ) التى تنقطع عندها سلسلة تناسخ الارواح ويحصل الانسان عندها على السعادة المطلقة . ويسمى بوذا طريقه « الطريق الاوسط » أى الذى لا يتطرف فى ارضاء الشـهوات ، ولا يتطرف فى اضناء الجسد ويلخص تعاليمه فيما يسمى الحقائق النبيلة الاربعة

### الحقيقة الاولى : الحياة ألم

ليست الحياة عند بوذا سوى ألم محض وهى حقيقة لا تحتاج الى برهان فى نظره وحسبك أن تنظر الى الانسان منذ ولادته حيث تكابد أمه ويـكابد الالم للخروج الى هذا الوجود ، والانحلال والضعف ألم والمرض ألم ، والموت ألم ، والاتحاد بالاشياء غير السارة ألم ، والانفصال عن الاشياء السارة ألم . وكل رغبة لا يحققها الانسان فهى ألم

وليس ينكر بوذا أن الحياة تنطوى على بعض المسرات والمباهج ، ولـكن حتى هذه تظللها سحب الاحزان والعذاب

فالحياة هى والالم صنوان تلك هى حقيقة بوذا الاولى

### الحقيقة الثانية : سبب الالم

ويعزو بوذا آلام الانسان الى رغباته فى هذه الحياة ، سواء كانت هـذه الرغبات حسية تتصل بالجسد وارضاء شهواته ونزواته ، أو كانت معنوية كالرغبة فى الجاه والسلطان والانتصار والشهرة والتفوق ، والشـوق الى السعادة والهناءة . وليست الرغبة سوى نار تحرق صاحبها وكلما تحققت الرغبات ازدادت اشتعالا كالنار التى يصب عليها البترول ، فتحقيق رغبة الانسان يخلق فيه رغبات جديدة أقوى وأعنف من تلك التى حققها وهكذا . وهذا هو مبعث الالم

### الحقيقة الثالثة : ايقاف الالم

وفى هذه الحقيقة الثالثة يتحدث بوذا عن امكان ايقـاف الالم عـن طـريق التحرر والخلاص من الرغبات وهذا التحرر والخلاص من الرغبات هو جوهر رسالته .

**الحقيقة الرابعة : كيفية منع الالم**

وينتقل بوذا ليشرح للناس كيف يصلون الى هذا التحرر والخلاص من الرغبات ليمنعوا عن أنفسهم الألم . وفى هذا يقول

« والان هاكم الحقيقة النبيلة التى تدلكم على طريق اجتناب الآلام والمكابدة. وانها تتلخص فى ثمانية مبادىء كريمة »

١ — « الادراك الصحيح » للحقائق الاربعة — ٢ — « الاهداف الصحيحة » ومؤداها ان يتخلى الانسان عن حياة الملذات وان لا يضمر فى نفسه أى حقد أو حسد أو كراهية او رغبة فى ايذاء اى مخلوق — ٣ — « القول الصحيح » وهو يستلزم الابتعاد عن كل زور وبهتان فى القول ، وعن السب والاهانة وكل الفاظ خشنة او ثرثرة فارغة — ٤ — « السلوك الصحيح » وهو يتناول كل فضائل الحياة مع ضغط على التحذير من القتل ، واخذ ماليس من حق الانسان وكل صنوف الاستهتار والتحلل والاستغراق فى الشهوات — ٥ — « الجهد الصحيح » وفى هذا المبدأ يقول بوذا « لسنا فى الحقيقة سوى ثمرة لما يعتمل فى تفكيرنا . كل شىء من اعمالنا انما يرجع الى تفكيرنا ، هو من صنع تفكيرنا ، وعندمايتكلم انسان او أيتصرف بفكرة شريرة فان الالم يتبع ذلك على الفور كما تتبع العجلة خطا الثور الذى يجر العربة . واذا تكلم انسان او تصرف بافكار خيرة فان السعادة تتبع ذلك حتما كما يتبع الظل الشىء دائما

٦ ، ٧ « العقلية الصحيحة » ويندرج تحتها ضبط النفس ويقول بوذا فى شرح هذا المبدأ اذا كان هناك رجل قد انتصر على ألف رجل فى ألف معركة وثمة رجل آخر قد انتصر على نفسه فان هذا الاخير هو اعظم الرجلين

٨ — « النشوة الصحيحة » وتلك هى ختام المراحل والتى لايحصل عليها الانسان الا من خلال التأمل والتفكير العميق للوصول الى الاشراق الروحى ، هى بأن يكون الانسان حرا من كل العواطف التى تربطه بهذه الحياة وان يلج حالة السكينة والسلام ، سكينة ( النرفانا )

هذا هو بوذا وتعاليمه ، وليعذرنا القارىء اذا كنا قد اسهبنافى هذه الناحية بعض الشىء مما لايتفق مع حديث عابر ، كما هو الشأن فى هذا الكتيب فنحن الان فى آسيا ولن نستطيع ان نفهم العقلية الاسيوية ، بل لن نستطيع ان تفسر التاريخ والحوادث الاسيوية مالم يعرف الانسان طرفا من حياة بوذا والبوذية .

فليس هناك رجل اثر فى حياة آسيا تأثير بوذا ، ولاجدال عندى ان هذا الاثر العميق انما يرجع الى شخصية الرجل باكثر مما يرجع الى تعاليمه . فالبشرية دائما تتأثر بالشخص وسلوكه وروحانيته باكثرمما تتأثر بالمبادىء ،



بوذا

ولم يعرف التاريخ فى قديمه او حديثه اميرا ينزل عن مباهج الحياة كلها وعزها وسلطانها ليعيش متسولا باكيا لآلام البشر محاولا انقاذهم منها . فلا عجب ان افتتن الناس فى آسيا بحياة بوذا وتعاليمه فهذا شأنهم فى كل زمان ومكان .

وقد انتشرت البوذية فى حياة بوذا نفسه فى طول الهند وعرضها، ثم ازدهرت حتى أصبحت الدين الرسمي للدولة فى عهد الملك أزوكا فى القرن الثالث قبل المسيح ، ولكن محيط الديانة الهندوكية سرعان ما ابتلع هذا النهر المتدفق فقد أصبح بوذا هو أحد التقمصات للالهة وسرت مبادؤه وتعاليمه الى الكهان والحكماء والبراهمة الذين لاعداد لهم ولاحصر فى الهند فلم يعد للبوذية استقلال كدين مستقل فى الهند ، ولكنها فى خارج الهند اصبحت هى الدين الاول الذى يدين به ثلث البشر ، مئات الملايين فى اليابان والصين وكوريا والتبت والهند الصينية وسيام وبورما والملايو وبعض جزر الهند الشرقية وجزيرة سيلان

والبوذيون بطبيعة تعاليم دينهم متسامحون مع الاديان الاخرى وسائر المعتقدات ولذلك فان المسلمين فى بورما قد عاشوا دائما بعيدين عن كل اضطهاد أو اعتداء بعكس الحال فى الهند . كما ان بوذا قد انكر النظام الطبقى فلا وجود له فى هذه المجتمعات التى تدين بالبوذية .

ويصادف الانسان حينما سار واني اتجه فى آسيا هؤلاء الرهبان الحليقى الرؤوس والذين يرتدون الاردية الصفراء ويحملون اوعية الصدقات والذين يعيشون كما عاش بوذا من قبل على الصدقات وتعليم الناس .

ولقد كان من الطريف حقا ان وفد الحزب الاشتراكى اليابانى ( الجناح الايسر ) كان يضم بعض الرهبان البوذيين والذين حضروا المؤتمر بملابسهم الصفراء ورؤوسهم الحليقة

— ٤ —

**اجتماع حاشد :**

على الرغم من انسحابى فقد ظللت

فى ضيافة حكومة بورما التى أرسلت الى من يقول انه بالرغم من انسحابى من المؤتمر فاننى ما زلت ضيفها . ولذلك فقد وجهت الى كل الدعوات التى كانت توجه لاعضاء المؤتمر ولقد رأيت من ناحيتى أنه ليس هناك ما يدعونى لرفض هذه الدعوات الكريمة التى كانت تتيح لى فرصة الدراسة ليس فقط دراسة بورما واحوالها .. بل دراسة السياسة العالمية كلها وسياسة آسيا بصفة خاصة فقد كانت هناك دعوات من الهنود وأخرى من اليابانيين وثالثة من

اليوجوسلافيين وكانت هناك دعوات تتيح لى فرصة الدعاية لمصر والاشادة بنهضتها وسط هذا العالم الجديد

ولست بمستطيع أن أتحدث بالتفصيل عن كل ما يتصل بهذه الاجتماعات والدعوات ولكنى لا أستطيع فى مثل هذا الكتاب أن أغفل الاشارة الى بعض مناسبات لكل منها مغزاه ودلالته فى هدف كتابنا هذا

فأما المناسبة الاولى فقد كانت عندما دعى رؤساء الوفود لكى يخطبوا فى اجتماع حاشد من أهالى رانجون يناهز المائة ألف وكان علينا أن نستيقظ فى الساعة السادسة من صباح يوم الاحد ١١ يناير لنسير فى موكب شعبى يخترق شوارع رانجون حتى تصل الى مدرج رانجون الكبير حيث تحتشد جموع الشعب لتسمع خطبنا .

وقد سرنا فى الشارع يحمل كل منا لافتة كبيرة عليها اسم بلاده وذلك ليرى شعب بورما اسماء هذه الدول التى جاءت من كل فج عميق لتجتمع تحت سماء بورما . وكان الذى يأخذ بلبى ويحيرنى فى خلال هذه المظاهرة كيف أن كل شىء كان يتم فى هدوء وسكينة فلا تتعطل حركة المرور فى المدينة ولا يبدو هذا الجو الصاخب فضلا عن الجو المضطرب الذى يشحن الجو فى بلادنا اذا ما اجتمعت هذه الجموع ... منذ الصباح الباكر كانت الجموع تتدفق نحو ارض المدرج الكبير ... ما بين طلاب الجامعات فى مواكبهم وفتيات الاتحاد النسائى وعمال الاتحادات ووفود الفلاحين الذين جاءوا من أنحاء البلاد ... كل هؤلاء كانوا يتجهون صوب مكان التجميع فى هدوء وسكينة أو بين انشاد الاناشيد واصوات الموسيقى . وسرنا نحن فى الطرقات على الاقدام بضع كيلو مترات ولم يشفقوا علينا أو يقولوا هؤلاء ضيوفنا فلا يسيرون على اقدامهم ... لان الشعب يجب أن يرى وفود الدول وكبرائها وهم يسيرون ... يسيرون على الاقدام المسافات الطويلة كأى مواطن كادح .

وعندما وصلنا الى أرض المدرج قاد موكبنا الطويل قائد وكنت اتصور اننا سنذوب فى هذه الجموع الحاشدة وان نظامنا سيختل، ولكن كأننا جزء من آلة كبيرة تسير وفق نواميس محدودة فاذا بنا ندخل من باب ونسير فى طريق .. واذا بنا فى داخل المدرج ... بل وامام المقاعد المخصصة لنا ، وقد تم ذلك كله فى بضع دقائق فى غير عناء أو مجهود

وكانت الجموع التى لا حصر لها قد اتخذت أماكنها بمثل هذا اليسر وهذه السهولة وكان هناك اضعاف أضعاف الجالسين يقفون فى ساحة المدرج المكشوفة لاشعة الشمس حيث أقيمت منصة الخطابة وحيث جلسنا نحن الخطباء ليلقى كل منا خطبته وكان السكون مخيما على المكان فكأن هذه الجموع على رؤوسها الطير وفى الساعة والدقيقة المحددة لبدأ القاء الخطب اعتلى المستر اتلى المنصة

ليتكلم باسم انجلترا بل باسم الاشتراكية الدولية ... ولاول مرة وقف هذا الطود الانجليزى ليخاطب أهالى بورما مناديا اياهم «بالرفاق» ولم يكن باستطاعته امام هذه الجموع الا ان يشعر بقوتها. واحسب أن أهل بورما لم يسمعوا الانجليزى العادى فى بلادهم خطيبا فقد كان يتجلى بينهم دائما ابدا على صورة « السيد » لايكلمهم الا من أنفه ولاينظر اليهم الا من عل ... لاأظن أن أهالى بورما سمعوا فى يوم من الايام من فم انجليزى الا بضع كلمات يلوكها فى غطرسة مصدرا بها أمرا أو حكما أو متظاهرا بالتلطف والرقة ... ولكنهم فى هذا اليوم التاريخى الخالد سمعوا رئيس حكومة انجلترا السابق وممثل حزبها الحاكم فى الانتخابات القادمة يقول لهم أيها الرفاق ثم يحادثهم كما يحادث زملاءهم فى انجلترا حديث الند للند ... بل حديث الخادم لسيده لان الفرد دائما لا يمكن الا أن يكون خادما للجماعة .

ولقد جعلنى ذلك الموقف مرة أخرى أستشعر عمق التطور الذى وصلت اليه الامور فى هذا القسم من العالم

وجاء دورى فى الخطابة

والقيت خطابى بالإنجليزية وكان هذه المرة معدا ومكتوبا من قبل وما ان القيت بعض العبارات حتى سمعت تصفيقا من بعض المحيطين بمنصة الخطابة وكان ذلك عندما تحدثت عن ثورة مصر التى قادها الجيش فطهر البلاد من ملك فاجر داعر ووضع حدا للاقطاعية فى مصر .

وهكذا ادركت بصورة قاطعة مدى حساسية الشعوب لنهضة مصر الجديدة فهذه الجموع لم ينبعث من بينها من قاطع خطيب بالتصفيق كما حدث لى عندما ذكرت اسم مصر وثورتها .

وكان محور خطابى عقد مقارنة بين مصر وبورما وكيف تعتمد كل منها على نهر شهير فالايراوادى يقابل نهر النيل ونحن الاثنين نشترك حتى فى انتاج الارز والقطن وبقية المحصولات الاخرى ... وأشرت الى التاريخ القديم لكلا البلدين وان لكل منا مدنية عريقة فى القدم .. ثم تحدثت عن نهضة مصر وبورما وان كلا من الشعبين يريد أن يعيش فى سلام ويساهم فى بناء السلام العالمى المبنى على الحرية والكرامة والكفاية لجميع بنى الانسان لا فرق بين أبيض أو أسود أو غنى وفقير . وأعلنت باسم مصر امام هذه الحشود وبين اسماع الدنيا كلها وبصرها أن مصر عازمة على اخراج آخر انجليزى من أرض وادى النيل والتعاون على تحقيق السلام العالمى وانها فى ذلك تمد يدها الى شعب بورما ليسيرا جنبا الى جنب فى هذا الطريق .

**اليابان**

ثم توالى الخطباء بعد ذلك وكان من بين ما استوقفنى من خطبهم ما قاله

ممثل الحزب الاشتراكي الياباني (اليمين) عندما استهل خطابه بأن طأطأ رأسه أمام الجموع ووقف صامتا برهة لا يتكلم ثم انطلق يتحدث بلغتهم اليابانية فلما سألت عن تفسير ما فعل قيل لي أنه يقول : « انه يشعر بخجل عظيم اذ يقف أمام شعب بورما ... يشعر شعور المذنب المرتكب أمام قضاته نظرا لهذه الآلام والويلات التي صبها الجيش الياباني على بورما أثناء الاحتلال . وطلب من شعب بورما ان يغتفروا وان يصفحوا عن هذه الجرائم والتي لايجب أن يسأل عنها الشعب الياباني فقد كانت الحرب كلها من عمل حفنة من الاقطاعيين وتجار الحروب الذين أذلوا الشعب الياباني قبل أن يجرموا في حق شعب بورما باحتلالهم » وقد علمت ان هذه لم تكن اول مرة يبدأ اليابانيون حديثهم بهذا الاسلوب أسلوب الاعتذار والتظاهر بالندم وطلب الغفران فهم يفعلون ذلك كلما واتتهم الفرصة وكلما دعوا للكلام في محفل عام . وليس ذلك الا أحد خصائص اليابانيين فهم أقدر شعوب الارض على ما خبرت بنفسي على تغليف عواطفهم الحقيقية بغلاف كثيف يحجبها عن اشد الناس عمقا في استكناه الاسرار

لقد قيل لي في رانجون من رئيس وزراء بورما السابق الدكتور ( با ) انه كان في طوكيو عندما دخلتها جيوش الامريكان لاول مرة في تاريخ اليابان فما كان من الشعب الياباني الا أن اصطف على الطرقات وأحنى رأسه احتراما للجيش الامريكي الغازي .

ووصل الحد باليابانيين أصحاب المتاجر والمطاعم وبعض الملاهي أن يعلقوا على رأس محلاتهم « خاص بالامريكان فقط » أي لايجوز لليابانيين دخولها . وقد فعلوا ذلك كله دون أن يطلب منهم فعله فضلا عن أن يحملوا عليه .. لقد فعلوه طواعية واختيارا وفعلوه بالاجماع لايشذ فيهم ياباني عن آخر .

قال محدثي الدكتور ( با ) أن هذا شيء لانعرفه في بلادنا ولا أظنكم تعرفونه في بلادكم ... وان الانسان ليحار هل يحتقر اليابانيين الذين يحنوا الرؤوس بهذا الاسلوب لغزاتهم ام يعجب لهذه القدرة على ضبط الشعور والرضوخ لحقائق الحياة ومحاولة الاستعانة على حلها بالزمن والصبر والعمل الوئيد

ولقد كان هذا المؤتمر الاشتراكي الاسيوي كمرآة تعكس لي مايجري الآن في اليابان فقد تم توقيع معاهدة سان فرنسيسكو التي عقد فيها الصلح بين اليابانيين والامريكان وبقية الدول المحاربة ماعدا روسيا وأحس اليابانيون ان الساعة قد حانت لكي يخطو خطوة نحو الامام في سبيل خير اليابان فانقسم الحزب الاشتراكي الى قسمين قسم في اليمين وآخر في اليسار وجاءوا الى المؤتمر منقسمين كأعنف ما يكون الانقسام .. فقسم منهم وهو اليمين مايزال يتابع السياسة القديمة سياسة احلال امريكا محل الميكادو القديم في العبادة فاذا تحدثوا عن امريكا سبلوا عيونهم وخفتوا اصواتهم كما تتحدث عن الله والانبياء والقديسين . انهم ليسوا

مع امريكا بل وراء امريكا بل خدم امريكا اذا لزم الامر فان اليابان لن تنهض من كبوتها الا اذا سارت في هذا الطريق. ان امريكا ستعيد تسليح اليابان وهل باستطاعة اليابان ان تتحرر من الامريكان الا اذا اعادت تأليف جيشها وتسلحت .. هل باستطاعتها أن تقف في وجه روسيا والصين الا بالسلاح واذن فليحيا التسلح .

وامريكا هي التي ستفتح الاسواق لليابان من جديد ضد اوربا وهل باستطاعة اليابان ان تنهض الا اذا استردت أسواقها . فامريكا هي السيد وامريكا هي القائد وهي الزعيم ونحن وراء امريكا ، تحيا امريكا وليسقط كل عدو لامريكا . هذه هي اللغة التي يتكلم بها الجناح الايمن للحزب الاشتراكي الياباني وهو لايشعر في ذلك بأي خجل او حياء فضلا عن شعور بالخيانة أو قلة الوطنية فقد كانت اليابان كلها الي ماقبل توقيع معاهدة سان فرنسيسكو تتحدث بهذا الاسلوب ابتداء من الامبراطور حتى آخر فلاح .. كانت اليابان تشعر الدنيا كلها بأنها لم تكن في يوم من الايام اسعد منها في ظل السيد الامريكي

ولكن الساعة قد حانت كما ذكرت ليغير فريق من الشعب الياباني هذا الجزء من الخطة ولذلك فقد كان الجناح الايسر للحزب الاشتراكي الياباني والذي لم يولد الا منذ عام واحد .. كان هذا الجناح يتكلم بلغة تختلف كل الاختلاف عن هذه اللغة: انه لايوافق على معاهدة سان فرنسيسكو، انه لايوافق على اعادة تسليح اليابان

فالشعب الياباني لايجب أن يحارب دفاعا عن المصالح الامريكية. والامريكان يجب أن يجلو عن اليابان وعن كوريا ، والصين الشيوعية يجب أن يعترف بها ويجب أن يحال بين الزج بالاسيويين للمحاربة ضد الاسيويين لصالح الامريكان أو الاوربيين .

وأنت ترى ان هذه النظرة تخالف النظرة الاخرى مخالفة النقيض للنقيض ولذلك فلا يكاد ممثل الجناح الايمن يتكلم الا ويطلب الجناح الايسر الكلمة في أكبر المسائل مثل ما في اتفه المسائل لكل من الطرفين وجهة نظر لاتلتقي مع وجهة النظر الاخرى .. ولكن الطرفين يتحدثان في هدوء وفيما يشبه النعاس لان الامر في النهاية لايعدو ان يكون تمثيلا في تمثيل .. هو تمثيل غير مقصود .. هو تمثيل ينبثق من غريزة القوم وكفاحهم في سبيل الحياة وفي سبيل استرداد مكانهم في العالم .

فالطرفان يريدان تمزيق امريكا لواستطاعا لذلك سبيلا وليس أدل على ذلك من انهما احضرا معهما الى المؤتمر فيلما يمثل كارثة هوريشيما بعد ضربها بالقنبلة الذرية وكيف تحولت من مدينة غناء الى خرائب وأطلال. ولايوجد انسان على ظهر الارض يشاهد هذا الفيلم ثم لاينزل اللعنات على الامريكان الى ابد الابدين

ولعل اليمين أشد فى ذلك تطرفا من اليسار ولكنه يرى السبيل الى ذلك هو مسايرة الامريكان للحصول منهم على المال والسلاح وكل مايعيد بناء اليابان والطرف الآخر يرى أن هذه السياسة قد تجر على اليابان غضب روسيا والصين الشيوعية مما يهدد اليابان بأشد الكوارث اذن فليكن قسم يساير الروس والصين وليكن هذا التنافس بين القسمين هو مايزيد التنافس بين الامريكان والروس بالذات لمد اليابان بالمساعدات وبكل مايسرع بها الى الحياة

لقد كان هذا هو احساسى العميق ازاء هذين الجناحين من أجنحة اليابان ولذلك فعندما نزل الخطيب اليابانى من فوق منصة الخطابة وجلس الى جوارى التفت صوب اليابانيين من حولى يمينا ويسارا وقلت لهم « قولوا ماشئتم عن جرائمكم التى ارتكبتموها فى حق بورما وفى حق شعوب آسيا .. اعتذروا ماشئتم عن الحرب الغادرة التى شننتموها ضد الامريكان والاوربيين أما أنا فأقول لكم انه لولا هذه الحرب التى شننتموها لما كانت الان بورما مستقلة ولما كانت الهند مستقلة وماكانت آسيا كلها مستقلة ..

لقد بعثتم آسيا كلها من جديد وانتم تدفعون الان الثمن من حريتكم ومن كرامتكم ومن ثروتكم بعد أن دفعتموه من دمائكم .

والبشرية مدينة لكم بهذا الدين ، والمهم انكم تعرفون ذلك لا فرق فيكم بين يمين ويسار .

وصمت اليابانيون لحظة ونظر بعضهم الى بعض ثم قال قائلهم ولست أعرف اذا كان من اليمين أو اليسار انه لطيف منك ياسيدى أن تقول ذلك . ثم عادوا الى الصمت من جديد ، وراحوا يحدقون فى الفضاء بنظراتهم التائهة .

— ٥ —

**أندونيسيا الظافرة :**

ووقف سوتان شهرير ممثل اندونيسيا ليلقى كلمة الوفد الاندونيسى ؟ وبالرغم من قصر قامته الذى يلفت النظر ، فقد بدا مهيب الطلعة جليل القدر فى ملابسه الوطنية الرائعة التى ارتداها لاول مرة بهذه المناسبة ، والتى تتألف من قميص ابيض وازار اسود ومايشبه الطربوش الاسود المصنوع من المخمل ( القطيفة ) فوق الرأس . وسرح خاطرى الى اندونيسيا الثائرة وقصة بعثها العجيبة التى تفوق قصة أى شعب أخر

لقد كانت أندونيسيا هى أول من ألهب شعور الشعوب الاسيوية كلها وشجعتها على طلب الاستقلال والنضال من أجل الحرية، فقد كان انتصارها رائعا ... ووثبتها جبارة

قد لا يعرف القراء أن هولندا حكمت أندونيسيا طوال ثلاثة قرون ونصف

وفى غمضة عين زال كل ذلك وانتقلت اندونيسيا من أقسى الاستعمار والاستغلال ، الى الحرية الكاملة المطلقة أو ( مرديكا ) كما يهتف بها الاندنيسيون كل صباح ومساء

كانت هذه الحرية ( مرديكا ) حلما وخيالا ومستحيلا من المستحيلات الا بالنسبة لعدد محدود من أبناء الجيل الجديد فى أندونيسيا والذين عاشوا خارج بلادهم ، ومع ذلك فقد ظفرت اندونيسيا فى ومضة قصيرة باستقلالها الكامل المطلق ، وكان سوتان شهرير وهو يلقى خطابه فى مدينة رانجون هو آية ناطقة بهذه الحقيقة : فقد كان يتحدث باسم ٧٢ مليون من البشر الاحرار وكان يقص على العالمين كيف حصلت أندونيسيا على حريتها واستقلالها ، وكيف أقسمت الملايين من أبنائها أن لا تضيع هذا الاستقلال أبدا . كان ينذر ويحذر كل من تسول له نفسه المساس والاعتداء على هذه الحرية ، او التفكير فى استغلال هذه الملايين او تجيف حق من حقوقها ، فأن جيش اندونيسيا لا يقدر بمائة ألف أو مائتين أو مليون أو ثلاثة ، ان جيش أندونيسيا هو سبعون مليون أندونيسى أى عدة الشعب بأكمله .

فعند ما حاولت هولندا بمساعدة انجلترا نفسها أن تعيد فرض سلطانها بالقوة على الشعب الاندونيسى بعد الحرب العالمية الثانية ، هب الرجال والنساء والاطفال بدون استثناء يقاومون المستعمر الغاصب ، ولم يبالوا بنيران الاسطول الانجليزى التى كانت تصب على موانيهم الحمم ، بل لم يبالوا بجحيم الطائرات التى راحت تدك مدنهم وقراهم ، لقد أقسم الاندونيسيون جميعا أن لا يمكنوا لعدوهم من أن يسلبهم الحرية التى أعلنوها ، والجمهورية التى انبثقت من ارادتهم وعزيمتهم ، فصاحوا جميعا فى صوت واحد « لن تمروا » ووقف الهولنديون فى بعض المدن الكبرى على الشواطىء تحت حماية الاسطول الانجليزى لا يستطيعون التقدم خطوة الى الامام . وعند ماجمعوا جموعهم وحشدوا قواتهم المسلحة وراحوا يشقون طريقهم فى داخلية البلاد ، اذا بهم يرون عجبا ، يرون النار وقد اشتعلت فى كل مكان فى المصانع والمؤسسات ، وفى كل ما يمكن أن تكون له قيمة اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية فضلا عن عسكرية . وأدرك الهولنديون انه لم يعد لهم طاقة بمواجهة هذا الشعب ، بل لم تعد لهم أدنى فائدة من المضى فى زحفهم وتقدمهم الا القضاء التام المطلق على آخر مصلحة من مصالحهم . لقد كان الهولنديون يملكون أربعمائة مصنع لعمل السكر فى جاوه وحدها فدمر الشعب منها ثلثمائة وخمسين ولو لم يوقف الهولنديون زحفهم لدمرت الخمسون الباقية . ولم يتردد الشعب الاندونيسى لحظة فى الابقاء على هذه الثروات الطائلة ، لم يقل وما هو ذنب المصانع أخربها ، لم يقل وأين يذهب ملايين العمال الذين

يرتزقون من هذه المصانع ... لقد كان الشعب الاندونيسى يخوض معركة الحياة والحرية ... وفى سبيل الحياة والحرية يجب أن يضحى الانسان بكل شىء ليكسب فى النهاية شيئا واحدا وهو شرف الانسانية وكرامتها

وقصة ظفر أندونيسيا بالحرية قصة طريفة جديرة بأن تذكر من بدايتها ولن نرجع فى هذه القصة الى الوراء فان مجال هذا الكتاب لا يتسع لها وحسبنا أن نتحدث عن جهادها فى سبيل الحرية فى مرحلته الاخيرة ، تلك المرحلة التى بدأت فى مستهل القرن العشرين وبدأت بتأسيس حزب يسمى حزب ( شركة اسلام ) قبل الحرب العالمية الاولى . وقد بدأ هذا الحزب جهاده فى الميدان الاقتصادى مستخدما سلاح الدين ليضمن تأييد الجماهير له ، ثم تطور فأصبح كفاحه اقتصاديا سياسيا بحتا

وسرعان ما أصبح هو الحزب المسيطر على الرأى العام فى اندونيسيا وبدأ يصدر قرارات تتصل بالمطالبة باستقلال اندونيسيا وحريتها . ومن ناحية أخرى بدأ الحزب يطبع بطابع اشتراكى بحت

وعند ما اندلعت الثورة الشيوعية فى روسيا ، وأعلنت شعوب آسيا أن الشيوعية معناها الحرية الكاملة لشعوب آسيا كلها ، سرت التعاليم الشيوعية فى صفوف أعضاء حزب ( شركة اسلام ) سريان النار فى الهشيم ، بحيث لم يأت عام ١٩٢٧ الا وكان من الواضح أن الحزب لا يمكن أن يحافظ على وحدته فقد كان يتألف من شيوعيين متطرفين فى الشيوعية ، ومن رجال دين يتعصبون لدينهم بعقلية جامدة . وهكذا حدث الانقسام فتألفت من العناصر المتأثرة بالشيوعية منظمة شيوعية أسرعت الجماهير للالتفاف حولها ففقد حزب « شركة اسلام » تفوقه وسرعان ما تفرقت عناصره

وبدأت الوطنية الاندونيسية تأخذ شكلا محددا لا تعتمد فيه على استغلال الدين من ناحية ، أو التطلع صوب العون الخارجى عن طريق الشيوعية من ناحية أخرى . وكان ذلك على يد « سوكارنو » رئيس الجمهورية الحالى وبطل أندونيسيا فقد أنشأ الحزب الوطنى الاندونيسى فى سنة ١٩٢٧ وبدأ نضاله الصريح فى سبيل استقلال اندونيسيا وحريتها .

وكان طبيعيا أن يتصدى له الهولنديون بالاضطهاد ، فقبضوا عليه فى سنة ١٩٢٩ وحكموا عليه بالسجن أربع سنوات وعلى الحزب الوطنى بالحل

وظهر رجل أندونيسيا الثانى فى الميدان ، ظهر محمد حتى نائب رئيس الجمهورية فألف الحزب الوطنى الاندونيسى الجديد ، وحمل بدوره اللواء . وبعد عامين انضم اليه الرجل الثالث من رجالات اندونيسيا والذى كان يقف أمامى خطيبا بقميصه الابيض وازاره الاسود يحدث الدنيا عن مشيئة شعب اندونيسيا فى أن يعيش حرا الى أبد الابدين وأعنى به «سوتان شهرير»

وخرج سوكارنو من السجن فى عام ١٩٣٢ ولم يكد يستأنف نضاله من أجل حرية شعبه مع الزميلين « حتى وشهرير » حتى عادت السلطات الهولاندية لاعتقال الجميع . فاعتقل سوكارنو ومحمد حتى وسوتان شهرير فى سنة ١٩٣٤ وأودعوا المعتقلات فى أواسط جزيرة غينيا الجديدة وسط الامراض والاحراش والحيوانات المفترسة والزواحف السامة ... أودعوا هذه المنطقة التى مات كل من ارسل اليها ليموتوا كما مات العشرات والمئات من قبل ... ولكن القدر كان يدخرهم ليتم على أيديهم اكبر معجزة فى القرن الحديث ، معجزة بعث الشعب الاندونيسى بعد ثلاثة قرون ونصف من الاستعمار الخانق

ففى سنة ١٩٤٢ كانت اليابان تغزو اندونيسيا وقد أسرعت لتتقرب للشعب فأطلقت سراح الزعماء الوطنيين وعلى رأسهم سوكارنو ، واظهرت استعدادها للتعاون معهم على اعداد اندونيسيا للاستقلال

وكان من المستحيل ان لا يستغل سوكارنو وحتى هذه الفرصة فاشتعلت الدعاية ضد الاوربيين فى طول أندونيسيا وعرضها ، واشتعلت بالاكثر ضد الهولنديين . ثم لم تلبث اللغة الهولندية أن ألغيت من الاستعمال وحلت محلها اللغة الاندونيسية ، وأصبح الشعار الذى يتغنى به الجميع « أسيا للاسيويين »

وفتحت معسكرات التدريب لشبان اندونيسيا وفتياتها ، وسرعان ما اكتشفوا قدرتهم على استعمال الاسلحة الحديثة التى كان الهولنديون يصورونها لهم بأن استعمالها فوق مستوى ادراكهم

وبعثت أندونيسيا اخيرا ، وانطلق العملاق من القمقم ، واصبح من المستحيل أن يعود ثانية اليه . ولذلك فعندما قلب اليابانيون ظهر المجن للاندونيسيين فى المرحلة الاخيرة من الحرب ، وجدوا الشعب الاندونيسى واقفا لهم بالمرصاد يقاوم خططهم واساليبهم . وفر كثير من الزعماء والاحرار وعلى رأسهم شهرير ، الى الجبال ليقودوا حركة المقاومة السرية ضد اليابانيين

وأستسلمت اليابان ، واعلن ان جيوش هولندا وانجلترا فى طريقها الى اندونيسيا لاعادة السلطان السابق لملكة هولندا . واصدر امبراطور اليابان تعليماته لجنوده ، وقواده فى اندونيسيا ان يحافظوا على النظام حتى يسلموا البلاد للجيوش الانجليزية

ولكن الوطنية الاندونيسية الثائرة كانت قد اعتزمت ان لاتعود الى الاغلال ابدا .

**اعلان الجمهورية :**

وفى ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٥ ألف ممثلوا الاحراب الاندونيسية المختلفة

لجنة لتضع الدستور الاندونيسي وفق مشيئة الشعب . وفي يوم ١٧ أغسطس أي بعد يومين اثنين دعى الشعب الاندونيسي للاجتماع في ميدان ( غمبير ) أكبر ميادين جاكرتا ( باتافيا ) فأعلن اليابانيون انهم لايصرحون بالاجتماع ، فصدر الامر للشبان الاندونيسيين المسلحين بالاسلحة الخفيفة ان يتجمعوا في هذا الميدان وان يحاربو العساكر اليابانية اذا تصدت لهم .

وفي اليوم المحدد هرع مئات الالوف من افراد الشعب والشبان المسلحين الى ميدان ( غمبير ) فتصدت لهم الجنود اليابانية ، ولكن أنى لهذه الجنود التي كانت قد استسلمت ان تتصدى لحرب هذه النار المشتعلة بروح الفداء من اجل الحرية .

وتحول ميدان غمبير الى جسد حي وكتلة بشرية لم يسبق ان اجتمعت في صعيد واحد بكل هذه القوة والحرارة ، وكانت الاعلام الحمراء البيضاء والاسلحة المشرعة أشبه ماتكون بغابة كثيفة قد اشتعلت فيها النيران

وفي اللحظة الحاسمة من تاريخ اندونيسيا في هذا اليوم ، جاءت سيارة يحيط بها ويقف فوق سطحها وعلى جوانبها وعلى مقدمتها شبان مسلحون بالمدافع الرشاشة ، ولم تكد الجماهير تلمح السيارة حتى ارتفعت صيحاتها وهتافاتها الى عنان السماء تحيي من في السيارة وتهتف بمجد الوطن . ووصلت السيارة الى منصة أنشئت على عجل . ونزل منها احمد سوكارنو ومحمد حتى واعتليا المنصة ، فكادت الجموع تجن من الحماس لرؤية رجليها في هذه الساعة الحاسمة . ولم يزد احمد سوكارنو وهو خطيب اندونيسيا الاول على ان وجه للجماهير سؤالين « ماذا تريدون » فردوا عليه كالرعد القاصف « الاستقلال» فسألهم « وهل أنتم مستعدون للدفاع عنه » فدوى الرعد القاصف مرة اخرى « نعم بدمائنا وارواحنا »

وهنا قال الزعيم سوكارنو : باسم الشعب الاندونيسي نعلن ـ أناوحتى ـ استقلال اندونيسيا .

ومنذ هذه اللحظة كان سبعون مليون من البشر يختمون فصلا من فصول الرق والعبودية ، ويفتحون سفرا جديدا من أسفار التاريخ تتوجه الحرية ويزينه النضال في سبيلها .

**سخرية :**

سخرت هولندا وانجلترا والدول الاستعمارية كلها من هذه الجمهورية الجديدة ، وصوروها للعالمين انها ليست سوى دمية يابانية ، ومسرحية فكاهية .

وعندما نزل الانجليز في اكتوبر من هذه السنة الى ارض اندونيسيا بحجة نزع سلاح اليابانيين ، راحوا يهيئون للهولنديين فرصة العودة لاحتلال البلاد ،

ولكنهم وجدوا الاندونيسيين بالمرصاد فقد اسرعوا للاصطدام بالجيوش الانجليزية نفسها . وعبثا انذر الانجليز ان يدكوا مدينة سورابايا بقنابلهم الضخمة ، فقد أصر الاندونيسيون على ان لا يطأ الهولنديون ارض بلادهم مرة اخرى . وفتح الانجليز جحيم مدافع اسطولهم كما فعلوا بالاسكندرية عام ١٨٨١ ولكن الزمن كان قد تغير منذ ١٨٨١ فالشعوب اليوم لم يعد الانجليزى يرهبها بمدافعه او اساطيله وتؤثر الموت على التسليم . لقد تحولت سورابايا الى « ستالين جراد اندونيسيا » وتجلت شجاعة الاندونوسيين واستهانتهم بالموت فاستطاعوا ان يقضوا على المجموعة الاولى من القوات التى نزلت فى هذا الميدان الحربى فلم ينج من هذه المجموعة سوى ضابط واحد . كما قضوا على نصف المجموعة الثانية ، ولكن مدافع البوارج تغلبت فى نهاية الامر بطبيعة الحال فأستطاعت انزال فرقها ودباباتها ، فكانت هذه فرصة جديدة لاظهار روعة المقاومة الاندونيسية فقد راحت بعض النساء تلقى بنفسها أمام الدبابات لتحول بينها وبين التقدم .

ولا يتسع المجال للاسهاب فى تفاصيل هذا النضال الرائع . والذى وصل الى حد نجاح الهولنديين فى احتلال جاكارتا واعتقال سوكارنو وحتى ، وظنوا ان قصة الجمهورية قد انتهت نهائيا ، ولكن المقاومة التى اشرنا اليها فيما سبق اندلعت فى كل مكان ولجأ الاندونيسيون الى سياسة «الارض المحترقة» وكادوا يحرقون آبار البترول الكبرى فاستسلم الهولنديون والانجليز وخاف الامريكان من عاقبة هذا الصراع مما قد يؤذن باشتعال نار الحرب بين الشرق والغرب من جديد . فأضطر الجميع فى سنة ١٩٤٩ لاعلان استقلال اندونيسيا رسميا والاعتراف بجمهوريتها وقبولها عضوا فى هيئة الامم . ونزلت هولندا عن سيادتها عن كل جزء من هذه الامبراطورية العتيدة والتى كان يطلق عليها اسم « الهند الشرقية » نزلت عن السيادة لاندونيسيا الحرة . وهكذا لم تعد الجمهورية حلما من الاحلام او خيالا بل حقيقة مقررة

**صعوبات ومخاطر :**

على ان صراع اندونيسيا فى سبيل الاستقلال وحصولها عليه لم يكن هو خاتمة المطاف ، بل هو فى الحقيقة اول مراحل الجهاد فى سبيل الابقاء على ذاتها وكيانها والتطور فى معارج الارتقاء وان الصعوبات التى لا يزال على اندونيسيا ان تتغلب عليها ، تجعل محبيها يمسكون بقلوبهم اشفاقا عليها ، ويحبسون انفاسهم لدقة ظروفها ، بينما يقف اعداؤها يتربصون بها الدوائر ، وهم يمنون انفسهم بقرب انهيار هذه الجمهورية الوليدة لعجزها عن حكم هذه الامبراطورية الشاسعة والتى لا مثيل لها فى تكوينها الجغرافى وصعوبة الاتصال والربط فيما بينها .

فالجمهورية الاندونيسية تتألف من ٣٠٠٠ جزيرة وهى بذلك اكبرمجموعة من الجزر فى العالم . وهى ليست متجاورة متكتلة كارخبيل الفيليبين بل انها تمتد على مسافة ٢٠٠٠ ميل . وتبلغ مساحتها مساحة الشرق الاوسط باكمله اى بكل صحاريه وبحاره وبحيراته بحيث تساوى مساحة مصر كلها بصحرائها الشرقية والغربية وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الاردن والعراق . وتفصل البحار اجزاء هذه المساحات الشاسعة فلابد لحكمها من اسطول قوى لم تكن اندونيسيا تملك منه قطعة واحدة . فضلا عن ان كثيرا من هذه الجزر تعيش فى حالة بدائية بغير طرق او مواصلات من اى نوع كان

واذا كان المسلمون يؤلفون الجزء الاكبر من سكان هذه البلاد اذ يبلغ عددهم أكثر من اربعين مليون فان كثيراً من هذه الجزر مسكون بشعوب اخرى يدين بعضها بالبوذية وبعضها باديان اخرى بدائية وقد كان ديدن المستعمر دائما أن يؤلب هذه العناصر ضد بعضها . بل ان المسلمين انفسهم بعد ان حصلوا على حريتهم من الغاصب الاجنبي ، بدأوا يختلفون فيما بينهم على طريقة حكم البلاد . ولاتزال بعض الفرق التى حاربت المستعمر بالامس فى شجاعة وبسالة ، ترفض اليوم القاء السلاح والخضوع للحكومة المركزية فى جاكرتا وتطالب بالاستقلال والانفصال . على ان ذلك كله لايقاس بالحالة التى خرجت عليها البلاد عقب الحرب والكفاح فى سبيل الاستقلال

لقد طبقت سياسة « الارض المحترقة » ثلاث مرات فى اندونيسيا . طبقها اليابانيون قبل تسليم البلاد ثانية للانجليز فحرقوا وخربوا واتلفوا ، ثم طبقها الاندونيسيون انفسهم فى حربهم ضد الهولنديين ، واخيرا طبقها الهولنديون عندما قرروا الانسحاب من البلاد . وقد قدرت خسائر اندونيسيا بما لا يقل عن ٥٤٠ مليون جنيه

وهكذا تقف حكومة الجمهورية على اطلال وانقاض وهى مسئولة عن اطعام شعب مؤلف من سبعين مليونا لم تعد ارضه بعد كل هذا التخريب تكفى لاطعامه

وحسبنا ان نقارن بعض منتجات كانت تصدرها اندونيسيا فى سنة ١٩٣٨ ، قبل الحرب وان نقارنها بما اصدرته فى سنة ١٩٤٦ لنرى الى اى حد كانت قد وصلت البلاد الى حد الخراب

ففى سنة ١٩٣٨ صدرت من البترول ستة ملايين طن بينما لم تصدر فى سنة ١٩٤٦ بعد الاستقلال سوى ١/٥ مليون طن

وصدرت من السكر فى سنة ١٩٣٨ ما مقداره مليون طن ، بينما لم تصدر فى سنة ١٩٤٦ سوى ٢٠٠ طن وقد اشرت فيما سبق كيف دمرت كل مصانع السكر تطبيقا لسياسة الارض المحترقة

وصدرت من زيت النخيل فى سنة ١٩٣٨ مقدار ٢٢٠٠٠٠ طن بينما لم تصدر فى سنة ١٩٤٦ شيئا على الاطلاق . ومن المطاط صدرت ٣٢٠٠٠٠طن فى سنة ١٩٣٨ اما فى سنة ١٩٤٦ فلم تصدر سوى ٥٦٠٠٠ طن وعلى هذه الوتيرة دمرت كل ثروة اندونيسيا فى خلال الحرب وفى سبيل الكفاح من اجل الحرية

**المعركة مستمرة**

ولذلك فان معركة اندونيسيا لاتزال مستمرة ، ويقف ابطالها صامدين فى الميدان وقد انقضى الان اكثر من ثلاث سنوات على اعتراف العالم بالجمهورية وهى لاتزال تناضل وتتغلب على مصاعبها واحدة بعد اخرى . وبعد ان كان زعماء اندونيسيا يطالبون الشعب بالتضحية والموت فى سبيل الحرية ،اصبحت صيحتهم له بالليل والنهار ان يعمل وينتج ويتعلم . وهم لايخفون الحقائق عن الشعب ، ويحدثونه عن المصاعب التى تكتنفهم .. واصبحوا لا يخاطبون عاطفته ، بل يخاطبون عقله . وعندما يطالع الانسان لغة الارقام يجد ان الجمهورية تخطو وسط هذه المصاعب التى شرحنها لك خطوات بطيئة ولكنها وئيدة ، واذا استمرت على ذلك عاما آخر او عامين فلن تلبث ان تتحول الى سير حثيث ، لا يلبث ان ينقلب الى عدو سريع ثم الى وثبات لا يعلم سوى الله الى اين تؤدى

فالتعليم الان على قدم وساق ، فقد كانت سياسة المستعمر كما هى العادة ابقاء الشعب فى الجهل ولذلك فلم يكن فى اندونيسيا عام ١٩٠٠ سوى مائة مدرسة وقد وصلت الى ١٥٠٠٠ مدرسة قبيل الحرب العالمية الثانية .والان وصل عدد المدارس الابتدائية الى ٣٠٦٥٧ مدرسة يتعلم فيها ٥ر٨٦٠٠٠ر تلميذ وقد وضع برنامج ينتهى فى سنة ١٩٦٢ اى بعد تسع سنوات من الان يصل عندها عدد طلاب المدارس الابتدائية الى ١٥ مليون

اما المدارس الثانوية فقد بلغعددها ١١٩٦ يتعلم بها ١٥٨٠٤٢ طالبا .وكانت اندونيسيا محرومة من التعليم الجامعى حيث كان المستعمر يحرص على ان لايصل الاندونيسيون الىاى مركز فنى او ادارى فكانت اعظم صعوبة للحكومة الوطنية ان تجد الفنيين اللازمين لاعمالها

فانشئت الان جامعتان يحتوى كل منها على الكليات الفنية . وانشئت كليات للطيران والبحرية والجيش . واصبح جيش اندونيسيا يضم نصف مليون جندى مسلحين بالاسلحة الحديثة . وقد شهد احتفالها الخامس بعيد الاستقلال ميلاد فرقة مظلاتها الاولى

كما بدأت شركات الطيران الاندونيسية تربط انحاءهذه الجمهوريةالضخمة

وتعمل ترسانات اوربا وامريكا الان على بناء قطع الاسطول والبحرية الاندونيسية

ووضعت المشروعات الاقتصادية لاعادة تعمير البلاد ، وقد بدىء فى تنفيذ مشروع سريع فى مدى عامين ، يتلوه مشروع اكبر لمدة خمس سنوات . وبدأت المصانع والصناعات الجديدة التى حرمت منها اندونيسيا طول حياتها تعمل فى جو الحرية

وعادت تجارتها الخارجية للازدهار ، الذى وان كان لم يصل الى ما كان عليه قبل الحرب ، ولكنه فى الطريق من غير شك . ومرة اخرى يضيق بنا المجال لو رحنا نعدد ماحققته اندونيسيا فى هذه السنوات . حسبنا ان نقرر ان المعركة لاتزال مستمرة وان الجمهورية الفتية التى انتصرت على جيوش الانجليز والهولانديين واليابانيين والتى آثرت ان تحرق بلادها على ان تستسلم ماضية فى طريقها وكل يوم يدنيها من اهدافها الكبرى

ولقد بدأ سوكارنو يلعب الدور الذى يتفق مع مكانة بلاده فى هذا الجزء من العالم فزار جمهورية الفيلبين فى زيارة رسمية .. ورد رئيس جمهورية الفيلبين الزيارة فكانت هاتان الزيارتان بداية عهد جديد فى المحيط الهادى .. فبعد ان كان هذا المحيط لايوجد فيه الا مستعمرات يتكلم باسمها اسيادها فى اوربا وامريكا . أصبح يتألف من جمهوريات مستقلة يتزاور رؤساء جمهورياتها لا ليتآمروا على حرية غيرهم من الشعوب ولكن ليضعوا الخطط التى تؤمن سلام العالم ، وتحفظ على هذا الجزء من العالم حريته

**وبعد :**

وبعد لطالما قابلت الاندونيسيين فى كل مكان فى العالم ، فكان يروعني منهم الذكاء والنشاط ودماثة الخلق ، ولطالما تحدثت عنهم أنهم سيكونون قوة تفوق قوة اليابانيين بحضارتهم وانتاجهم . ولطالما رددت هذا المعنى فى خطبى ومقالاتى .. والآن هاهى الفرصة قد أتيحت لاندونيسيا لتضع قدمها على سلم المجد .. ولست أشك لحظة ان اندونيسيا ستتغلب على كل مصاعبها وستتحول الى دولة عظمى يشار لها بالبنان وسوف يكون لها اسطولها الحربى والجوى الذى يجعل كل من يفكر فى الاعتداء عليها يرتجف هولا وفزعا .. وسيكون لها اسطولها التجارى الذى سيحمل خيراتها التى اشتهرت بها ، واختصت بها وانفردت منذ اقدم العصور .. سيكون لها الاسطول الذى يحمل خيراتها الى انحاء العالمين حاملا معه طابع الاندونيسيين . وهو حب السلام ودماثة الخلق والشعور العميق بالاخوة البشرية .

**- ٦ -**

طاف كل ذلك بذهنى وخيالى . بينما كان شهرير يلقى خطابه وهو ليس

خطيبا ولا هو بالرجل الذى يحرك الجماهير أو على الاقل هذا هو الاثر الذى تركه فى نفسى وقد يكون غير ذلك فى بلاده ، انه رجل عالم واستاذ ولذلك فقد انصرف ذهنى عن سماع خطابه وحلقت فى سماء بلاده التى كنت أود من صميم قلبى زيارتها ولكن الظروف حالت هذه المرة عن تحقيق الامنية

ولم أفق من رحلتى فى الخيال الا على صوت التصفيق الداوى الذى انبعث من أكف هذه الالوف التى احتشدت فى رانجون ، وهى تحيى أندونيسيا العظمى .

**بين براج ورانجون**

واستمر الاجتماع بضع ساعات وكانت حرارة الشمس قد اشتدت على جموع الشعب وقال ( او ـ با ـ سوى ) وزير الدفاع وسكرتير عام الحزب الاشتراكى لقد اشتدت حرارة الشمس وتلفت حولى صوب هذه الجموع فوجدتها ساكنة هادئة تسمع هذا السيل من الخطب وهى لاتعى اكثر مايقال فهو يقال بالانجليزية واذا كان المتعلمون من شعوب آسيا يعلمون الانجليزية فان السواد الاعظم لايعرفها واذن فقد كانت هذه الجموع محتشدة لعمل هذه المظاهرة الدولية امام ممثلى الدول .. وكان الشعب يؤدى دوره فى صبر وفى غير تذمر

اربع ساعات تحت أشعة الشمس المحرقة ومع ذلك فلم يضطرب عقد النظام ولم نر حركة ولم نسمع صوتا او نأمه بين هذه الجموع . وعادت بى الذاكرة الى عام ١٩٣٨ عندما زرت مدينة براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا بمناسبة أعياد السوكول الرياضية عندما احتشد نصف مليون فى المدرج الخاص بذلك وجاءت ألوف من الفتيات تقوم بتمرينات رياضية فى ساحة المدرج الكبرى ثم هطلت الامطار فلم يتحرك واحد من هؤلاء المتفرجين فضلا عن ان يغادر مكانه بل لم تتوقف الفتيات عن مزاولة تمرينهن . وكان التمرين يقتضى أن ينبطحن على الارض بملابسهن البيضاء الجميلة ، ففعلن ذلك فى غير تردد وقد كانت الارض قد اصبحت بركة من الطين فتلطخت أوجه الفتيات وايديهن وملابسهن ومع ذلك فقد مضين حتى النهاية فى تمرينهن فانغرس فى قلبى من ذلك التاريخ الاعجاب بالشعب التشيكوسلوفاكى وامتلأت له بالاكبار والاحترام .

استعدت هذه الذكرى فى رانجون حيث حلت الشمس الشديدة الوطأة محل الامطار وحل سماع الخطب محل مشاهدة الالعاب وشتان ما بين الحالين .

فمشاهدة التدريبات الرياضية منظر شيق يثير الاعجاب وقد يعاون على احتمال الامطار أما هنا فالقوم يصطلون بحر هذه الشمس ويتمسكون باهداب

النظام أربع ساعات حيث لايوجد مايشوق فضلا عن ان يثير الاعجاب .

وبينما كنت اسير الى جوار ( أو ــ با ــ سوى ) فى طريقنا الى خارج مكان الاجتماع بعد انتهاء الخطب كنت احدثه باعجابى العميق عن هذا الذى رأيت وذكرت له هذا الحديث السابق عن براج فوجدت الرجل يقول فى غير اهتمام نحن معتادون على ذلك وكانت الجماهير من حولنا تؤكد ذلك فقد كانت تنصرف فى هدوء لاتكاد تلقى نظرة على وزير الدفاع وزعيم الحزب الاشتراكى فقد كان يسير .. يسير لافرق بينه وبين أى واحد من هؤلاء الناس بل لايوجد بين هؤلاء الناس من يحس انه يفترق عنه . وهذا شىء قد وصلت اليه أوربا الديمقراطية بعد جهد ، أما فى آسيا ، فانت تحس أنه شىء فطرى لا تكلف فيه فالناس كلهم من طينة واحدة من طبقة واحدة

**يوم الاستقلال فى الهند :**

ولقد تصورت وأنا فى رانجون أن نجاح هذا الاجتماع الساحق وانعقاده وانفراط عقده بهذا الهدوء والنظام هو شىء فذ او هو أثر من آثار النظام الانجليزى السابق الذى حكم بورما مائة عام

ولاجدال أن لحكم الانجليز أثرا فى امكان عقد هذه الاجتماعات والمظاهرات بهذا التنظيم ولكن الذى لاجدال فيه ايضا ان طبيعة القوم تميل بذاتها الى الهدوء والسكينة والانصباع مما يساعد على احكام هذا النظام وسيادة هذا الهدوء

فقد رأيت مثل هذا المنظر وعلى صورة أوسع نطاقا فى نيودلهى عاصمة الهند عندما دعينا لمشاهدة الاحتفال بعيد اعلان الجمهورية الهندية حيث يجرى استعراض عسكرى ضخم امام رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء الزعيم جواهر لال نهرو ولقد قيل لى ان اكثر من مليون من البشر سوف يحتشدون فى طريق الموكب وانه سيكون يوما أشبه بيوم الحشر . ومع ذلك ففى الصباح عندما ذهبت الى مكان الاستعراض وجدتنى فى المكان المخصص لى ولامثالى من الضيوف فى يسر وسهولة ولم تكن هذه الاماكن سوى مقاعد خشبية صغيرة صفت على الارض أى ليست على مرتفع من الارض او مدرج وقد ظننت أن هذه المقاعد ليست لكبار القوم ولكنى سرعان ما وجدت اننى أجلس بين كبار القوم بالفعل فقد كان هناك على بعد أمتار منى كرسى رئيس الجمهورية وكان يرتفع عن الارض بمقدار نصف متر فقط وفوقه مظلة وهذا هو كل ماهناك

وكان أمام المقاعد التى جلست عليها أبسطة مفروشة ليجلس عليها اولاد وأطفال المدعوين ولقد ذعرت لهذه الفكرة فكيف يجاء بالاطفال فى مثل هذا

اليوم فأى والد وأى أم تترك ابنها على هذه السجاجيد وتطمئن الى تركه وسط هذا الزحام .. ولكن كل شيء تم وفق البرنامج الموضوع فقد امتلأت المقاعد بالرجال والنساء .. وامتلأت الابسطة الامامية بالاطفال والاولاد وكان ذلك كله يجرى فى هدوء وسكينة عجيبين . فسرعان ماتصورت أن عقد ذلك كله سينفرط عندما يبدأ الموكب سيره فلابد ان هؤلاء الاطفال سيقومون بل ان الكبار أنفسهم لابد سيقفون على الكراسى والمقاعد . ولابد أن سيختلط الحابل بالنابل ويرتفع الصراخ والعويل ولكن شيئا من ذلك كله لم يحدث فقد بدأ البرنامج ينفذ كأنه الساعة الدقيقة وكان البرنامج الموزع علينا يتحدث عن سير الامور بالدقيقة . فى الساعة التاسعة وخمس دقائق يصل رئيس الوزراء نهرو ليكون فى استقبال رئيس الجمهورية . فى الساعة التاسعة وثمانية دقائق يصل رئيس الجمهورية فى الساعة التاسعة وعشر دقائق أى بعد دقيقتين يبدأ البرنامج

ووصل نهرو فى هدوء وبساطة فى الموعد المحدد فلم يتحرك انسان لمصافحته ولم تندفع الجموع المؤمنة به لتعبر عن ولائها وحبها وتغمره بحماستها لقد وقف نهرو الى جوار كرسى رئيس الجمهورية فى انتظار حضوره ثم ظهر موكب رئيس الجمهورية كأننا نشهد شريطا سينمائيا .. ونزل ذلك الرجل الطويل الاسمر الدكتور براساد رئيس جمهورية الهند فخف نهرو لاستقباله وسار معه حتى مقعده وعزفت الموسيقى بالسلام الوطنى وفى اللحظة المحددة لبدأ البرنامج بدأ ونظرت حولى فى دهشة وكأننى مصعوق لهذا النظام والهدوء اللذان يسودان من حولى فلم يتحرك أحد من مقعده ولم يتحرك طفل واحد .. ووقف طفل هنا وهناك . فاذا بواحد من الحاضرين يقول له فى هدوء ان يجلس فيجلس الطفل فى انصياع واستكانه . وبدأ سير الموكب ...

وليس المجال الان مجال التحدث بالتفصيل عن عظمة هذا العرض الهندى والذى تنخلع قلوب اوربا كلها لمرآه فقد تجلت الهند بكل كبريائها فلم تعرض سوى عينات فقط مما تملك من اسلحة مختلفة أى لم يزد كل سلاح عن ارسال وحدة واحدة سواء كانت ميكانيكية أو بشرية . ومع ذلك فقد استغرق مرور الوحدات الميكانيكية ساعة كاملة والوحدات البشرية ساعتين واذا كانت مصر تعرض سلاح الحدود ممتطيا ظهور الجمال فقد كانت هناك بعض الفيلة تمر فى الاستعراض فى الوقت المحدد بالدقيقة والثانية كما امتلأ الجو بأزيز الطائرات فوق رؤوسنا فى ذات اللحظة المحددة فى البرنامج .. واعجب لهذه الدقة التى تحسب بالثانية خطوات الفيل مع خطوات الطائرات النفاثة .. الثقيلة والمطاردة والطائرات من صنع الهند المستقلة .

وانتهى الاستعراض فى الدقيقة المحددة وانصرفت الجموع فى هدوء ويسر وبينما كنت أسير وسط هذه الجموع المتفرقة كنت أقول لنفسى ...لا..

لا ان المسألة ليست مسألة نظام او ضبط اعصاب فان هذا فوق النظام وفوق ضبط الاعصاب ... انه شيء طبيعي ... انه شيء فطرى ... هؤلاء قوم يختلفون عنا كل الاختلاف ولا يمكن أن نكون مثلهم ... نحن اذا اجتمعنا كاد الجو أن يحترق منَ حرارة انفاسنا ... نحن اذا تحمسنا كنا كالبركان غليانا وثورة اما هؤلاء فمن طينة أخرى من غير شك ولا سبيل للمقارنة او المفاضلة .

**مسلمون وعرب فى بورما :**

ولنرجع الى رانجون مرة أخرى فقد كان من اثر هذا الاجتماع الحاشد الذى تحدثت عنه أن اكتشفت أنه يوجد فى بورما عرب يتكلمون العربية وقد خفوا لزيارتى ومقابلتى . لقد ادركت منذ اللحظة الاولى لوصولى الى رانجون انه يوجد فى بورما مسلمون يناهز عددهم المليونين وأن لهم وزيرين فى الوزارة . بل وادركت على الفور كذلك أن المسلمين فى بورما يعيشون حياة طيبة نسبيا لا اضطهاد فيها ولا اعنات ... فقد رأيت المسجد يواجه الباجودا ( أى معبد بوذا ) مباشرة وقد اسرعت للدخول الى المسجد واداء الصلاة به فالتف حولى من كانوا به فرحين مستبشرين برؤية زميل مسلم ولكن لم يكن فيهم زميل يتحدث العربية وقد علمت منهم انهم سنيون يدينون بالمذهب المالكى فيما أذكر . ولقد كان المسجد نظيفا أنيقا وقد علمت انه يوجد مساجد فى كل مكان

ولكن الذى لم أكن اتوقعه ان يكون من بين هؤلاء المسلمين من هم من أصل عربى حتى زارنى وفد منهم عقب هذا الاجتماع الحاشد واذا بهم كما هو الشأن مع العرب فى كل مكان يمطروننى بقصائد الشعر والخطب ترحيبا واظهارا للتكريم . ثم دعيت الى مأدبة فى دار بعضهم فاذا بى أدخل الى قصر لم ادخل مثله طوال اقامتى فى رانجون ... واذا بى أعلم أن أصحاب هذا القصر هم من أصل عربى وهم من أغنى أغنياء رانجون وأن المسلمين بصفة عامة يملكون الكثير من العقارات والاطيان ومختلف الثروات فى بورما

وحدثنى هؤلاء العرب انهم قسمان قسم منهم يعيش فى البلاد قبل الفتح الانجليزى اى أنهم كانوا من أعوان ملوك بورما السابقين وقد جاءوا الى البلاد منذ عدة قرون مضت ومن هؤلاء صاحب هذا القصر الذى أقام لنا هذه المأدبة ... وهناك عرب جاءوا بعد دخول الانجليز الى بورما وهؤلاء لا يزال بعضهم يتكلم بالعربية بل ويحسنها ويصوغ منها القصائد ويلقى بها خطب الترحيب والتكريم بل ويعلمها لابناء الجيل الجديد والقديم معا ممن يحبون تعلم اللغة العربية ... لغة القرآن . وعلى رأس هؤلاء السيد محمود محمد

خطيب مكى الذى كان على رأس اللجنة التى تألفت للترحيب بى وتحيتى

وسرعان ما وجدت بين صفوف المسلمين أشخاصا أكفاء قادرين وعلى رأسهم الاستاذ نور محمد وهو احد القضاة الذى استقال من منصبه خصيصا ليستطيع أن يواصل خدمة مواطنيه المسلمين ويشتغل الان بالمحاماة

ثم توالت على طوائف المسلمين المختلفة وقد كان أهم ما يشغلهم هو محاولتهم الحيلولة بين الحكومة وبين اصدار قانون الاحوال الشخصية الذى يخالف فى نظرهم الشريعة المحمدية

ولكل مسلم فى بورما اسمان اسم اسلامى وآخر برمانى ولذلك فالانسان لا يستطيع ان يفرق بين المسلم وغير المسلم حتى تكتشف بالصدفة أن هذا الذى تراه فى كل يوم هو احد المسلمين .

وقد حدث ان اكتشفت فى اللحظة الاخيرة عند مبارحتى لرانجون ان هذه الآنسة الموظفة فى شركة الطيران الانجليزية والتى كانت تجلس على مكتبها فى فندق ستراند فيظنها الانسان انجليزية أو فرنسية ليست فى حقيقتها الا سيدة برمانية مسلمة تسمى (خورشيد أصغر) وهى من أصل فارسى وكانت الى عهد قريب جدا من المخدرات التى لا تبارح منزلها وبالتالى لم تتلق شيئا من العلم ولكنها وجدت نفسها أرملة على حين غرة ولها خمس أولاد فاضطرت الى أن تنزل الى ميدان الحياة لتكافح وتطعم أولادها فاستطاعت أن تحصل على هذه الوظيفة التى يحسدها عليها كثيرات من المتعلمات الحاصلات على أرقى الشهادات . وليست قصة هذه الام المجاهدة الا واحدة من هذه القصص التى حملتنى دائما على احترام الامهات

ولقد حملنى المسلمون فى بورما تحياتهم الى محمد نجيب ودعواتهم له بالنجاح والتوفيق... بل انهم أنابوا الاستاذ نور محمد فكتب رسالة تتضمن هذا التقدير فبعثت بها من هناك ولست أعرف اذا كانت قد وصلت للرئيس محمد نجيب أم لم تصل ولذلك فقد رأيت أن أسجلها هنا أداء للامانة وابلاغا للرسالة

— ٧ —

## رحلة عبر نهر الايراوادى :

لم أطرب لتلبية دعوة من الدعوات التى وجهت الينا مثل طربى لدعوة رئيس الحكومة ( أو — نو ) لاعضاء المؤتمر لتمضية يوم معه على ظهر سفينة نهرية تسير صاعدة فى نهر الايراوادى مقدار خمسين كيلو مترا حيث نزور بلدة ريفية ونعود قبل المساء الى رانجون ثانية

أما مصدر سروري بهذه الرحلة فلانها تتيح لنا اختراق بعض أجزاء من بورما لاشهد طبيعة البلاد ولاقارن بين ريفها وريف مصر فكلا البلدين كما قدمت بلد يعيش على الزراعة . وقـد حققت الرحلة فوق ما كنت أصبو اليه فقد أرتنى بورما كلها بثروتها الطائلة وبمشاكلها فى نفس الوقت وعلى رأسها هذه المشكلة الكبرى التى تهدد استقلالها الوليد هذه الايام وأعنىبها مشكلة الفتنة كما تصفها الحكومة والثورة كما يصفها أعداء الحكومة

فلم نكد نتجمع فى السفينة ونبرح المرساة فى الساعة السادسة صباحا حتى وجدنا بعض القطع البحرية الحربية تحيط بنا وتدور حولنا ولقـد تصورت أن ذلك لون من الوان التحية والتكريم ولكننا سرعان ما اكتشفنا أن الامر ليس أمر تكريم بل هو أمر محافظة على حياتنا فليس السير فى النهر آمنا ولقد قيل لنا أنه منذ ستة أشهر فقط ما كان يمكن القيام بهذه الرحلة فقد كان الثوار على بعد عشرة كيلو مترات فقط من رانجون ولكنالحكومة فى المدة الاخيرة استطاعت ان تقضى على الثورة فيما يحيط بمدينة رانجون وقد أصبح الطريق آمنا حتى هذه البلدة التى سنقصدها على بعد خمسين كيلو مترا من رانجون ولكن الحكومة ترى أن تصحبنا هذه القطـع البحرية المسلحة من باب الاطمئنان وهكذا بدأنا نواجه مشـكلة بورما الرئيسيـة هذه الايام

لقد كنا فى رانجون لا نكاد نحس بأن هناك من هو أسعد حالا من شـعب بورما فقد كان كل شيء يسير فى طريقه العادى ... الاجتماعات والحفلات والمظاهرات الشعبية ... والسينمات مفتوحة الابواب والرقص والغناء فى كل مكان ، المعابد يؤمها المتعبدون والصحف تصدر بانتظام كما هو الشـأن فى أى بلد من بلاد العالم ... ليس هناك ما يشعر الانسان بأنه يوجد حول الجزيرة الهادئة بحر عاصف من الثورات والفتن وما يستتبعه ذلكمن ويلات

واذا كانت الكلمة المأثورة تقول فتش عن المرأة فعنـد ما تجيء الان الى شعوب آسيا التى ظفرت باستقلالها حديثا وتراها غارقة فى المشاكلالمعقدة فباستطاعتك اذا سئلت عن سبب ذلك كله أن تقول فتش عن الانجليز أو بالاحرى فتش عن الاستعمار . فما كان باستطاعة الانجليز أو أى دولةأخرى مستعمرة أن تحكم الا عن طريق ايقاع الفرقة بين صفوف الامة الواحـدة والبلد الواحد بل والاسرة الواحدة ... ولقد عاشالانجليز مائة سنة فىبورما وما كان باستطاعتهم ان يعيشوا هـذا الدهر الطويل الا بأن يفرقوا بين سكان بورما فهذا عنصر ( الشان ) وهذا عنصر ( الكارنز ) وهذا عنصر ( الكاشين ) وعنصر ( الناجاش )

ثم تعمد الى خلق الحزازات بين هذه الاجناس وتغلب هذا على ذاك ثم

تعود فتقلب ظهر المجن لهذا الجنس لحساب الجنس الاخر وهكذا وذلك ليكون دورها أن تتداخل دائما لتقوم بدور حمامة السلام وحافظة الامن بين الجميع . وقد انتهت هذه الاجناس كلها الى حد التكتل ضد الانجليز فلم يكن باستطاعة الانجليز الاستمرار بعد ذلك فانسحبوا من بورما وأعلن استقلالها .. ولكن الانجليز التى انسحبت من بورما لا تزال تريد اضعاف بورما لتظل فى حاجة اليها ولذلك فقد أشعلت من جديد نار العداوة بين هذه الاجناس فقامت كلها تنادى بالاستقلال والتفكك عن بعضها ومن ثم نشأت هذه الفتن المسلحة والتى يصطلى القرويون البؤساء بويلاتها

ويندلع لهيب الفتنة الان فى طول البلاد وعرضها ما بين جماعات شيوعية مسلحة والقائمون بها هم أضعف الثوار شأنا لان الصين لا تمدهم بأى نوع من أنواع المعونة . ولكن الثوار الذين يؤرقون مضجع الدولة بالفعل هم عنصر ( الكارنز ) وقد أعلنت الحكومة موافقتها على انشاء ولاية مستقلة لهم داخل اتحاد بورما فخفف ذلك من حدة الفتنة فى القسم الاكبر ولكن الكارنز الموزعين على أنحاء بورما لا يزالون يحملون السلاح ويغيرون هنا وهناك فيحرقون وينهبون ويقتلون ثم تأتى جيوش الحكومة الغير نظامية فى بعض الاحيان فتحرق بدورها وتقتل وتنهب

وقد تمزق قلبى لهذه المأساة التى تصدم هذا الشعب الفتى فى مستهل استقلاله هذه الصدمة العنيفة والتى تحول بين بورما وبين الانتفاع بالغنى الطائل الذى اصبح الان ملكا لشعبها . وحسبنا أن نتصور أن بورما كانت تصدر قبل الحرب حوالى ثلاثة ملايين طن من الارز بينما لم تستطع حتى الان أن تصدر الا نصف مليون طن وصلت أخيرا الى ثلاث أرباع المليون وذلك بسبب هذه الفتن والاضطرابات

ولذلك فعند ما أتيح لى أن أقابل زعيم المعارضة الدكتور با ، الذى تصور عقب انسحابى من المؤتمر اننى اصبحت خصما للحكومة فدعانى للغذاء عنده ودعا الى المأدبة جميع ممثلى الاحزاب المعارضة السرية والعلنية ومن بينهم الشيوعيون الذين يحاربون فى شمال بورما، فكانت دعوتى لهم أن يقدروا آلام مواطنيهم وان يعملوا على وضع حد لهذه الفتنة المسلحة لكى ينعم الشعب بالرخاء الذى يبغيه ولكى يتكاتف الجميع على النهوض بمستواه ... وغنى عن البيان أن هذه النغمة لم تعجبهم ونظر الشيوعيون الى بصفة خاصة نظرة شذراء ولكنه لم يكن باستطاعتى أن أقول لهم غير ذلك فقد كان يحز فى قلبى أن لا ينعم شعب بورما بالسلام الذى استحقه عن جدارة بعد الآلام التى احتملها خلال الحرب

هذه هى المشكلة الكبرى التى تواجه بورما والتى لمسناها منذ اللحظة

الاولى التى بدأت فيها سفينة رئيس الوزراء النهرية تمخر بنا عباب الايراوادى . ولقد أدهشنى هذا التطابق العجيب بين مصر وبورما حتى فى التفكير ... ففي مصر كثيرا ما يدعو رئيس الحكومة أعضاء الوفود المنعقدة فى أحد المؤتمرات بمصر الى رحلة نيلية حتى القناطر الخيرية ... وكثيرا ما انتقدنا هذه الرحلات فى مصر والاسراف الذى يصاحبها ولم تتح لى الفرصة بطبيعة الحال لاشهد احدى هذه الرحلات فى مصر ولكنى لا أتصور مهما كان الاسراف والبذخ أن يصل الى بعض ما كان فى هذه الرحلة من رانجون حتى قرية على نهر الايراودى

لقد كان عدد المدعوين يزيد على خمسمائة ولقد غرق هؤلاء الى الاذقان فى طوفان من المأكولات والمشروبات والمثلجات من الصباح المبكر حتى غروب الشمس أما السجاير والسيجار فقد كان بالاطنان ولم يفت القوم ان يحضروا لنا حتى جرائد الصباح بمئات ومئات من النسخ .

وكان هناك فرقتان للموسيقى الوطنية تصاحبهما الراقصات ولقد ذكرت من قبل أن الرقص فى بورما وفى كل آسيا ينظر اليه نظرة محترمة على ان هذه الفكرة لم تطبع فى نفسى الا فى خلال هذه الرحلة عندما وجدت رئيس الوزراء (او – نو) يجلس مقبلا بكل حواسه على الاستمتاع بالرقص الذى كانت تقدمه احدى الراقصات فى هذا الجزء من السفينة ووجدته يساهم بنفسه فى فرش بعض الحصر على أرض السفينة لترقص فوقها الراقصة ولم تكد تنتهى من رقصتها حتى كان فى مقدمة المصفقين ثم اذا به يطلب من أحد الرجال المحيطين به أن يرقص فلبى الطلب على الفور وانخرط فى حركات الرقص أشبه ما يكون بالراقصة التى سبقته من حيث المهارة وقد مال على أحد البرمانيين من أصدقائي ليخبرنى ان هذا الذى يرقص هو أحد اعضاء مجلس الشيوخ البرمانى ولقد كدت أصعق من الدهشة فقد حسبته أحد بطانة الراقصة ومرافقيها فاذا به من اساطين السياسيين . ولم يكد ينته من رقصته ويصفق له الجميع حتى انفتحت شهية رئيس الوزراء فاذا به يمسك بتلابيب (موسى شيرتوك) وزير خارجية اسرائيل ويدعوه للرقص... وقد احمر وجه الرجل من الخجل وتصور ان رئيس الحكومة مخبول اذ يدعوه لهذا الرقص وراح يعتذر بأنه لايعرف ولا يستطيع ورئيس الحكومة يلح عليه فى ان يرقص أى نوع من الرقص ولكن الرجل أصر بطبيعة الحال على اعتذاره ... وقد راقت الفكرة لبعض البرمانيين فراحوا يبحثون عمن يقبل الرقص من اعضاء الوفود وسرعان ما نزل الى الميدان ممثل اوغندا فحاز الاعجاب والتصفيق ثم تطورت الفكرة فأصبحت دعوة للغناء بعد أن كانت للرقص ولم ير أحد حرجا فى هذا الاقتراح وبدأ ممثلوا الشعوب يغنون اغانيهم الوطنية وجاء دورى ولم يكن هناك فكاك وقد كانت

حنجرتي متعبة وصوتي مغلقا ولكن ذلك لم يكن شفيعا لي ولذلك فقد اضطررت لارضائهم فأنشدت نشيد اسلمي يامصر والجميع ( يسندونني ) بالتصفيق بأيديهم . حتى اذا ما انتهت الوفود كلها من القاء اغانيها أسر الى احد البرمانيين في أذني اقتراحا فنهضت على الفور لتحقيقه ولم اكد اقف من جديد في الحلقة حتى قلت : والان ايها السادة يسعدني أن يكون لي الشرف أن أقدم لكم النمرة الكبرى في حفلة اليوم حيث أقدم لكم المحترم (او نو) رئيس وزراء بورما ليلقي عليكم اغنية . وقد بهت الجميع عدة لحظات من المفاجأة ولكنهم سرعان ما اكتشفوا ان لا غرابة في الموضوع فانطلقوا في عاصفة من التصفيق وقام رئيس الوزراء الفيلسوف الرزين فسأل الحاضرين من أهل بورما اي أغنية يريدون فاختاروا أغنية شعبية مشهورة فراح الرجل يغنيها في بساطة وهدوء بعد ان امسك بيدي ليستمد مني العون كما قال لي مازحا .

وهكذا أنطلقت الرحلة في هذا اليوم على هذه الصورة المسلية المرحة ... ولكن لا الرقص ولا الاناشيد ولا المرح بالذي كان يشغلني عن متابعة المناظر التي كانت تخترقها السفينة فقد كانت تعرض على قلب بورما وأرضها وسكانها

### ثروة بورما الزراعية

ان بورما ليست سوى قلب هذا القسم من جنوب شرق آسيا، الذي يطلقون عليه كما ذكرت من قبل سلة الارز والذي يمد العالم كله بالجزء الاكبر من بعض مواده الاولية ان ٩٥ ٪ من مطاط العالم الطبيعي تستخرج من هذا القسم و ٧٠ ٪ من القصدير و ٦٥ ٪ من الكوبرا و ٤٠ ٪ من زيت النخيل و ٩٠ ٪ من الكينين و ٨٥ ٪ من الفلفل و ٧٠ ٪ من الكابوك .

وذلك كله بالاضافة الى نسبة ضخمة من انتاج العالم في الارز والشاي والطباق وخشب التاك والبترول والرصاص والتنجستن والسيال

ولست في حاجة لكبير بحث لتدرك على الفور هذا الغنى الطائل بمجرد ان تمخر بك أحد السفن النهرية نهر الايراوادي صاعدة نحو الشمال . فستجد الطبيعة من حولك وكأنها نار تشتعل وتتأجج وتندلع السنتها الى كبد السماء .

ولكن في برد وسلام انها نار خضراء ... انها نار رحيمة انها اشجار وظلال وجنات واغصان وزهور واذا كنا في مصر نكدح بالليل والنهار لننتزع شبرا من الصحراء ونحوله الى خضرة من اي نوع كان فان العكس هنا هو الصحيح فالاشجار والنباتات هي التي تنبثق في عنف وفي قوة وفي كل مكان بحيث يجب أن يجهد الانسان نفسه للحيلولة دون أن تنبت الارض ما لا يريد وما هو ليس في حاجة اليه .

ولذلك فقد كانت السفينة تمخر بنا عباب النهر وكأننا نسير فى حديقة غناء وكانت القرى والدساكر على ضفاف النهر ذات منظر بهيج بالرغم من فقرها المدقع لان الطبيعة تفرض عليها هذا الجمال .

فبيت الفلاح هنا يبنى من خشب البانبو وهو نوع من الغاب والبوص ولكنه قوى قوة لا مثيل لها فهو لا ينكسر أبدا . ولابد أن يكون الكوخ مرتفعا عن الارض بضع ياردات حتى لا تغرقه السيول والامطار ولابد أن يكون سقفه منحنيا على شكل ( الجمالون ) حتى تنزلق عنه الامطار ... وهكذا يقف كوخ الفلاح البرمانى شامخا تحيط به الاشجار والاغصان ، تغسله الامطار طول العام ولذلك فهو قد يكون خاليا من كل شىء الا من حصيرة ينام عليها الفلاح وأسرته ولكنه لا يمكن الا أن يكون نظيفا صحيا يتخلله الهواء والضوء ولا ينقصه الماء العذب الفرات ماء المطر الذى يكاد لا ينقطع بالليل أو النهار عدة أشهر من العام

ولقد جعلنى ذلك أشعر بالحزن لقريتنا المصرية حيث يبنى الفلاح بيته بالطين وبحيث لا تنفذ اليه الشمس أو يدخله الهواء وحيث لا يجد السواد الاعظم الماء النقى الصالح للشرب بل قد لا يجد الماء الصالح أو غير الصالح فى بعض الايام التى ليست بالقليلة ( كما هو الشأن فى شمال الدلتا )

وهكذا حتى فى بورما ... حتى فى أقصى الارض لم استطع أن أجد نموذجا لبؤس الفلاح فى بلادنا ولمنظر بيته الكريه وقريته المقوتة التى كأنها كوم من الطين تبنى بغير تخطيط وبدون قواعد من أى نوع كأنها الجحور أو الاوكار تبنيها الوحوش والطيور بل ان من الطيور والحشرات لما يبنى بيوته وقراه على أشكال وتصميمات هندسية وليس كذلك فى قرى الفلاحين عندنا وفى بيوتهم ... ولقد جعلنى ذلك أزداد اقتناعا بأن لعنة اللعنات فى مصر هى المستوى الحقير الذى يعيش عليه فلاحنا والذى يتمثل أعظم ما يتمثل فى بيته وقريته وأن أى اصلاح أو أى نهضة أو أى ثورة فى مصر لن يكون لها خطر وشأن جليل ما لم تبدأ من القرية المصرية وما لم ننقضها من أساسها لتعيد بناءها ... لتجعلها فى مستوى أصغر قرية فى بورما ، ولا أقول أوربا أو أمريكا ، لها رونق ولها منظر ولها طابعها الخاص

كانت هذه الافكار تملأ على نفسى والسفينة تمخر النهر خلال هذه المروج وشجر الموز يؤلف غابات عظيمة وشجر الاناناس وجوز الهند يذكرنى بهذا النوع من الفواكه التى لم نستطع زرعها فى مصر بعد . ولقد علمت فيما بعد أن عدة أراضى بورما المزروعة وغير المزروعة تبلغ مائة وسبعين مليونا من الافدنة . وأن الارض التى تزرع حالا هى عشرون مليونا من الافدنة وذلك بخلاف عشرين مليونا اخرى من الغابات التى تنتج اخشاب بورما الشهيرة .

اى ان هناك فى الوقت الحاضر اربعين مليون فدان يستثمرها شعب بورما الذى لا يتجاوز سكانه ثمانية عشر مليونا بينما لا نستثمر فى مصر نحن العشرين مليونا من البشر سوى خمسة ملايين فدان ونصف أى ما يؤلف ١/٣ من مساحة مصر ومرجع ذلك أن مصر تقع فى منطقة صحراوية لا أمطار فيها فليس باستطاعتنا أن نزرع الا بمقدار المياه التى يمدنا بها النيل على جانبيه . أما هنا فى بورما فالارض كلها تهبط عليها الامطار الغزيرة التى تحملها الرياح الموسمية طوال ستة شهور فتجعل البلاد كلها أشبه ببحيرة واحدة أو بركة ومن هنا جاءت زراعة الارز بها حيث يزدهر ويترعرع فى هذه المياه المترعة

ومع ان ثروة بورما الزراعية تجل عن الحصر ، فانها لاتكاد تقارن بثروتها التى لم تستغل بعد على نطاق واسع من المعادن وقد قام الامريكان بعملية مسح ودراسة لامكانيات بورما الاقتصادية وقدموا للحكومة تقريرا بما انتهوا اليه من دراستهم ويوجد الان على مكتبى وأنا أكتب هذه السطور صورة من هذا التقرير الضخم المزود بالصور والخرائط والرسوم البيانية التى تشرح ثروة بورما الزراعية والصناعية والمعدنية والتجارية واليك قائمة بالمعادن التى تحدث التقرير عن وجودها فى بورما بنسبة كبيرة

الفحم — الحديد — النحاس — الفضة — الذهب — الزنك — الرصاص — القصدير — البترول — النيكل — الانتيمون — الكروميت — المنجنيز — المولبيدتم — الوانازيت — التنجستن — الاسبستوس — الامبر

ولقد كانت هذه الموارد الضخمة كلها نهبة فى يد الانجليز بل فى يد حفنة من رأسماليى الانجليز والان لقد ضاع كل ذلك ... ضاع الى الابد . وعلى الانجليزى الذى يريد الحصول على شىء من هذه المعادن أن يدفع الان الثمن ... وأن يدفعه غاليا بعد أن كانت هذه الشعوب تعمل لتقدمه للسادة المستعمرين بالمجان .

— ٨ —

**جحيم الملايو :**

وبينما كانت السفينة تتابع سيرها نحو الشمال سرحت بخواطرى الى الجنوب نحو الملايو

هذا اللسان من الارض الذى يمتد طويلا ليقسم البحر بحرين وليجعل حدا طبيعيا ينتهى عنده الشرق الاقصى ليبدأ الشرق . . لتبدأ الهند وبحار الهند . . سرحت ببصرى الى الملايو وغاباتها حيث لايزال الاستعمار الانجليزى يتشبث



صورة الفلاحين البرمانيين وهم يزرعون الارز بطريقة ( الشتل )

بهذا القسم من آسيا ويشن حربا غاشمة تكبده دم قلبه ومع ذلك فهو يأبى الا المضى حتى النهاية .. النهاية المحتومة لا للاستعمار الانجليزى بل لانجلترا كلها .

ان كثيرين يبدون دهشتهم لجلاء الانجليز عن بورما وعن الهند وتشبثهم بالملايو مع ان تفسير ذلك يبدو واضحا بمجرد ان تزور الهند أو ان تزور بورما. لقد حكمت انجلترا هذه القارة الضخمة لانقسام أهلها على بعض فاستطاعت شركة تجارية لا اكثر ولا أقل ان تستعمر الهند قبل ان تتحول الى مستعمرة من مستعمرات التاج ... وقد يذهل كل انسان عندما يعلم ان الانجليز لم يكن لهم فى الهند سوى عشرين الف جندى يتجمعون فى مكان واحد ولكن مستشاريهم كانوا الى جوار المهراجات يحركون جيوشهم الهندية لصالح انجلترا وليضربوا هذا الامير بذاك وهذا الجيش بالجيش وهذا الدين بالدين وهكذا ... فلما ان اكتشف الهنود هذه الحقيقة وقفوا صفا واحدا يقولون للانجليز فى جد وعزم « اخرجوا من بلادنا » لم يكن باستطاعة الانجليز ان تقاوم . لقد كان للهند جيش يبلغ مليون جندي مسلح أكمل تسليح وكان لها أسطول ولقد أعلن الاسطول التمرد فى مدينة بومباى عقب الحرب وكاد ذلك يمتد الى الجيش فادركت انجلترا انه لم يعد لها طاقة على مقاومة هذه الجحافل وانها لو دخلت مع الهند فى نزاع فانه ينتهى بها الى الافلاس والانهيار فآثرت ان تنسحب لتستبقى صداقة الهند أو بالاحرى لتستبقى هذه الصلات الاقتصادية الضخمة وتحتفظ بالهند متعاونة معها . فانجلترا لم تخرج من الهند طائعة مختارة بل مقهورة مضطرة فقد هتف فى وجهها اربعمائة مليون من البشر : اخرجى من بلادنا ولم يكن هؤلاء الهاتفون هذه المرة سذجا أو بلهاء بل شعب قوى متحد جمعته زعامة غاندى واصبح على رأسه مليون جندى ومن وراء هذا الجيش مصانع للصلب والفولاذ لاتنتج المسدس أو القنبلة أو البندقية فحسب بل المدفع والدبابة وقطار السكة الحديد .

ومثل ذلك يقال عن بورما ففى اخريات مدة الاحتلال اليابانى كان كل برمانى قد تحول الى مقاتل يحمل السلاح، الرجال والنساء والصبيان وعندما انسحب اليابانيون تركوا أسلحتهم فى يد الشعب البرمانى كما فعلوا فى كل مكان وفجأة عندما عاد الانجليز لحكم بورما اذا بهم يجدون أنفسهم امام شعب من ثمانية عشر مليونا كله مدجج بالسلاح وهو يقول لهم اخرجوا من بلادنا ، ولم يكن باستطاعة الانجليز البقاء فانسحبوا واعلن استقلال بورما .

أما فى الملايو فلا يزال الانجليز يتشبثون ، لايزالون يحاربون ذلك انهم لايستطيعون التخلى عن الملايو بدون أن ينهار الاقتصاد الانجليزى نهائيا . ان

انجلترا فى حاجة شـديدة للدولارات الامريكيـة والملايو تنتج المطاط الطبيعى المـادة الوحيدة التى تحتاجها امريكا وتبيعها لها انجلترا بملايين من الدولارات العزيزة الغـالية . فما بقى الانجليـز قادرين على الاحتفـاظ بالملايو فسوف يحتفظون بها وانهم يحتفظون بها حتى الان ولكن بأى ثمن باهظ ذلك مايحدثنا عنه الصحفى الانجليزى هارى هوبكنز فى كتابه « عالم جـديد ينهض » ولندع الانجليزي يتكلم: « عندما بدأ (ليكون كيم) زعيم الثوار الملاويين جهاده لتحرير مقاطعة كاجانج كان عدد البوليس بهذه المقاطعة لايزيد على ٥٤ رجـلا ولم يكن هناك جنود على الاطلاق فى كل المقاطعة أما الان فانه توجد بهذه المقاطعة علاوة على فرقة الصافولك الانجليزيةالمشهورة ثمانية آلاف رجل من عساكر البوليس الرسمى و ١٦٠٠ عسكرى اختصاصى و ١٦٠٠ رجل ممن يطلق عليهم الحرس الخـاص . وارتفعت قوة البوليس بصفـة عامة من خمسـة آلاف رجل الى ٧٠٠٠ جندى وذلك بخلاف ٤٠٠٠ عسكرى يعمل كحرس خصوصى »

هذا هو الحال فى الملايو فمـا كان يكلف انجلترا خمسين عسكريا فى مقاطعة من المقاطعات قد ارتفع الى عشرين الفـا وما كان يكلفها خمسة الاف عسكريا قد أصبح يكلفها مائة وعشر آلاف جندى

ويعلن الانجليز أنهم لايحاربون شعب الملايو وانما يحاربون عصابة من الثوار لايتجاوز عددها فى طول البلاد وعرضها اربعـة آلاف ثائر والادارة الانجليزية تزعم انها باتت تعرف هؤلاء الثوار بالاسم بل انها تحفظ لهم صورا. هؤلاء الاربعة آلاف هم الذين تجيش ضدهم الجيوش وتنهمر الاسلحة والذخائر انهمارا على الملايو لدحرهم ومع ذلك فهى لاتنفع أو تشفع وليس أدل على ذلك من ان الادارة الانجليزية تدفع الآن خمسمائة جنيه فى مقابل كل رأس يأتيهـا بأى طريق من رؤوس هؤلاء الثوار وهو أسلوب همجى وحشى كان قـد انقرض منذ العصور الوسطى ولا تلجأ اليه الحكومات المتمدينة ولكن الانجليز فى الملايو قد انحدروا الى هذه الهوة السحيقـة ... وليس وراء ذلك آية على افلاس ادارتهم نهائيا ولنطالع مرة أخرى ماذا يقول الصحفى الانجليزى هارى هوبكنز معتزا بنجاح مواطنيه فى استئصال شأفة العصابات الثائرة

« ان اصطياد رجال العصابات يتم الآن بنجاح يدعو الى الاعجاب وتتنافس الان فرق الصافولك فيما بينهـا فى اصطياد اكبر عدد ممكن من هؤلاء الثـوار

ففى اثناء زيارتى احتفلت فرقة ج بقتل الفريسـة رقم ٣٧ متفوقين بذلك على فرقة (د) التى بلغ عدد ضحاياها ٣٦ فقط

ولقد استطاع هؤلاء الابطال المغـاوير ان يوقعوا بالعدو خسائر فادحة واذا كان اكثر فرائسهم من الثوار العاديين او بالاحرى (الانفار) فانهم نجحوا مع ذلك فى ايجاد ثغرات كبيرة فى قيادة الشيوعيين مما يتعذر معه سدها بسهولة وذلك

عن طريق المكافآت السخية التى تبذل لمن يجيئون برؤوس هؤلاء القادة .
ففى مايو سنة ١٩٥٢ استطاعوا التخلص من ( لونج بن ) الشهير وذلك فى مقابل مكافأة قدرها أربعة آلاف جنيه .
وان المكافآت توزع على نطاق واسع وتضاعف دائما واحيانا ترتفع الى ثلاث أضعاف ابتداء من ٢٥٠٠٠٠ ريال ملاوى التى عرضت مقابل القبض على ( شن بنج ) السكرتير العام حيا ونصف هذا المبلغ مقتولا ..
والسعر المقرر فى المتوسط لرأس أحد اعضاء لجان المقاطعات هو ١٨٠٠٠ دولار ملاوى »
ومع هذا الانحدار وهذه الوحشية .. مع هذه النفقات الباهظة التى اصبحت تنفقها انجلترا ... على الرغم من هذه الجيوش والقوات المسلحة فان الحرب فى الملايو لاتزال ماضية فى طريقها وانجلترا تعلم أنها تقود معركة خاسرة فهى لا تستطيع أن لاتبقى بقية السكان بعيدا عن الثوار الا بأن تزيد فى حريتهم والأبان تضاعف فى حقوقهم والا بأن تزيد فى ارباحهم وكل ذلك ينتهى بها الى النتيجة المحتومة وهى أن الملايو لن تغطى مصاريفها فى وقت قريب جدا بل لعلها الآن لاتغطى مصاريفها بالفعل فما الذى يجعل الانجليز يتشبثون بالملايو؟ انه الخوف والرعب من أن تقع فى يد الشيوعية او بالاحرى فى يد الصين فالحرب التى تشنها انجلترا اليوم فى الملايو ليست فقط للاحتفاظ بها ولكن للحيلولة بينها وبين ان تقع فى يد الاعداء .

**الهند الصينية**

وهذا الذى يجرى الآن فى الملايو قد اصبح يجرى مثله فى الهند الصينية فلفرنسا اليوم ربع مليون جندى فى الهند الصنية وقد اصبحت تكلف الخزانة الفرنسية ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه فى العام الواحد وهى تدخل الآن فى عامها السادس وقد سقط صريعا من الفرنسيين الاصليين حتى الآن ثلاثون الف جندى ما بين قتيل ومفقود .
هذا هو ما تدفعه فرنسا الآن فى الهند الصينية حيث كانت تستمد منها الوف الملايين من الجنيهات فما الذى يجعل فرنسا تتشبث بهذه الحرب الخاسرة ما الذى يجعل فرنسا تواصل هذه العملية التى تستنزف مواردها وشبابها وجهودها ... انه الخوف ... الخوف مرة اخرى من ان تقع هذه البلاد فى يد الشيوعية أو بالاحرى الصين فالحرب التى تشنها فرنسا اليوم فى الهند الصينية لاتهدف الى الاحتفاظ بالبلاد بقدر ما تهدف للحيلولة دون وقوعها فى يد الاعداء . ولن تستطيع فرنسا ان تتغلب على جيوش (هوتشى منه) الا بأن تضاعف من سلطان الشعب الفيتنامى وحريته واستقلاله وان تكف عن كل استغلال له ولموارده .

وتقف امريكا بدورها خائفة مرعوبة خلف انجلترا وفرنسا تشد ازرهما بالاسلحة والمهمات وملايين الدولارات ليواصلا هذه الحرب اليائسة فى الملايو والهند الصينية حتى لايقعا فى يد الاعداء لانهما اذا وقعتا وغمرتهما الشيوعية ودخلا بذلك فى دائرة النفوذ الصينية وبالتالى كمايزعم الامريكان فى دائرةالنفوذ الروسية فقد اصبحت موارد الدنيا كلها من المواد الاولية فى دائرة الشيوعية وليس لذلك سوى نتيجة واحدة هو الانهيار المحقق الكامل للمعسكر الاستعمارى الراسمالى .

وهكذا عندما تكون فى هذا القسم من العالم لاتستطيع الا أن تلمس بيدك الازمة القاتلة التى أصبحت تواجه اوربا وامريكا بنهضة الصين هذه النهضة الجبارة . واذكانت السفينة السائرة بناصاعدة فى نهر الايراوادى انما فى الحقيقة تبدأ رحلتها فى طريق بورما الشهير الذى ينتهى بنا الى تخوم الصين فلندع السفينة فى رحلتها فلم يعد هناك مايهمنى الحديث عنه من تفاصيل هذه الرحلة ولنسرع الى الصين .. لنسرع الى هذا العملاق الجديد الذى استيقظ فاصطكت له أسنان دول الاستعمار والرأسمالية ... لنتحدث عن الصين ... عن الشمس فقد اصبحنا قاب قوسين اوادنى منها واصبح حرها يوشك أن يحرق منا الجلد ويشوى الوجوه .

# الفصل الرابع

# الصين الجديدة

## - ١ -

**الصين الجبارة :**

كانت الصين والاقتراب من الصين مما يأخذ على لبى فى هذه الرحلة وكان الامل الخفى يداعبنى ان أصل الى الصين ، أن أنفذ الى هذا العالم الجديد ولكن شبح الشيوعيــة كان يخيفنى ... ما الذى يقال عنى فى مصر لو اننى دخلت الصين الا اتهم بالشيوعية واننى أصبحت من دعاة الشيوعية فيصبح لا سبيل لى بدفع هذه التهمة عن نفسى الا أن أندد بالصين وما يجرى فى الصين فأزيف الحقائق واتحول الى أداة فى يد الدعاية الامريكية وهو ماأكره القيام به من اعماق قلبى بأى ثمن من الاثمان.

كان هذا الخاطر هو الذى يحول بينى وبين انفاذ هذا العزم واعنى به الذهاب الى الصــين وقد يكون عدم وجود مال كاف فى حوزتى أحد الاســباب التى لم تقو هذا العزم فى نفسى، وربما يكون الوعد الذى قطعته على نفسى لاخى ابراهيم شكرى ولزوجتى أن لاتزيد غيبتى عن مصر اكثر من شهر .

واخيرا فقد كانت إمامى رحلتى فى الهند والباكستان وما ســوف تستغرقه من وقت وجهــد ومال .. كل ذلك انتهى بى الى أن أصرف النــظر عن زيارة الصين فى هذه المرة لكى أتفرغ لدراسة الهند والباكستان وكل مايتصل بهما

ولكن هذا القرار قد حفزنى من ناحية اخرى على أن أسعى بكل الطرق على تعرف كل مايتصل بالصين وليس هناك ما هو أيسر من ذلك عنــدما نكون فى آسيا التى اعترفت دولها كلها بالصين الشيوعية ما عدا ما كان منها مغلوبا على امرها بل ليس اوفق لمعرفة الصــين من أن تكون فى بورما أول الدول اعترافا بالصين الشيوعية حيث يوجد سفير للصين بها ولبورما سفير فى الصين بل ان هــذا الاخير هو من القــلائل فى بورما الذين تعلقــوا بى وتحمســوا لموقفى فى المؤتمر ومن هذا المصدر اســتقيت معلوماتى الوثيقة الاولى عن الصــين والتى رحت بعدها اعززها بكافة الطرق والاشــكال . فهــذه كتب تذيعها الصــين الشيوعية عن نفسها ، وهذه كتب كتبها رجال من الهند سافروا فى بعثة صداقة الى الصين وهذه كتب كتبها أعداء الصين من الفرنسيين والانجليز ... وهذا كتاب أبيض رسمى أصدرته وزارة الخارجية الامريكية عن علاقة امريكا بالصين وموقفها من كاى شيك ومن الحزب الشيوعى وتاريخ ذلك بالتفصيل منذ أكثر

من مائة سنة . وهذه صور وهذه افلام .. وجدتها على طول الطريق فى آسيا .
وهذه معلومات قصها على اعضاء سلك بلادنا السياسى فى نيودلهى وفى كراتشى فقد أقامت الصين معارض ضخمة لصناعاتها الثقيلة ومنتجاتها فى الهند والباكستان وقد كانت هذه فرصة ذهبية احاط بها رجال السلك السياسى فى سفاراتنا بما يجرى فى الصين ... وأخيرا هذه حقائق الموقف العسكرى الراهن فى كوريا ودلالتها ... ومن هذه العناصر كلها استطعت ان أكون فكرة رأيت من واجبى أن أذيعها على مواطنى حكومة شعبا عسكريين ومدنيين فاغفال معرفة الحقيقة عن الصين سواء كانت شيوعية اوغير شيوعية هو أمر جد خطير قد يجعل سياستنا الخارجية كلها تسير فى طريق خاطىء .

**الصين القديمة**

للصين القديمة صورة حبيبة الى نفسى فما ذكر اسمها الا واحسست بالرضاء يشيع فى نفسى وبشعور عميق من الاحترام والتقدير . فنحن كمسلمين نحفظ قول الرسول صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين » وسواء صح هذا الحديث بنصه او لم يصح فان قيام هذا الحديث هو آية ما وصلت اليه الصين من شهرة فى العلم .

ويقابل هذه العبارة المحفورة فى نفسى منذ الصغر عبارة اخرى طالعتها بعد ان كبرت منى السن وهى تطالعنى دائما كلما ذكر اسم الصين أمامى وتتلخص هذه العبارة فى ان الصين قدمت للدنيا أحسن أنواع الطعام وهو الارز وقدمت لها احسن انواع الشراب وهو ( الشاى ) وقدمت لها احسن انواع الملبوسات وهو الحرير . واذا صح هذا وهو صحيح من غير شك فان ذلك طالما صور لى حضارة الصين وعمق تأثيرها فى العالم . ولكن الصورة الكاملة عن الصين القديمة والتى طالما جعلتنى اتحمس لها فهو ما طالعته عنها فى رحلة ابن بطوطة ذلك الالمعى الذى وصل الى بلاد الصين ووصف لنا احوالها وكيف بهرته مدنيتها وحضارتها وعندما تطالع كتاب ابن بطوطة وترى وصفه لكل أقطار العالم المختلفة التى جابها تشعر أنها كلها متشابهة متقاربة حتى اذا وصلت الى حديثه عن الصين وجدت نفسك قد انتقلت معه الى عالم جديد أكثر تطورا من أرقى مجتمع فى ذلك الوقت . ان الاحساس الذى خرجت به بعد مطالعتى لحديث ابن بطوطة عن الصين أنها كانت تشبه فى ماضى الايام ، الولايات المتحدة فى الوقت الحاضر ، عندما يقصدها سائح من بلاد متخلفة .

ويبدأ حديث ابن بطوطة عن عجائب الصين منذ اللحظة الاولى التى يمتطى فيها السفينة المسافرة اليها من ميناء سنغافورة لانه يصف لنا سفينة اقرب ما تكون الى سفن عابرة المحيط فى الوقت الحاضر وقد كان كل ما فيها جديد

وغريب بالنسبة لابن بطوطة فهو يصف لنا ضخامة السفينة وكيف يقيم كل راكب فى داخل قمرة خاصة ( وهو ما لاعهد له فى السفن الاخرى ) ثم يحدثنا عن الاطعمة الطازجة وكيف تقدم للركاب خلال الرحلة الطويلة باستمرار ولم تكن لديهم الثلاجات لحفظ المأكولات كما هو الشأن فى البواخر فى الوقت الحاضر ولذلك فقد كانوا يزرعون انواع الخضر فى أحواض مخصصة لذلك فى السفينة نفسها ولعل ذلك يصور لك ضخامة هذه السفينة التى يتخذ من أحد أسطحها حقلا لزرع الخضر وقد كان هذا لونا جديدا من الحضارة لا عهد لابن بطوطة به وهو الذى جاب العالم القديم شرقا وغربا .

أما فى الصين نفسها فابن بطوطه يحدثنا عن استعمالهم لورق النقد الذى لم تعرفه أوربا ولم يعرفه العالم خارج الصين الا منذ وقت قريب جدا ولكنه كان فى الصين معروفا ومشهورا منذ عهود سحيقة بل ان نظام الدولة كلها كان قائما فى الصين . ويحدثنا عن الطباعة وعن الورق وعن التصوير وعن التنظيم الدقيق لشئون الدولة وكل هذه اختراعات واكتشافات لم يعرفها العالم الحديث خارج نطاق الصين الا منذ أمد قريب جدا

كانت هذه الرحلة تتمثل دائما لخاطرى كلما ورد ذكر الصين أمامى ... وعند ما اتيح لى أن أطالع عن مختلف الاديان فى العالم كانت هذه فرصة جديدة لارى الحكمة والفلسفة الصينية ومرة أخرى وقفت مذهولا امام هذا التراث العقلى والروحى الذى هو فى حد ذاته مظهر حضارة رفيعة سامية

ولقد ذكر أحد المبشرين الكاثوليك الاوائل ممن ذهبوا الى الصين منذ أكثر من مائة سنة أنه عند ما وقف وسط الصينيين يحدثهم عن خلق آدم وعمر الكرة الارضية وان ذلك قد حدث منذ خمسة آلاف سنة تقريبا وجد الصينيين يبتسمون وينظر بعضهم لبعض فلما سألهم عن سبب ابتسامهم قال له أحدهم أنت تحدثنا عن آدم والكرة الارضية التى خلقت منذ خمسة آلاف سنة ونحن عندنا فى هذه البلاد أدب مكتوب منذ اكثر من عشرين ألف سنة

**الصين الحديثة :**

هذه هى الصين التى درجنا نحن ابناء النصف الاول من القرن العشرين على التصور بأنها أمة منحلة قد صارت عنوانا على الانحطاط والتدهور وانها باتت نهبة للاستعمار الاوربى . وكانت الصين لا تذكر الا ويذكر معها الافيون وكيف ان الشعب الصينى تائه عن الدنيا بين دخان الافيون ... وكانت أقاصيص الحروب والفتن المستمرة بين أمراء الحروب فى الصين تملأ السنمات وروايات المسارح . على ان ذلك كله لم يقارن بما درسناه فى

مدارسنا بالذات من أن الاوبئة والمجاعات وفيضان الانهار من شأنه ازهاق أرواح بضعة ملايين كل عام فى الصين . فالنهر الاصفر اذا فاض أزهق أرواح بضعة ملايين وكذلك نهر اليانجتسى ، أما المجاعات والاوبئة فحدث عنها ولا حرج فهذا شيء لا يحيط به الوصف ... واما عن الفقر فقد كانت مظاهره الى وقت قريب جدا اى الى عامين او ثلاث اعوام تتمثل فى هذا العدد من جثث الموتى الذين كانت تغص بهم شوارع شنغهاى كل يوم والذين خصصت عربات لجمعهم أولا بأول كما تجمع القمامة من الشوارع

هذه هى الصين وهذا هو الطابع الذى كان يطبعها فى عصرنا الحديث ... ولقد كان اسم الدكتور ( صان يات سن ) يطل من بين هذه الانقاض والخرائب المعنوية باعتباره باعث الصين الحديثة فى مستهل هذا القرن والرجل الذى الغى الحكم الامبراطورى القديم وأعلن الجمهورية الصينية . وكان اسم كاى شيك كوريث لهذا الزعيم وزوج لابنته وقائد للشعب الصينى يتردد بين أرجاء العالمين . وعند ما بدأ الغزو اليابانى للصين فى عام ١٩٣٧ وذلك بعد غزو منشوريا قبل ذلك بدأت الانظار تتجه كلها صوب هذا الشرق الاقصى وما سوف تفعله هذه الدولة الفتية الناهضة دولة اليابان بهذه الدولة الهرمة المنحلة ، جمهورية الصين التى لم تعرف السلام الداخلى منذ اجيال وقرون . كان كل انسان يتصور ان الصين ستكون فريسة سهلة المنال لليابانيين وانها لا تلبث أن تجثو على قدميها ... ولكن العالم فوجيء بمقاومة رائعة من الصينيين استنفدت قوى اليابان طوال خمس سنوات قبل أن تخوض الحرب العالمية الثانية واذا كانت اليابان قد خسرت هذه الحرب فهى لم تخسرها الا بسبب حربها مع الصين هذه الحرب التى أستغرقت مليونين من جنودها وثلاث أرباع معداتها وذخائرها ...

وعند ما وضعت الحرب أوزارها فوجيء العالم بالصين لاول مرة فى التاريخ الحديث تؤلف احدى الدول العظمى الخمس فى هيئة الامم وهى : أمريكا وروسيا وانجلترا وفرنسا والصين ولم يكن ذلك حادثا قد تم بطريقة عرضية او انه تم تبرعا من الدول الكبرى وانما تم لانه قد بات يعبر عن حقيقة لا سبيل لنكرانها وهى أن الصين التى قاومت اليابان واحتلال اليابان تسع سنوات كاملة كانت هى العنصر الرئيسى فى اضعاف اليابان مما أدى الى هزيمتها وان شعبا يتألف من خمسمائة مليون من البشر ما دام قد امتشق السلاح على هذا النطاق الواسع واحتمل هذه الالام فان مكانه بين الدول العظمى لا يمكن أن يكون محل خلاف أو نزاع

وهكذا جلست الصين الى جوار أمريكا وروسيا وانجلترا وفرنسا على

قدم المساواة وأصبح لها حق الفيتو كهذه الدول العظمى بحيث أن أى قرار لا توافق عليه الصين لا يمكن ان ينفذ بأى حال من الاحوال

ولكن امريكا التى بذلت جهدها لحمل الاخرين على الاعتراف بهذه الحقيقة كانت تعتبر أن هذا الصوت الصينى فى الحقيقة انما هو صوت أمريكى فقد كان كاى شيك قد تحول الى صنيعة امريكية مائة فى المائة وأصبح مدينا للامريكان بكل شيء فهم الذين يمدونه بالمال والسلاح والنفوذ وهم الذين يبقون عليه زعيما على راس الصين . ذلك أن الصين كانت قد انبثقت فيها من خلال هذه المحن والالام حركة شعبية جديدة يتزعمها الحزب الشيوعى وعلى رأسه احد هؤلاء العظماء الذين يطبعون البشر بطابعهم من حين لاخر وذلك هو « ماوتسى تونج » وان هذه المقاومة الصينية الباسلة للغزو اليابانى انما كانت من صنع هذا الحزب الشيوعى وبقيادته وانه يرجع الفضل لهذا الحزب على ما تسجل تقارير وزارة الخارجية الامريكية فى خلق جيوش تستند على تأييد الشعب لاول مرة فى تاريخ الصين . فالى ما قبل الحزب الشيوعى كانت الجيوش فى الصين دائما من الجيوش المرتزقة التى يستأجرها هذا الاقطاعى او ذاك وكان اى قائد فى الصين يستطيع ان يؤلف بنفسه جيشا وان يسيطر به على اقليم ... وكانت الجيوش فى الصين سلعة كأى سلعة أخرى تباع وتشترى وترهن وتؤجر . ولاول مرة فى تاريخها استطاع الشيوعيون أن يؤلفوا جيشا من الشعب وبالشعب. وبهذا الجيش حاربوا اليابان ودوخوها طوال تسع سنوات

كانت امريكا تعرف هذه الحقائق أكثر من أى انسان فى العالمين فقد كان خبراؤها ووزراؤها هم الذين يكتبون هذه التقارير ... وكانت الاسلحة الامريكية فى خلال الحرب تعطى للشيوعيين وجيوشهم ... بل ان الامريكان فى أكثر من مرة خلال الحرب بذلوا جهودا مضنية لاشراك الشيوعيين الصينيين فى حكم الصين ولكن كاى شيك ظل العقبة الكأداء ضد هذا الاتفاق

وعند ما وضعت الحرب أوزارها تصور كاى شيك أنه قد أصبح سيد الموقف فى الصين وانه قادر على وضع حد لهذه القوة التى يطلب منه اشراكها فى الحكم والسلطان فأرسل الجيوش للقضاء على الجيوش الشيوعية فاذا بالهزيمة تكون من نصيب جيوشه وقواده ... بل أنه كلما أرسل جيشا لمحاربة الشيوعيين اسرع هذا الجيش فى كثير من الاحوال للانضمام اليهم فزادهم قوة على قوة ... وراح كاى شيك يستغيث بالامريكان فيغيثونه لانهم فى نهاية الامر يضمنونه ولا يضمنون الشيوعيين ... فقدموا له من الاموال ما يناهز الفى مليون دولار وذلك فى مدى عامين اثنين ولكن كل هذه الاموال كانت تأخذ طريقها الى جيوب اتباع كاى شيك وحواشيهم . فقد

كان الفساد قد بلغ الى حد لا يتصوره العقل ... وكانت الاسلحة التى تقدم لكاى شيك تأخذ طريقها بعد قليل الى صفوف الشيوعيين اما على سبيل التهريب أو البيع او استسلام حامليها

وقد تجلت هذه الحقائق كلها للامريكان ففى هذا الكتاب الابيض الذى أصدرته وزارة الخارجية عن الصين وعلاقات أمريكا بها أو بالاحرى بالجنرال كاى شيك يرى الانسان المعجب والمطرب ... ومع ذلك فقد وقفت أمريكا الى جوار كاى شيك تحاول نصره على الشيوعيين ... ولذلك فلا عجب اذا تحول كاى شيك الى صنيعة أمريكية أو بمعنى ادق صينى أمريكى موظف لدى الحكومة الامريكية

ولكن كاى شيك ونظام كاى شيك كأى نظام اقطاعى رأسمالى وصل الى درجة التعفن ، لم يكن باستطاعته ان يستمر ... ولذلك فقد تداعى فى نهاية الامر واضطر كاى شيك ان يهرب من الصين الى جزيرة فورموزا يتبعه فلول من جيشه القديم الذى لم يستطع ان يخوض معركة واحدة ضد الجيوش الشيوعية بالرغم من تسلحه الكامل على ما تقول تقارير الامريكان

وسيطر الحزب الشيوعى على الصين كلها وقيل أن الصين قد دخلت فى دائرة الستار الحديدى وطلب منا فى مصر ولامثالنا من الدويلات ان لا نعترف بالصين بحجة انها شيوعية . مع أن مصر تعترف بروسيا أم الشيوعية كلها وتعترف بكل اوربا الشرقية وهى بدورها شيوعية فما أعجب أن نعلن عدم اعترافنا بالصين لانها شيوعية ... بل لايقف الامر عند حد عدم الاعتراف بل يتعداه الى حد الاغفال والتجاهل كأنه من الجائز ان يتجاهل الانسان خمسمائة مليون من البشر .

ان الصين اذا ذكرت هذه الايام فى أى بلد من بلدان الشرق الاوسط هز الجميع اكتافهم وقالوا مالنا بها ، انها الصين الشيوعية ، وكأن هذه العبارة قد حلت المسألة وان الصين لا يجب أن تشغل بالنا لانها شيوعية .

لتكن الصين شيوعية او عفريتية او شيطانية فان هذا لا يمنع بحال ان نعرف كل شيء عنها وان نحيط بما يجرى فيها الآن فان خمسمائة مليون من البشر لايمكن أن يكونوا شيئا تافها لايقام له وزن او خطر .

— ٢ —

## أى انقلاب تم فى الصين

قلت لصاحبى حدثنى عن الصين الشيوعية — وصاحبى هذا هو سفير بورما فى بكين عاصمة الصين — وبورما كما ذكرت لك من قبل بلد محايد بين المعسكرين

ولذلك فان رأى سفيرها لايمكن الا ان يكون محايدا . فقال لى عن أى ناحية من الصين تريدنى أن أحدثك ... قلت له عن كل النواحى ... ما الذى يستوقفك انت شخصيا ما الذى يعجبك فيها أو ما الذى يسخطك عليها .

قال لى : ان الانقلاب الاجتماعى الذى حدث فى الصين شيء لم يسبق له مثيل فى العالمين من قبل او من بعد . فقد كان من التقاليد المتبعة والقوانين المرعية انه يمكن تزويج طفل رضيع بفتاة كبيرة تبلغ العشرين أو الثلاثين أو فوق هذا وذلك لمجرد كون ابويه فى حاجة الى جارية تخدمهما ، فزوجة الابن تستخدم كجارية فى بيت أهل زوجها .

وكان الرجل اذا رزق بفتاة مولودة نزل الى الطريق يبحث عمن يشتريها بأبخس الاثمان فاذا لم يجد من يشتريها وهبها لمن يأخذها بالمجان فان لم يجد من يشتريها او يأخذها عاد اليها فخنقها او أغرقها او دفنها ولم يكن ذلك بالحادث النادر او غير المألوف بل ان الفقر من ناحية وحقارة المرأة من ناحية أخرى كان يجعل ذلك أمرا شائعا فى ارجاء الصين .

هذه هى حالة المرأة فى الصين حتى اكتوبر سنة ١٩٤٩ . ثم جاء الانقلاب الشيوعى فاذابه يرفع هذه المرأة الى مستوى الرجل ويساوى بينهما فى الحقوق والواجبات ويحرم الزواج على المرأة قبل أن تبلغ سن الثامنة عشر وعلى الولد قبل أن يبلغ سن العشرين واصبح الآباء الذين كانوا يقتلون بناتهم من الجوع والمسغبة يرونهن الان وهن يذهبن الى المدارس والى رياض الاطفال والى دور الحضانة . وهكذا بضربة واحدة انتقل مايزيد على مائتى مليون امراة من مرتبة العبودية المطلقة بل من المرتبة الحيوانية الى مرتبة الحرية الكاملة .

ولقد الغى البغاء فى مدن الصين فلم يعد بها بغاء ، وفى مدينة مثل بكين كان بها وحدها ثلاثة آلاف بغى رسمية ولن تجد بها اليوم واحدة منهن وقد حدث ذلك لا بقوة القانون والارهاب ولكن بالاقناع والترغيب وايجاد الفرصة امام هؤلاء النسوة البائسات للحصول على أعمال شريفة وان بعضهن الآن يقدن القطارات السريعة ، وبعضهن طيارات شهيرات ... وهكذا من حضيض المستنقع الى ذروة المجد .

وبينما كانت شوارع مدن الصين الكبرى تغص بالمتسولين ، فلن تجد بها اليوم متسولا واحدا واذا اردت أن تعرف مصير هذه الالوف من المتسولين فما عليك الا أن تذهب الى المؤسسات الخاصة بهم لتراهم وقد تحولوا الى عمال مهرة منتجين يعملون الان فى جد واجتهاد ليكسبوا رزقهم كمواطنين شرفاء

وسكت محدثى قليلا ثم نظر الى وقال ولست احسب أن لذلك مثيلا فى التاريخ ... هذا هو أروع ما فى الصين الشيوعية وما لايحتمل جدلا أو مناقشة وقد كان صاحبى صادقا عندما قال ان هذه مسألة لاتحتاج الى جدل أو



ماوتسي تونج زعيم الصين

مناقشة فمنذ قليل كان أحد الامريكان من زعماء العمال يناقشنى فى موضوع الصين الشيوعية فقلت له : لا اعرف شيئا عن الشيوعية وعما اذا كانت الصين شيوعية .. ولكن اذا كان لايعجب امريكا ان يتحرر مائتان وخمسون مليونا من نساء الصين فينتقلن من الدرجة الحيوانية ودرجة الرقيق الى درجة الانسانية الكاملة ، والحرية المطلقة اذا كان هذا لا يعجب امريكا فهذا شأنها اما أنا فانى لاأستطيع الا أن أكبر هذه الحركة ...

وسكت الامريكى ولم يستطع ان يحر جوابا ثم قال لاجدال ان هذا عمل عظيم . ولم اقابل انسانا واحدا فى آسيا لم يحدثنى عن الصين كما حدثنى سفير بورما بها .

« ان الانقلاب الذى تم فى الصين هو حادث لا مثيل له فى تاريخ الصين فالصين منذ أقدم العصور ليست سوى اسم لا ينطبق على مسمى فالصين كانت تتألف من عديد من الدول والشعوب التى كانت دائمافى حروب مستمرة فيما بينها وكان لكل من هذه الاجزاء كيان يختلف عن الاخرين فقد كان دائما هناك منغوليا ومنشوريا والتركستان والتبت والصين وتحت كل اسم من هذه الاسماء تفاصيل وتفريعات ولاول مرة فى تاريخ الصين قد اصبح ذلك كله يؤلف وحدة واحدة ... ولاول مرة أصبح للصين حكومة تسيطر على كل جزء من أجزاء هذه القارة المترامية الاطراف . ويصل سلطانها الى اصغر قرية . وليس يعلم سوى الله ما الذى تستطيع هذه الدولة التى لا مثيل لها فى العالمين أن تفعل الآن بعد ان اتحدت هذا الاتحاد ونظمت هذا التنظيم »

هذا ماقاله لى سفيرنا فى نيودلهى الاستاذ اسماعيل كامل وياله من استاذ كبير وعالم لايشق له غبار . وقال لى أحد رجال سفارتنا بالباكستان :

« ليتك كنت معنا هنا فى كراتشى ابان عقد المعرض الصينى بها اذن لرايت عجبا ولو قفت كماوقفنا مذهولين مشدوهين امامهذه المعروضات التى لو كانت من صنع المانيا لاذهلتنا ولو كانت من صنع امريكا لحيرتنا ولكنها كانت من صنع الصين ... الصين الحديثة .

لم يكن يطوف بخيالنا أن الصين اصبحت تنتج كل صنوف الصناعات الثقيلة لم نكن نحلم ان الصين تنتج قطارات السكك الحديدية والمحاريث الميكانيكية والموتورات والمحركات والاجهزة العلمية وكل ما يمكن ان يخطر على الذهن باعتباره آخر ما وصلت اليه الصناعات الحديثة .. »

على ان ذلك كله لم يكن هو الذى دلنى على مدى التطور الذى حدث فى الصين وعمق التأثير ولكنها الحقائق كما تنطوى عليها الارقام وكما تنطق بها نصوص القوانين .

## قانون الاصلاح الزراعى

فهذا قانون الاصلاح الزراعى والذى بمقتضاه تملك مائتا مليون فلاح ارضا زراعية لاول مرة فى تاريخ الصين منذ الوف والوف من السنين .

كان الفلاح الصينى أشبه الناس بفلاحنا المصرى فى العهد القديم كان كبار الملاك والاقطاعيين يملكون الجزء الاكبر من اراضى الصين وكانت مئات الملايين من الصينيين تشقى وتكدح على صورة اجراء أو مستأجرين يخرجون آخر العام اكثر عبودية للمالك . وفى طرفه عين وفى اقل من عام واحد تحول كل الكادحين الى ملاك فقد صودرت أراضى الملاك ووزعت على الفلاحين بالمجان واصبح الفلاح لايقدم سوى ١٣ ٪ من محصوله السنوى كضريبة للحكومة . ومن اراد ان يعرف كيف تطوع ربع مليون صينى ليحاربوا الامريكان فى كوريا ومن اراد ان يدرك السر الذى سجلته تقارير وزارة الخارجية الامريكية فى الكتاب الابيض من انالحزب الشيوعى الصينى قد استطاعلاول مرة أن يؤلف جيشا يستند الى تأييد الشعب فما عليه الا ان يذكر هذه الحقيقة الرائعة الا وهى ان مائتى مليون صينى ما بين رجل وطفل وامرأة كانوا حتى الامس القريب عبيدا أجراء لدى كبار الملاك فأصبحوا اليوم هم أصحاب الارض وساداتها .

لقد كان من جراء هذا الانقلاب ان الصين التى كانت تفتك بها المجاعات ويطحنها القحط والاملاق قد أصبحت تصدر لاول مرة فى التاريخ قمحا وأرزا لبقية بلاد آسيا . . .

ويتحدثون هذه الايام عن جيش كاى شيك فى فورموزا وانه فى سبيله الى غزو الصين من جديد وليس ذلك الا ضربا من ضروب التغرير بالذين يجهلون حقيقة الموقف أما الامريكانالذين يتحدثون عنهذا السخف فهم الذين يعلمون قبل أى انسان آخر ان هذا الجيش السجين الان فىفورموزا لو انه وضع قدمه فى ارض الصين لاسرع كلجندى فيه لالقاء السلاحوالاندفاع نحو قريتهوبلدته ليزرع مع اهله وعشيرته الذين اصبحوا ملاكا فى الارض وليسوا عبيدا لاحد لقد كان كاى شيك يحكم الصين نفسها وكان له جيش يربو على المليون وكانت معه الوف الملايين من الدولارات وكان الى جواره الجيش الامريكى نفسهبقواده ومستشاريه ومع ذلك فقد ذاب كل ذلك كما يذوب الجليد تحت حرارة الشمسذلك ان الشيوعيين كانوا يوزعون الارض فى كل مكان ويحولون العبيد الى أحرار والفقراء الى ملاك فكانت كل هذه الملايين تتحول الى مردة وجبابرة تحطم كل من يحاول ان يعود بها الى الوراء . . . الى النظام القديم .

**فى ثلاثة اعوام فقط :**

أشرنا فيما سبق لبعض ماحققته الصين فى الحقل الاجتماعى من تحرير المراة وتحرير الفلاح وتوزيع الارض وتوحيد الادارة فى الصين وتطهير البلاد من آخر ظل للاستعمار الاجنبى . وقد حانت الساعة لتنتقل الان من التعميم الى التخصيص ولنذكر بعض مظاهر الانقلاب العجيبة التى يقف امامها الاعداء قبل الاصدقاء مذهولين لضخامة التطور الذى يشبه أن يكون سحرا او خيالا . ولنبدأ بموضوع المالية والنقد

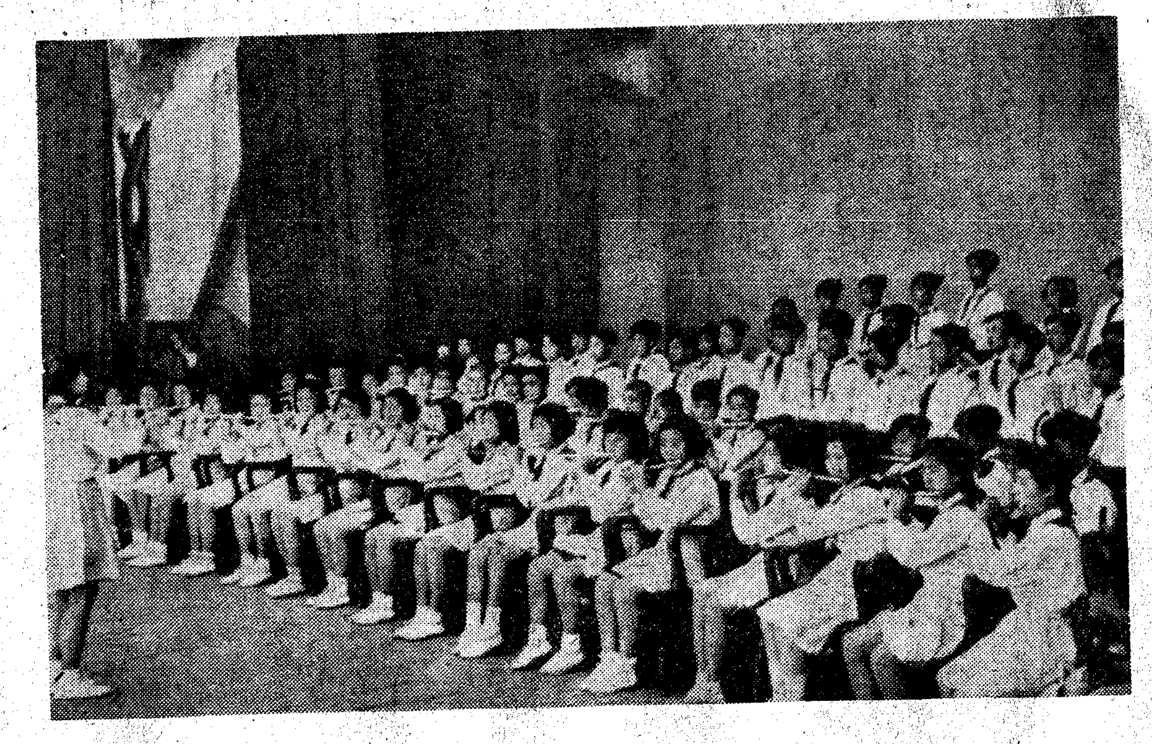
**انهيار النقد**

ان وصف حالة النقد الصينى فى عام ١٩٤٩ ( أى قبل بدأ العهد الجديد ) بالتضخم يكون اهانة بالغة لمدلول هذا اللفظ بل ان محاولة تشبيه ماكان يحدث فى الصين بما حدث عقب الحرب العالمية الاولى فى المانيا عند ما تدهور المارك الالمانى لايمكن بدوره ان يعطى صورة قريبة من الواقع وانى واثق ان كل قارىء سيسخر الآن من المعلومات والارقام التى سأسوقها له لان عقله لن يستطيع أن تصدق أمورا تصل الى هذا الحد ومع ذلك فان ما أسرده هو الحقائق المتفق عليها والمقررة والمثبتة فى تقارير وزارة الخارجية الامريكية

ان النقد المستعمل فى الصين هو الدولار الصينى وقد زادت كمية الورق المستعمل فى سنة ١٩٤٩ عن مثيلاتها قبل الحرب العالمية الثانية ١٧٧ بليون مرة وارجو ان تذكر ان البليون هو الف مليون اى ان الاوراق المتداولة تضاعفت ١٧٧ الف مليون مرة عما كانت عليه قبل الحرب

واذا كان هذا الرقم يجعل رأسك تدور فان الرقم القياسى للاسعار سيعيدها الى اتزانها فقد ارتفع الرقم القياسى للاسعار ١٣٨٤٤ مليون مرة. ولكن ذلك كله لم يعطك حتى الان فكرة عن الموقف فلنذكر الان مثلا واحدا لتوضيح هذا الموضوع وليكن مثلنا مجلة من المجلات .

يقول صاحب المجلة لرئيس البعثة الهندية التى زارت الصين ان مجلته يبعت فى الشهر السابق على تحرير مدينة شنغهاى من كاى شيك بالاثمان الاتية : الاسبوع الاول مليون دولار صينى للنسخة الواحدة وفى الاسبوع الثانى من الشهر ذاته وصل سعر النسخة الى مليونى دولار ، وفى الاسبوع الثالث وصلت الى اربعة ملايين دولار ، وفى الاسبوع الرابع وصلت الى خمسة ملايين دولار ، وفى الاسبوع الخامس وصلت جيوش التحرير فوضعت حدا لهذه المهزلة . ولنزد لك الامر وضوحا فنقول لك ان عشرة آلاف دولار صينى لم تكن تكفى لشراء عود ثقاب واحد



ليس هذا سوى اوركستر مؤلف من الفتيات اللواتي كن يبعن بالامس
او يقتلن

والآن وفى ظل العهد الجديد فلننظر ماذا حدث

كانت نسبة زيادة الدولار الامريكى على الدولار الصينى ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٤٪ فأصبحت هذه النسبة عقب الانقلاب ٠٠٠ر٤٢٪ وفى سنة ١٩٥٠ انزلت الى ٠٠٠ر٢٢٪ وفى عام ١٩٥١ انزلت الى اقل من ذلك واستمر النزول فى السنوات التالية . والآن قد لايزيد الدولار الامريكى عن ألف دولار صينى حيث استقر الدولار الصينى استقرار أى عملة أخرى فى العالم

وهكذا من الفوضى التى اعجزت نطس الأطباء الامريكان ولم تفد فيها ملايين الدولارات من الاعانات الى الاستقرار الكامل المطلق فى النقد الصينى لاول مرة فى تاريخها الحديث . وقد وصلت الحكومة الجديدة الى هذه النتيجة بانقاص مرتبات الموظفين الى درجة الكفاف من ناحية وبتحديد المرتبات على اساس أسعار الحبوب من ناحية ثانية . ان ماوتسى تونج نفسه يتقاضى مرتبا لايزيد عما يساوى خمسة وستين جنيها بالنقدالمصرى بينما يتقاضى الوزراء مالايزيد عن اربعين جنيها وجمهرة الموظفين الآن فى الصين يتقاضون مرتباتهم عينية أى ان الدولة تكفل معاشهم ومعاش اولادهم وتعليمهم ثم تعطيهم بعض النقود القليلة للترفيه .

والموظفون الذين يختارون الحصول على مرتباتهم بالنقد فانهم يعطون من النقد مايقابل ثمن كمية معينة من الارز فاذا ارتفع ثمن هذه الكمية ارتفعت المرتبات بنفس النسبة واذا نقص ثمن هذه الكمية من الارز نقص المرتب

واذا اودع انسان مالا له فى البنك فانه يودعه بما يقابله من ثمن الكمية المساوية له من الارز فاذا ارتفع ثمن الارز ارتفعت الوديعة النقدية بنسبة هذا الارتفاع واذا هبطت الاسعار هبطت الوديعة النقدية بنفس النسبة

وهكذا توصلت الحكومة بهذه الاجراءات الحاسمة البسيطة ان تحقق هذه المعجزة الكبرى معجزة تثبيت النقد الصينى بغير حاجة الى قروض من الخارج كما كان يزعم خبراء العهد القديم ... خبراء كاى شيك وحى وال ستريت

## فى الانتاج

هذه المعجزة الكبرى التى تمت فى تثبيت اسعار النقد وعمل ميزانية متوازنة لاول مرة فى حياة الصين قد حدثت معجزات مماثلة فى عالم الانتاج الزراعى

فقدكان لتوزيع الارض على الفلاحين وقصر الضرائب على ١٣٪ من المحصول أثر السحر فى نفوسهم اذ حملهم على العمل بالليل والنهار بعد أن باتوا يعملون فى أراضيهم ومايننتج منها سيعود عليهم

فاستطاعوا بقيادة الحكومة وتوجيهها ان يحفروا ٣ مليون بئر في الشمال الشرقي من الصين فقط وان يدقوا في الارض مليون طلمبة

وعمدت الحكومة الى انهار الصين الكبرى وهى النهر الاصفر واليانجتس والهوواى فأسرجتها والجمتها وسيطرت على شواطئها وفيضاناتها بالسدود والخزانات ومولدات الكهرباء مستخدمة فى ذلك قوة بشرية ضخمة غير متصورة الا فى بلاد الصين . ففى حوض نهر الهوواى اشتغل ثلاثة ملايين عامل من نوفمبر سنة ١٩٥٠ حتى يوليو سنة ١٩٥١ فاستطاعوا فى تسعة اشهر ان يرفعوا من الاتربة ما مقداره ١٩٥ مليون متر مكعب من الاتربة وانشئت على النهر السدود والخزانات التى سيطرت على النهر فتحرر بذلك ٥٥ مليون نسمة من الرعب والفزع الذى كان ينتابهم على حياتهم وممتلكاتهم فى كل عام خلال فيضان النهر وزرع مليون فدان جدد لاول مرة فى التاريخ

وحدث مثل ذلك بالنسبة لنهر اليانجتس والنهر الاصفر ذلك النهر المتمرد الذى حطم شواطئه الوف المرات فى التاريخ والذى غير مجراه سبع مرات وقد نشأ عن مشروعات السدود والخزانات التى انشئت للسيطرة عليه اربعمائة الف فدان جديدة

كل هذه المشروعات الجبارة قد تمت فى مدى عامين ... وتمت مرة اخرى بدون قروض من الخارج وبدون رؤوس أموال أجنبية ... رغم أنف الخبراء والكبراء والفنيين من أساطين الاقتصاد الذين يزعمون أن البلد المتخلف لايستطيع ان ينشىء مشاريع الا اذا اقترض من الخارج واستدان واستقدم رؤوس الاموال الاجنبية مسقطين من حسابهم ان الشعب هو مصدر الانتاج كله وان الشعب عندما يعلم أنه يعمل من أجل نفسه لا من أجل سادته ، عندما يعلم الفلاح انه اذا اشتغل يوما فى الاسبوع بغير اجر انما يعمل ذلك لكى ينشىء ارضا جديدة يتملكها فمن من الفلاحين لايعمل يوما فى الاسبوع بغير أجر بل يومين وثلاثة مادام يجد لقمة الخبز وما دام أن هذا العمل سينقذه بعد قليل من الجوع والفقر والمهانة .

كان طبيعيا ان تسفر هذه الجهود عن ازدياد الانتاج الزراعى بنسب كبيرة ففى عام ١٩٤٩ ترك كاى شيك البلاد مخربة مدمرة مقطعة الاوصال ومع ذلك أسفر هذا العام عن انتاج من الحبوب الغذائية قدره ١١٠,٠٠٠,٠٠٠ طن وهو ما يساوى ٨٠ ٪ من محصول الصين فى أحسن اوقاتها وفى عام ١٩٥٠ ارتفع هذا الانتاج الى ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ بزيادة عشرة ملايين طن وفى سنة ١٩٥١ ارتفع الانتاج الى ١٤٠,٠٠٠,٠٠٠ بزيادة عشرين مليون طن وفى عام ١٩٥٢ واصل الانتاج الزيادة وان كان الرقم الرسمى ليس موجودا أمامى الان

وهكذا لاول مرة فى التاريخ استطاعت الصين أن تطعم ٢٥٥ مليون من سكان

القرى و ٨٠ مليون من سكان المدن و ٤٠ مليون فى مناطق القحط وبقى لدى الدولة فى عام ١٩٥١ فائض من الحبوب يكفى لاطعام ٤٥ مليون لمدة عام وسيكون لدى الصين فائض يكفى لاطعام مائة مليون لمدة عام ومن هذا الفائض صدرت الصين لاول مرة فى التاريخ الى الهند ١٥٦ الف طن من الارز فى سنة ١٩٥١ ولم يستطع الهنود ان يفسروا هذه الظاهرة الا على ضوء الدعاية الامريكية الا وهى أن الصينيين قد أجاعوا أنفسهم ليبيعوا الارز للهند ويظهروا بهذا المظهر وليس وراء ذلك سخف بطبيعة الحال

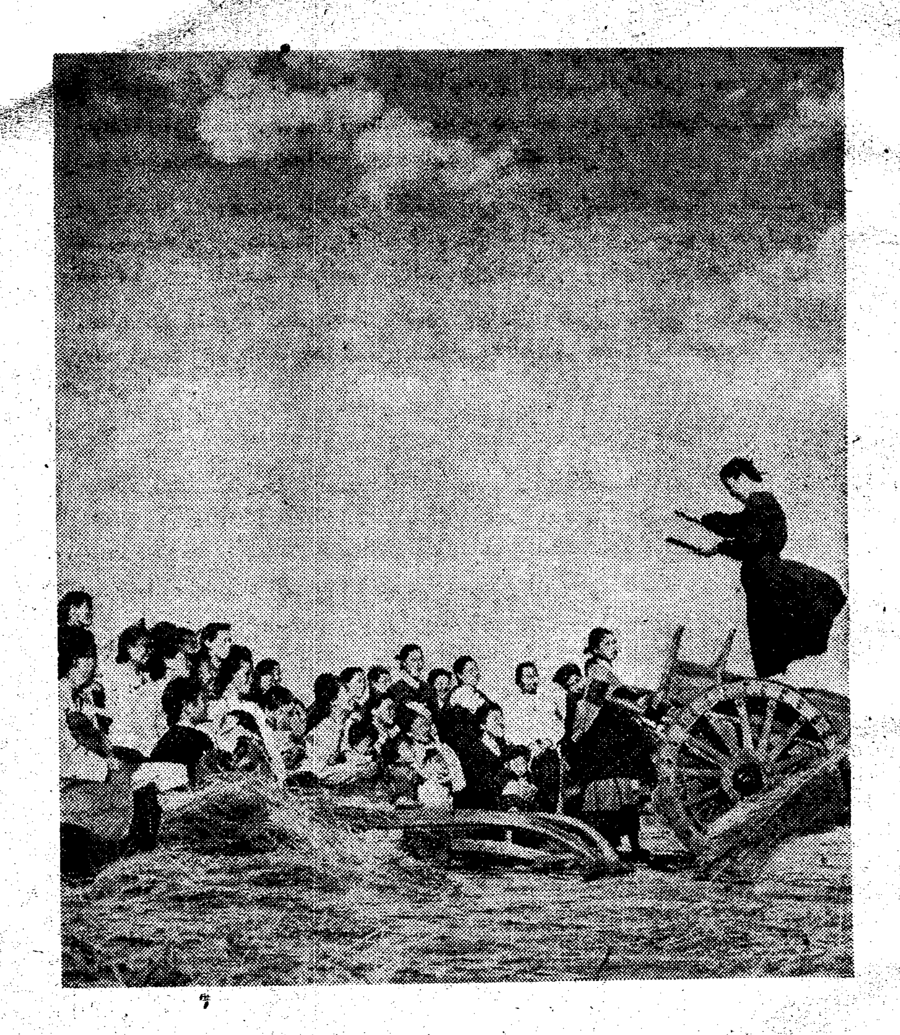
**فى الصناعة**

واذا كانت الزراعة لاتستطيع ان تزيد بطريقة تصاعدية كبيرة فان باستطاعة الصناعة أن تفعل ذلك وهو ماحدث فى الصين ، ولن نتحدث الان عن الصناعات الثقيلة وصناعة الصلب والحديد واستخراج المعادن . . لن نتحدث عن المواصلات ومئات الالوف من الكيلو مترات من الطرق وخطوط السكك الحديدية التى مدت . . لن أشير الى شىء من ذلك لانه لا جديد فيه فقد اشرت اليه فيماسبق وحسبنا ان نقول أن هذه المشروعات الضخمة التى تمت حول الانهار من انشاء سدود وخزانات وبناء القناطر والبوابات الحديدية الضخمة والتوربينات اللازمة لتوليد الكهرباء كل ذلك قد تم انتاجه وتجهيزه فى الصين . ولكن الطريف الذى اريد أن أشير اليه لنستفيد به فى مصر بالذات هو نهضة صناعات الكوخ واعنى بها الصناعات اليدوية التى يصنعها الفلاح فى قريته ابتداء من السكين والخنجر حتى الاقمشة المغزولة والمنسوجة باليد فقد امتلات الان المخازن التجارية فى مدن الصين الكبرى بهذه المنتجات الصناعية التى غزا بها الريف المدينة واصبح أكثر من مائة مليون اسرة تعمل الان فى اوقات فراغها الانتاج بعض الصناعات اليدوية التى تغنى الصين عن الوف الملايين من الجنيهات التى كانت تنفقها لشراء هذه السلع من صنع أمريكا واوربا والتى تغنى عنها هذه المصنوعات اليدوية . .

وكان من نتيجة انطلاق هذه القوى الانتاجية العجيبة ان صادرات الصين قد زادت على وارداتها لاول مرة فى التاريخ أيضا (وكل شىء لاول مرة فى التاريخ) بينما زادت قوة الفلاحين الشرائية ٦٠ ٪ فى بعض المناطق وزادت قوة الشعب الشرائية بصفة عامة ٥٣ ٪

**فى التعليم**

ولنصل الان الى التعليم ينبوع الحياة الحقيقية فى كل شعب لكى نرى نفس الارقام الفلكية التى نراها فى كل ميدان ، ففى التعليم الابتدائى وحده يبلغ عدد



ليست هذه صورة زيتية انها منظر عادى فى القرية الصينية الحديثة
امرأة تحدث زميلاتها الفلاحات

الطلاب ٣٧ مليون طالبا . اى تعداد الشعب الانجليزى باكمله او الفرنسى وفى التعليم الثانوى ٥٧٠ر١ ٠٠٠ر طالب وفى التعليم الجامعى ١٢٨ر٠٠٠ طالب وهناك الى جوار ذلك ٢٥ مليون فلاح قد انضموا الى الدراسات الشتوية و ١٠ مليون شخص يتعلمون فى مدارس اوقات الفراغ

ولقد حولت قصور الاباطرة القدماء الى مراكز لثقافة العمال واصبح ابطال الشعب الذين يجلسون دائما على مائدة الشرف الى جوار ماوتسى تونج ويتقدمون فى الحفلات هم العمال والفلاحين الذين ضربوا الرقم القياسى فى الانتاج

هذه هى الحياة الجديدة التى تغمر الان بلاد الصين والتى يجب على مواطنى ان يعرفوها وان يتدبروها لا أن يغمضوا أعينهم عنها ويتجاهلونها بزعم انها شيوعية ...

## أهى شيوعية ؟

والآن فلنتساءل هل الصين حقا شيوعية . ان الدعاية الامريكية الان تحاول ان تصورها كذلك . بل انها تذهب الى ابعد من هذا فتصورها دمية فى يد روسيا تحركها كيف تشاء وتأتمر بأوامرها ولذلك فان امريكا حريصة على أن تؤلب العالم كله ضد الصين الشيوعية . ولكن الحقائق كلها تدل على ان مايجرى الآن فى الصين هو أبعد ما يكون عن الشيوعية ، وانه يمكن وصف الصين بكل شيء الا أنها شيوعية بالمعنى الفنى لهذه الكلمة أما الذهاب الى ما وراء ذلك واعتبارها العوبة فى يد روسيا فهذا هو الشيء الذى يعجب الانسان كيف تخدع امريكا نفسها وتخدع العالم معها الى هذا الحد وهى تعلم ان الحقائق المسجلة فى كتابها الابيض الرسمى تدحض هذا الزعم

لقد انتصر الشيوعيون على جيوش كاى شيك بأسلحة امريكية بحته اما اعطيت لهم بطريق مباشر عندما كانت امريكا تمدهم بالسلاح لمحاربة اليابانيين ، واما بطريق غير مباشر بواسطة تسرب الاسلحة التى كانت تعطى لكاى شيك اليهم . وقد جاء فى تقارير البعثة الامريكية العسكرية التى كانت تراقب الحوادث فى الصين انه لم يثبت فى أى معركة من المعارك التى دارت بين الشيوعيين وجيوش كاى شيك انه كان فى أيدى الشيوعيين أى سلاح روسى . واذا كان المتطوعون من الصينيين يستعملون الآن أسلحة وطائرات روسية فهى أسلحة اشترتها الصين بتبرعات الفلاحين والعمال أى ان روسيا فى ذلك ليست الا تاجرة تبيع سلعها وباستطاعة أى دولة أخرى من دول اوربا ان تبيع الصين الاسلحة بنفس الطريقة والاسلوب .

— ٤ —

**ديمقراطية جديدة :**

تعتمد شيوعية كارل ماركس على عمال الصناعة وسكان المدن وانهم هم الذين يحررون الريف . أما فى الصين فالفلاحون هم الذين حرروا المدينة وحرروا عمال الصناعة وليست هذه هى الشيوعية المعروفة

ان كتاب ماوتسى تونج الذى يطبق الان فى الصين باعتباره دستور النهضة وانجيلها وبرنامجها يسمى « ديمقراطية جديدة » وفى هذا الكتاب يتحدث ماوتسى تونج عن ان الصين بمقتضى تعاليم ماركس نفسها لايمكن أن تكون بلدا شيوعية فى ظروفها الحاضرة وأن بينها وبين الشيوعية مراحل طويلة بل انه لايزال بينها وبين الاشتراكية اكثر من مرحلة . وما تحتاجه الصين وماتزاوله الان هو مايسميه ماوتسى تونج « ديمقراطية جديدة » ومؤدى هذه الديمقراطية أن تتعاون كل العناصر المعادية للاقطاع القديم والاستعمار الاجنبى لاعادة بناء الصين ماديا ومعنويا .. فالعمال والفلاحون والموظفون والبورجاوزية الصغيرة وهم صغار الملاك وأصحاب المصانع والمتاجر كل هؤلاء يتعاونون باحزابهم وتشكيلاتهم فى العهد الجديد . ولذلك فان حكومة الصين فى الوقت الحاضر هى حكومة ائتلافية يشترك فيها كل احزاب العهد القديم التقدمية بما فيها العناصر التقدمية من حزب الكومنتانج نفسه أى حزب كاى شيك وليس للحزب الشيوعى فى مقاعد الحكومة سوى الثلث فقط . ولماوتسى تونج ثلاث نواب للرئيس يمثلون الاحزاب المختلفة

حقا ان السيطرة فى نهاية الامر هى للحزب الشيوعى تلك مسألة لا شك فيها ولكن الحزب الشيوعى كان باستطاعته أن يتولى الحكم بطريق مباشر وأن يقضى على بقية الاحزاب والطبقات ولكن ماوتسى تونج لم يسلك هذا السبيل ولكنه يحاول أن يشرك كل العناصر فى بناء الصين الجديدة .وعلى هذا الاساس فان المصانع الانجليزية والفرنسية والاجنبية بصفة عامةلاتزال تعمل فى الصين لحساب أصحابها ... بل أن بعض المصانع المملوكة للافراد والشركات اصبحت الان تتمتع بأرباح لم تكن تتمتع بها فى العهد السابق وذلك لانها كانت مهددة بالافلاس اما لعدم حصولها على المواد الاولية اللازمة لها ولما لعدم استطاعتها تصريف منتجاتها اما الان وفى ظل النظام الجديد فان الحكومة توفر لكل مصنع فى البلاد حاجاته من المواد الاولية وتضمن لكل مصنع توزيع كل منتجاته لانها تنقل هذه المنتجات الى المناطق التى تحتاجها فى الدرجة الاولى وهو ما لم يكن يحدث فى العهد القديم

ان الانقلاب الكبير الذى حدث فى الصين هو انقلاب توزيع الارض ...

وتوزيع الارض على زارعيها ليس اجراء شيوعيابل هو اجراء ضد الشيوعية كما هو معروف ومشهور فالشيوعية أساسها الغاء الملكية اما توزيع الارض على الفلاحين فمن شأنه تدعيم الملكية والاكثار من عدد الملاك ولذلك فقد عمدت امريكا نفسها الى توزيع الارض فى اليابان فاصبح الحد الاقصى للملكية فى اليابان لايمكن ان يزيد على ستة افدنة وذلك للقضاء على روح الاقطاع اليابانى ولتحويل الشعب اليابانى الى شعب مسالم وليس العوبة فى يد أسياده من الامراء والاقطاعيين فما تم فى اليابان على يد الامريكان هو الذى تم فى الصين على يد ماوتسى تونج . وتوزيع الاراضى فى طريقه الى التنفيذ فى مصر وقد اتخذ هذا الاجراء كخطوة من خطوات الاصلاح والارتقاء بالشعب . فالصين فى الآونة الحاضرة ليست شيوعية واذا كانت سياستها ترتبط فى كل يوم بروسيا فليس ذلك الا لان روسيا هى البلد الوحيد الكبير الذى يقدم لها ما تريده من مساعدات للتطور والارتقاء ... ولو أن أمريكا بدلا من أن تقف من الصين هذا الموقف العدائى وتواصل حرب كوريا ضد الصين . لو أن أمريكا التى أعطت لكاى شيك وحكومته الفاسدة ألوف الملايين من الدولارات قدمت للصين فى عهدها الجديد بعض هذه المساعدات والمعونة اذن لاستطاعت من غير شك أن تضمن على الاقل حياد الصين فى النزاع بين أمريكا وبين روسيا وهذا هو ما تحاول انجلترا العجوز أن تفعله ولذلك فقد بادرت بالاعتراف بالصين الشيوعية وهى تتعامل الان معها على نطاق واسع ولذلك فقد وجد ماوتسى تونج أن مصلحته الابقاء على الانجليز فى هونج كونج مع أن من المتفق عليه بأجماع الاراء أن طرد الانجليز من هونج كونج لا يكلف ماوتسى تونج الا أن يبدى اشارة صغيرة لسكان هونج كونج نفسها ولكنه على العكس من ذلك يشجع استمرار البريطانيين فى هونج كونج لتستفيد الصين من هذه الذراع المتصلة بالعالم كله من خلال الانجليز ولذلك فقد بلغت تجارة الصين مع هذه المدينة الصغيرة ما يساوى ١٤ ٪ من تجارتها الخارجية واذن فالصين الجديدة على استعداد أن تتعاون وأن تتعامل مع كل الدول فاذا كانت امريكا تناصبها العداء فذلك هو الدليل على ان أمريكا لا تقنع بغير أن تكون الصين مستعمرة للامريكان والنفوذ الامريكانى والثقافة الامريكية وهذا ما يحاربه ماوتسى تونج بكل قوة

ان الصينيين منذ القديم مشهورون باعتدادهم بأنفسهم ولذلك فلست أشك لحظة أن كل قارىء سيدهش اذا علم أن الخبراء الروس الان يعاونون الصينيين فى كل فرع من فروع النشاط ومع ذلك فان هؤلاء الخبراء لايتمتعون بأى ميزة خاصة عن أى أجنبى أفى بلاد الصين فالخبير الروسى كأى أجنبى لا يستطيع أن يتجول فى بعض المناطق الا بتصريح خاص وقد

حدث أن بعض هؤلاء الخبراء خرقوا هـذه القـاعدة فقبض عليهم البـوليس ولم يطلق سراحهم الا بعد الاعتذار والوعد بعدم تكرار ذلك

فالذين يتحدثون عن الصين أنها أصبحت بالنسبة لروسـيا كرومانيا أو المجر او تشيكوسلوفاكيا هم جد مخطئين فكل هذه حكومات صـغيرة قامت فيها الاحزاب الشيوعية بعد الاحتلال الروسى ولم تتحول هـذه البلاد الى دائرة النفوذ الروسى الا فى ظل العساكر الروسية وهى بعد ذلك بلادضعيفة صغيرة لا حول لها ولا طول الى جوار العملاق الروسى . أما الصـين فشىء يخالف ذلك كله فان خمسمائة مليون من البشر لا يمكن أن يكونوا ألعوبة أو دمية وهم لم يكونوا كذلك فى اى يوم من الايام

ولقد تصـورت اليابان بكل عنفوانها أنها قادرة على ذلك فتاهت فى هـذا الخضم كما تاه كل من حاول فى أى يوم من الايام أن يغلب الصين على أمرها. فلا روسيا بالتى تتصور انها قادرة على غزو الصين وجلب عداء خمسمائة مليون من البشر عليها ولا هؤلاء الخمسمائة مليون بالذين يتصورون أنفسهم تابعين لروسيا ، بل اننى أحس احساسا عميقا ان روسيا نفسها تقف فى الصين موقف المتحفظ الذى يرقب فى قلق انطلاق هذه القوة الضخمة من عقالها. لقد تحدثوا عندما نهض زعيم الصـين الحديثة ( صـان يات سن ) عن الخطر الاصفر وماذا يكون مصير العالم اذا نهضت الصين بهذا الخضـم من القـوى البشرية وقد ظلت اوربا وامريكا تتحدثان عن الخطـر الاصفـر الذى تمثـله الصين ولكن نهضة الصين سرعان ما خبت وعادت الى الفوضى والانقسـام من جديد فحول العالم الغربى اهتمامه لليابان ولكنها غلبت على أمرها فى الحرب وهى محتلة الان بالجيوش الامريكية وعادت الصـين مرة أخـرى تستأنف نهضتها وتجدد شبابها وحيويتها على أوسع نطاق عرفه البشر فى اى عصر من عصور التاريخ فما هى الاثار التى ستترتب على ذلك ... لست أشـك لحظة أن روسيا لا تقل عن امريكا فى قلقها ولكنها تعالج المشكلة من طريق آخر غير طريق أمريكا ، فأمريكا تعالج المشكلة بحصار الصين وحربها وتهديدها بالقنبلة الذرية فتغرس كراهتها فى قلوب هذه الملايين ... أما روسيا فتقف الان الى جوار هذه الملايين تصادقهم وتعاونهم فاذا لم تضـمن أن يسـير الصينيون فى ركابها فهى آمنة مطمئنة انهم لن ينقلبوا عليها او يقفوا منهـا موقف العداء حيث لا تعارض فى المصالح أو الاهداف

هذا هو تحليل الموقف نلخصه مرة أخرى فى أن الصين الجـديدة ليست شيوعية ولكنها ديمقراطية شعبية جديدة وقد تكون فى طريقها الى الشيوعية ولكن روسيا التى بدأت ثورتها منذ عام ١٩١٨ لا تزال حتى الان فى المرحـلة الاشتراكية وابعد ما تكون عن الوصول الى الشيوعية بعـد خمس وثلاثين

سنة . . . بل ان بلدا كيوجوسلافيا قد ظن فى يوم من الايام انها قد أصبحت شيوعية قد نكصت على اعقابها من اليسار الى اليمين

واذا كان زعماء الصين انفسهم يرون انهم لم يبدأوا بعد مرحلة الاشتراكية وانهم يبشرون بديمقراطية جديدة فمن العبث أن يحاربهم العالم بزعم أنهم شيوعيون بما تحمله هذه الكلمة من معنى الشيوعية

وان اقصاء هذا الجزء الكبير من البشرية عن أن يمثل فى هيئة الامم لهو جريمة تجعل كل مشترك فيها مسئولا عن تحمل وزرها ولا يصح ان يزعم لنفسه اى صلة بالديمقراطية

اما تقاعد مصر عن عدم الاعتراف بالصين الجديدة واستمساكها بالاعتراف بكاى شيك الذى لا يستطيع السيطرة على جزيرة فورموزا نفسها الا بمساعدة الجيوش الامريكية .. ليس هذا الموقف الشاذ الا بقية من مخلفات العهد البائد وقد حان للعهد الجديد عهد النهضة والثورة ان يقضى على هذا الشذوذ .

— ٥ —

## فى جامعة رانجون :

ولنعد الان الى سياق حديثنا عن رانجون وبورما فقد تركت قارئى العزيز وهو معى على ظهر سفينة نهرية كانت تشق بنا عباب الايراوادى . . . وقد انتهت الرحلة فى المساء وعدنا الى رانجون وتابعت فى الايام التالية زياراتى لمختلف المؤسسات والمنشئات والمتاحف البرمانية

كان آخر اجتماع اقيم لنا فى «جامعة رانجون» فى اليوم السابق على مغادرتى المدينة فى طريقى الى كلكتا عند ما دعينا نحن رؤساء الوفود لكى نلقى خطبا فى الطلاب نضمنها توجيهاتنا ونصائحنا . ولقد تحدث كل من سبقنى عن الاشتراكية وواجب الطلاب فى مجتمع اشتراكى وعند ما جاء دورى بدأت حديثى بأننى لن اتحدث فى الاشتراكية فكل من سبقنى فى الحديث أعلم بها منى . ولن اتحدث فى السياسة لان الانسانية قد ملت السياسيين وكرهت السياسة ولم أكد ألق هذه العبارة حتى دوى التصفيق الحاد فشعرت أننى لمست وترا حساسا . ومضيت فى خطابى قائلا أننى سأحدثكم عن النتيجة التى انتهيت اليها بعد اثنين واربعين سنة قضيتها فى الكفاح . لقد كنا نحن الشرقيين نؤمن بالله وبالروح وبالمعنويات ونحب السلام وقامت من بين ظهرانينا الاديان كلها تضىء لنا طريق الحياة وتفسح لنا الامل فى حياة أسعد وأكمل لمن عمل منا صالحا . من بين صفوفنا خرجت الموسوية والمسيحية

والبوذية والكونفشيوسية والزرادشتية واخيرا الاسلام . وقد كانت هذه الاديان والطرق كلها تتقابل عند نهاية واحدة تتلخص فى معنيين : نعبد الله بأن يحب بعضنا بعضا . وعلى هذه المبادىء ازدهرت حضارة الشرق وعاش ملايين من اجدادنا فى النور والامل . لست ادعى أنه لم تكن هناك شرور او اثام ولست ادعى انه لم تكن حروب وآلام ولكن هذه الشرور والاثام وهذه الحروب والآلام ، لم تكن هى الاصل والقاعدة بل كانت هى الاستثناء وقد ارتكب الآثام والجرائم من ارتكب عن جهل او جوع او فقر وايا كانت الالام التى عاناها اجدادنا فقد كان امامهم دائما هذا النور ... نور الامل فى حياة اسعد واكمل

ثم حدث بعد ذلك ان اصابتنا نحن الشرقيين سنة من النوم وغفوة فدهمنا الغرب وغلبنا على امرنا وافقدنا حريتنا فبدأنا نتطلع لهذا الغرب الذى هزمنا وبدأنا نقلده فى كل طرائقه وفلسفته واساليبه فى الحياة ... وقد بهرنا منه هذا الامعان فى المادية والاغراق فيها ونكران كل معنوية وكل روحية وكل دين فبدأنا نتخلى عن روحانياتنا وعن عقائدنا فى حياة أكمل واسمى وعن تعلقنا بالمثل العليا فى الفضيلة والاخلاق واصبحت الحياة كل الحياة هى المادة ولا شىء غير المادة وحلت عبادة المادة محل عبادة الله .

والآن فلنتساءل ماذا كانت نتيجة هذا الاتجاه فى الغرب ... هل أصبح يعيش فى هناء ورخاء وسعادة ... ان العكس هو الصحيح فان الشقاء الذى تعانيه شعوب اوربا هذه الايام لم يعانه شعب من الشعوب فى اى عصر من عصور التاريخ ... انهم يتحاربون ويتباغون والحرب عندهم لم تعد كما كانت بالامس حربا بين جنود محترفة او بين ابطال و فرسان يحقنون دماء جيوشهم بالمبارزة فيما بينهم ولكن الحرب اصبحت حرب شعوب وابادة ... انظروا الى هذه الحرب العالمية الاخيرة وكم دمرت واهلكت ومع ذلك فهم يعدون لحرب جديدة ... ولم تكفهم اسلحة التدمير التى ابتكروها حتى الان على فظاعتها فاخترعوا القنبلة الذرية التى دمرت مدينة بسكانها وابنائها فى ومضة عين ... هذه القنبلة التى تهدد الحضارة البشرية كلها لم يكتف بها القوم ... ولم يكتفوا بالمئات والالوف التى راحوا ينتجونها منها فاخترعوا القنبلة الايدروجينية لتكون اشد تخريبا من القنبلة الذرية واقسم لكم ان القنبلة الايدروجينية اذا لم تنفعهم فسيفكرون ويخترعون اشياء جديدة لاتدمر أمة او قارة بل تدمر هذا الكوكب الارضى كله اذا استطاعوا الى ذلك سبيلا .

وانطلق التصفيق الحاد من الطلاب عند هذا الحد ولم يحدث ان قوطع خطيب ممن سبقونى بمثل هذا التصفيق ولم يكن هناك فى هذه اللحظة من هو أسعد منى فقد ادركت اننى أتكلم بلسان البشرية الحائرة كلها ... ادركت اننى المصرى الذى جاء من مسافة سبعة الاف ميل انما أتحدث بما

يختلج فى خواطر شعب بورما الذى يخالف المصريين أصلا وجنسا ودينا وظروفا ولكنه يتفق مع المصريين ومع بقية شعوب العالم فى انه بشر ... والبشر جميعا من دم ولحم وميل واحد للأمن والسلام والمحبة . وانطلقت فى خطابى ...

« هذه هى المادية التى انتهى اليها الغرب وهذه هى الآلام التى كبدها لملايين الشعوب ... وهذه هى الجرائم التى ارتكبها ويرتكبها عن عمد وقصد وسبق اصرار وترصد وما أعظم الفارق بين مرتكبى هذه الجرائم اليوم وبينهم بالامس فلقد قلت لكم ان اجدادنا ارتكبوا الشر جهلا واما مجرمو اليوم فلا يستطيعون ان يدافعوا عن انفسهم بالجهل فهم يعدون هذه الاسلحة الفتاكة الرهيبة باسم العلم والحضارة انهم يجمعون العلماء الان ليسخروا العلم لتدمير البشرية وهم يعدون لجرائمهم فى دم بارد وفى سنوات طويلة وهم يغرقون العالم فى بحر من الخوف والاضطراب وحرب الاعصاب مستخدمين فى ذلك كل وسائل الفن والعلم ومبتكرات العقل البشرى

وفى وسط هذه الالام التى تصب على الشعوب صبا فقد الجميع هذا الامل الذى كان يتمتع به اسلافنا واجدادنا ،الامل فى حياة وراء هذه الحياة اسعد وأكمل وهكذا باتت ملايين البشر تعيش فى الفزع والالم وبغير امل فى المستقبل

فهل هذا أيها الشباب ياشباب بورما هو ما تتوقون للوصول اليه لتكونوا كالاوروبيين أو الامريكيين غارقين فى المادية ونوازع المادية ... دعونى أهيب بكم من اعماق قلبى مخاطبا فيكم البشرية كلها ... أن هلموا الى ايماننا القديم ... هلموا الى روحانياتنا ومعنوياتنا وفضائلنا ... هلموا الى الايمان بالله وأن نحب بعضنا بعضا ... تعالوا نبنى مجتمعا جديدا لا نبنيه على الحقد والكراهية والرغبة فى السيطرة والاستعلاء ... ولكن نبنيه على الحب والتسامح والاخوة بين الناس . وانتهى خطابى بين التصفيق وأشهد اننى لم أشعر بنشوة الرضا كما شعرت بها فى هذه اللحظة وانا اخطب فى أقوام ليسوا من مواطنى وبلغة غير لغتى ومع ذلك فقد أحدثت فيهم هذا التأثير . ولست اعزو ذلك النجاح الا لان هذا المعنى الذى تحدثت عنه هو المعنى الذى يختلج الآن فى صدور بنى البشر .

## — ٦ —

## نحو الهند والباكستان

وجاءت الساعة التى ادرت ظهرى للصين واتجهت صوب الهند مؤثرا اياها بزيارتى ودراستى المفصلة فليست الهند بأقل خطرا فى مستقبل العالم من

الصين . بل ليست نهضة الهند الجديدة بأقل من نهضة الصين مع فارق كبير في ان الهند تتبع في نهضتها الجديدة الاساليب الديمقراطية البحته كما هي مطبقة في العالم الغربي ديمقراطية الانتخابات ومجلس النواب والحريات العامة المقدسة والحصانة بالدستور . وليس نهرو بأقل من ماوتسي تونج وما نهرو الا امتداد لغاندي ذلك الذي يمكن اعتباره واحدا من الصديقين والقديسين والذي أعاد للهند اعتبارها وايمانها بذاتها وفلسفتها وحريتها ...

نحو هذه الهند التي حققت بدورها أعجب معجزة في التاريخ الا وهي الحصول على حريتها من المستعمر بأسلوب جديد هو اسلوب الضغط المستمر المتواصل الذي انهار تحته المستعمر فاضطر للانسحاب ..

نحو الهند ذات الثلاثمائة وخمسين مليونا والتي اصبحت اليوم أعظم عميل لمصر في شراء قطننا مع ان الهند هي ثاني دولة في العالم تنتج الاقطان وليس ذلك الا الدليل على انها ورثت انجلترا في صناعة النسيج .

واذا كانت اليوم تحاول ان تكفي نفسها بنفسها فانها ستكفي آسيا كلها في الغد القريب .

هذا التطور الذي حدث في صناعة النسيج قد حدث مثله في شتى انواع الصناعات ولم تدع الهند صناعة ثقيلة او خفيفة الا طرقتها واوشكت ان تصل فيها الى نهايتها ... حسبي ان أشير الى حقيقة يجهلها الكثيرون الا وهي ان صناعة السينما في الهند قد اصبحت تأتي عقب هوليود مباشرة من حيث كمية الافلام المنتجة .

نحو هذه الهند ونحو نيودلهي التي تغص الآن بالسياسيين من الشرق والغرب الذين يتسابقون لكسب رضاء هذه الدولة العظمى ركبت الطائرة في يوم ١٦ يناير قاصدا كلكتا لابدأ منها زيارتي ودراستي للهند وأسرارها واديانها وفلسفتها وقوتها في القديم والحديث ... وقد وصلت اليها في ساعة متأخرة فوجدت الزميل العزيز مختار زكي في انتظاري رغم برودة الجو الشديدة في هذه الليلة ..

ولكن حديث الهند ونهضتها ودورها الخطير في حياة آسيا والبشرية كلها هو حديث طويل

وقد انتهى الحيز المحدد لي في هذا الكتاب فالى كتاب مقبل ارجو أن تمكنني ظروف الحياة من اتمامه في وقت قريب .

انتظروا قريبا

# وثبة العملاق

تأليف

احمد حسين

وهو القسم الثانى من هذه الرحلة الكبرى فى الهند والباكستان والذى سينتهى بوضع رسالة كاملة للثورة المصرية

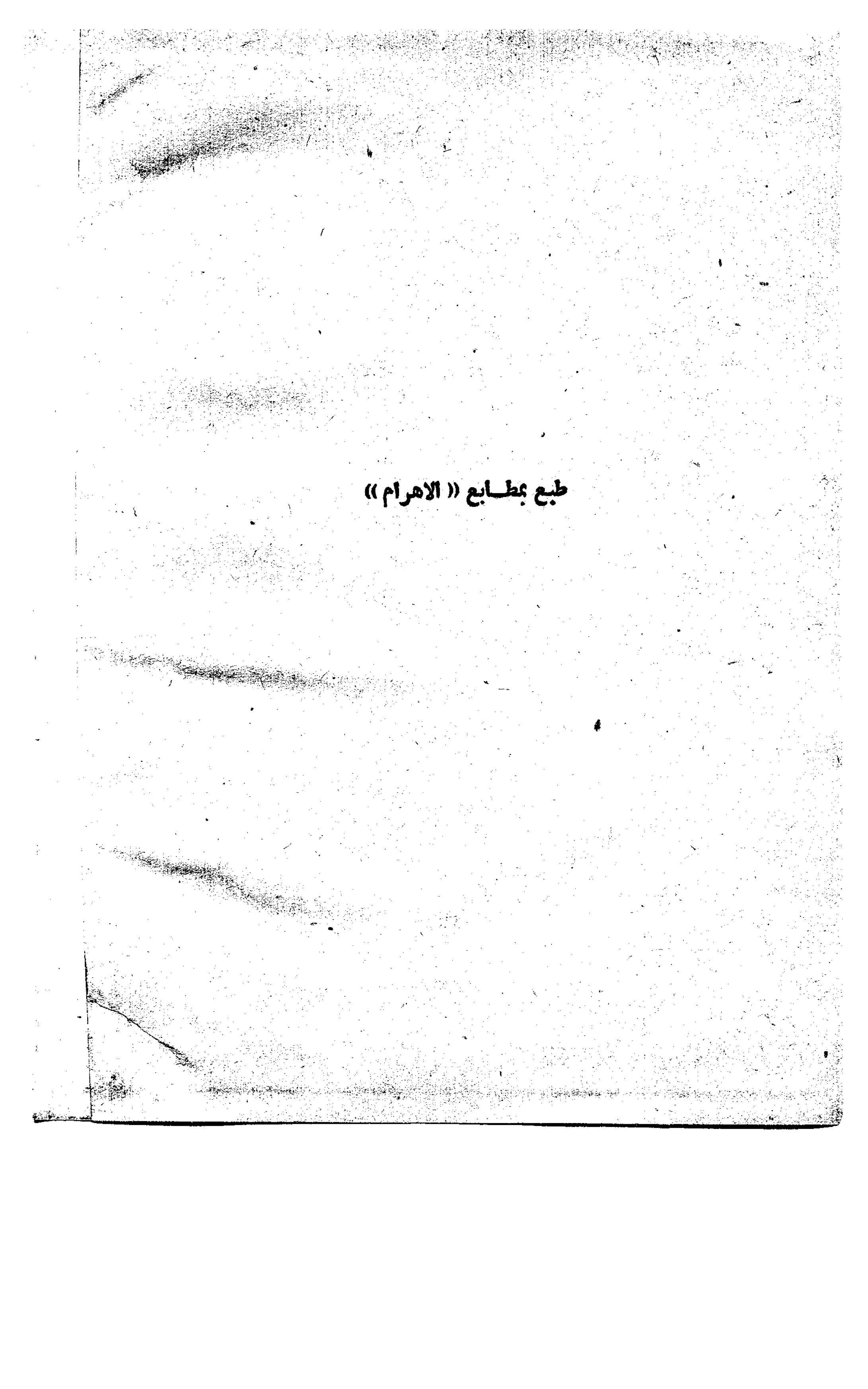
# اقــــرأ للمؤلف

| | ثمن النسخة قرش |
|---|---|
| مشاهداتى فى جزيرة العرب | ٥٠ |
| ايمـــانى | ٤٠ |
| الاشتراكية التى ندعو اليها | ٢٠ |
| المرأة وحقوقها السياسية | ٢٠ |
| فى ظلال المشنقة | ٦ |
| وراء القضبان | ٥ |
| الارض الطيبة | ٥ |
| الحـــرب | ٣ |
| رسالة المجد | ٣ |

تطلب هذه الكتب كلها من مكتب أحمد حسين المحامى

٤٣ مكرر شارع قصر النيل ـ تليفون ٤٣٦٧٦

خصم للجملة ٣٠ ٪



طبع بمطابع « الاهرام »